

المجلد الأول - العدد التجريبي - السنة الأولى (رجب - ١٤٣٥هـ) - (آيار - ٢٠١٤م)



في هذا العدد



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

سورة الروم الآية (٢٢)



الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة
قسم الإعلام– دار اللغة العربية



www.alh.imamhussain.org
E-mail:daralarabia@imamhussain.org

mob:+9647827236864
+9647721458001

رقم الإيداع في دار الوثائق العراقية
١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤



قواعد النشر

١.تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنكليزية في المجالات اللغوية والتربوية.

٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A٤) بثلاث نسخ مع قرص مدمج (CD)بحدود(١٠٠٠٠ـ١٥٠٠) كلمة وبخط (**simplified Arabic**)على أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بنظام (٢٠٠٧ **WORD**).

٣.تقديم ملخص للبحث باللغة العربية ،وآخر باللغة الإنكليزية ،كل في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي الملخص عنوان البحث باللغتين.

٤. إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث أو الباحثين وجهة العمل،والعنوان،ورقم الهاتف،والبريد الالكتروني،مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث،أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية أو الانكليزية.

٥. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق .

٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش،وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية ،ويراعى في إعدادها الترتيب الألف بائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٧.تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره،أو مصادره،مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يُشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالها ، كما يُشار إلى اسم الجهة العلمية ، أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده .

٩. إن لا يكون البحث مستلاّ من(رسالة أو أطروحة) جامعية ، ولم يسبق نشره، وليس مقدما إلى أي وسيلة نشر أخرى .

١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن أراء كاتبيها، ولا تعبرّ بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية وعلمية .

١١. تخضع البحوث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت البحوث للنشر أم لم تقبل ،وعلى وفق الآلية الآتية :

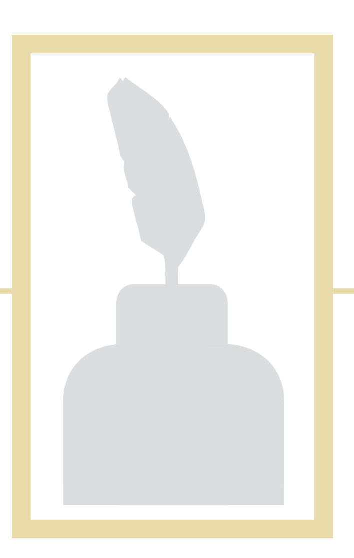
أـ يبلّغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر.

ب ـ يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.
جـ ـ البحوث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها ،مع الملاحظات المحددة ، كي يعملوا على أعدادها نهائياً للنشر.
دـ البحوث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
هـ ـ يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه مع ثلاثة مستلات من المادة المنشورة ،ومكافأة مالية.

١٢– يراعي في أسبقية النشر :

أـ البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.
ب ـ تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.
ج ـ تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.
د ـ تنويع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.





كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلِّ اللهمَّ على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين،وبعدُ

فإنَّ المقامَ يستلزم تكرار القول إنَّ اللغة أضحت منذ زمن ليس بالقصير مدار اهتمام الأمم المتحضرة وتكريمها. فقد ثبت عند ذوي الخبرة والاختصاص في علوم النفس والاجتماع أنَّ اللغة هي الآصرة الأقوى في شدِّ عُرى العواطف الإنسانية بعضها إلى بعضها الآخر، وهي العنوان الأبرز لهوية الإنسان العامة مهما تعددت هوياته الفرعية.

وبقدر ما يتعلق الأمر باللغة العربية فإنها من أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بجوهر هوية أبنائها، وهي اللغة الوحيدة التي ما تزال منذ أكثر من خمسة عشر قرناً عامرةً بالحيوية والعافية بفضل ما تمتلكه من إرثٍ ثرٍّ وتوازنٍ فريدٍ ومرونةٍ في استيعاب المستجدات اللغوية مع جمال التعبير ومنطقيته. وعلى الرغم من ذلك فإنَّ هذه اللغة الكريمة ما برحت تتعرض إلى هجمات مستمرة ترمي إلى النيل من كرامتها والتقليل من خطرها وأثرها، والشواهد على ذلك في الزمن المعاصر لا تخفى على مُتابع، ابتداءً من النظر إليها بدونيةٍ مروراً بتقليص فرص العمل لحاملي شهاداتها العلمية وليس انتهاءً بدعوات إحلال العامية محلها بل حظر تعليمها، وتعلُّمِها في بعض الدول بزعم مكافحة الإرهاب !.

وقد تحولت اللغة منذ عقود عدة إلى سلاح فاعلٍ فيما يُعرف بأيدلوجية العولمة التي طوعت كبرى وسائل الاتصال لحمل رسائلها المغرضة سعياً لصهر الهويات الإنسانية المختلفة في بوتقة ثقافية واحدة. وكما هو معلوم فقد فتحت هذه الأيدلوجية الضارية ميادين حرب مع كثير من لغات العالم وكان سهم العربية من هذه الحرب سهماً وافراً ؛ لأسباب من أبرزها أنها الوعاء الحافظ لكتاب الإسلام (القرآن الكريم) ، هذا الكتاب الذي تكفَّل في حفظ هيكلها المعماري العام طيلة تلك القرون المتطاولة.

إن مجلة (دواة) مثلما تجاهر بسعيها لنصرة اللسان العربي في المواقع الفكرية التي تناصبه العداء أو تحاول الغمز من قناته فإنها كذلك تصرِّحُ بحقيقة انفتاحها على بقية اللغات الحية ولاسيما اللغة الانكليزية التي قيضت لها ظروف هذا العصر من الفرص أوسعها في نشر مختلف العلوم والآداب .

وختاما فهذه دعوة عامة لأهل اللغة كافة رجاءَ أن يتفضلوا بغمس أقلامهم الحصيفة بمداد دواتنا هذه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس التحرير

في هذا العدد



السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي وأثرهما في الحفاظ على سلامة اللغة العربية

أ.د. أحمد جواد العتّابيّ

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

يعرض البحث إلى أهمية السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي وأثرهما في الحفاظ على اللغة وسلامتها ؛ فقد تنبهت الدول والمجتمعات إلى ما يعرض للغة من اختراق وعشوائية وسوء استعمال، وتهديد اللغة يتفاوت في مدى خطورته التي قد تصل إلى تقويض اللغة وانحسار استعمالها ، أو حتى انقراضها. وقد عملت الدول والمجتمعات التي تحرص على سلامة لغاتها وتسعى إلى الحفاظ عليها باتباع سياسة أطلقت عليها (السياسة اللغوية) القائمة على التخطيط اللغوي ، فهي مثيل للسياسة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي ، والسياسة العسكرية التخطيط العسكري وهكذا. أي إنها نظرت إلى اللغة بالأهمية نفسها التي نظرت بها إلى السياسة والاقتصاد والصحة والإسكان.

ويحرص البحث على توضيح مفهومي السياسة والتخطيط والشروط والأسس اللتين تقومان عليهما. فضلا عن هذين المبدأين وما كان لهما من آثار على الواقع اللغوي من حيث التطبيق والاستعمال.

مفهوم التخطيط والسياسة اللغوية:

شاع هذا المفهوم في نتصف القرن الماضي في كتابات اللساني الامريكي (اوكن) في العام ١٩٥٩م في بحث عرض فيه للمشكلات اللغوية في النرويج، وفي العام ١٩٦٨م قام كل من فركسون لق وكريتا بنشر كتاب مخصص للقضايا اللغوية في البلدان النامية. وفي العام ١٩٦٨_١٩٦٩م اجتمع أربعة لسانيين في مدينة هاواي للنظر في طبيعة التخطيط اللغوي ؛ حضره باحثون ومتخصصون في الانثروبولوجيا والاجتماع واللسانيات والاقتصاد، وقد كان من ثمرة هذا الاجتماع صدور كتاب بعنوان (can language be planed) (هل يمكن تخطيط اللغة) ، وكان أكثر اللسانيين نشاطا في هذا الحقل هو اللساني فيشمان؛ إذ كان يشرف على سلسلة دراسات سوسيو لسانية وأصدر مجموعة من الكتب بشأن التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية شملت حالات لغوية في بعض البلدان غير الأوربية (البانيا _ اندونيسيا _ ماليزيا _ فيتنام)(١) .

إن العلاقة بين التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية هي علاقة تلازمية ، إذ لا يمكن أن تقوم سياسة لغوية من غير أن تُسبق بتخطيط لغوي.

إذ يترتب على هذه العلاقة تناول علمي للأوضاع السوسيو لسانية وبلورة نوع من التدخل في هذه الأوضاع.

يعرّف التخطيط اللغوي(٢) بأنه: " تقويم للتغير اللغوي" ، ويفهم على أنه نشاط إنساني مصدره الحاجة إلى إيجاد حل لمشكلة لغوية ويكون منظما وواعيا، وعلى مراحل ولابد للتخطيط من(٣) :

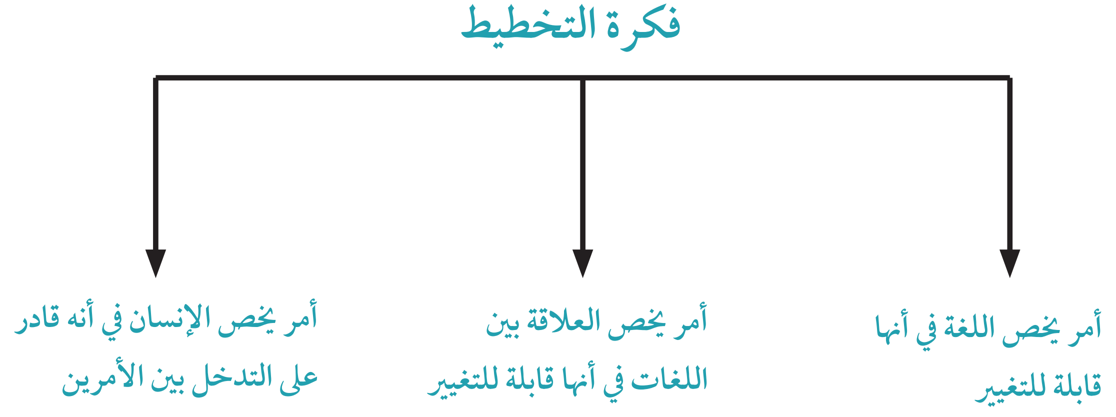
١. تشخيص المشكل، كأن يعتمد المتكلمون صورا مختلفة للغة نفسها أو لا يعتمدون اللغة نفسها.
٢. تصور الحلول الممكنة.
٣. تقويم الحل المختار.

والتخطيط على أنواع، إذ يختلف بحسب الزاوية التي ينطلق منها، فإذا انطلق من زاوية القوى الاجتماعية فهو على نوعين:

١. تخطيط تحفيزي يقوم على التشاور بين القوى الاجتماعية.
٢. تخطيط إجباري يقوم على تجميع الوسائل socialsation الأول معتمد في البلدان الأوربية الغربية، والثاني اعتمد ف البلدان الأوربية الشرقية والشيء المشترك بين النوعين أن كليهما وطني (٤).

أما إذا كان التخطيط ينطلق من زاوية الاستعمال فهو ينقسم على قسمين بحسب (المتن) و(المنزلة)؛ فالذي يخص المتن يقوم على التدخلات التي تعرض لصورة اللغة التي منها (ابتكار الكتابة، التوليد المعجمي، الأبجدية ...) اما الذي يخص المنزلة فيقوم على التدخلات التي تعرض لوظائف اللغة ومنزلتها الاجتماعية وعلاقاتها باللغات الأخرى، التي منها تغير منزلة اللغة وترقيتها إلى لغة رسمية أو لغة تعليم في المدرسة (٥).

وفكرة التخطيط اللغوي تعتمد على ثلاثة أمور يمكن أن تكون على النحو الآتي:



فكل تخطيط لغوي يفرض وجود سياسة لغوية ؛ إذ من الصعوبة أن تجد بلدا توصف فيه اللغة الرسمية على أنها اللغة الأولى ، أي إنها لغة الطفل التي يكتسبها في بيئته وأسرته .

في حين انه يمكن أن تجد أن المسافة بين اللغة الرسمية واللغة الأم ليست واحدة في جميع البلدان ، أي إن المسافة بين اللغة الرسمية (الفصيحة) في مجتمعاتنا العربية ليست بقدر المسافة التي بين اللغة الانكليزية الرسمية واللغة الأم.

وهذا هو احد الأهداف المهمة التي يسعى التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية إلى التقريب بين المستويين وتقليل المسافة إلى اقرب ما يمكن.

يقوم التخطيط اللغوي على وسائل أهمها:

١. إصدار القوانين والتوصيات والتعليمات ، إذ يعد ذلك الأساس الذي يقوم عليه عملية التخطيط ، وتكون هذه القوانين بحسب المشكلات التي يعرض لها التخطيط فبعضها يخص الدفاع عن اللغة بترقيتها أو حمايتها ، وبعضها يخص الاستعمال وبعضها يخص جوهر اللغة وصورتها(٦) .

٢. الوصف الدقيق للأوضاع اللغوية والواقع اللغوي.

٣. الجهد اللساني الذي ينهض بالجانب التقني من جهة والجانب النفسي من جهة أخرى.

٤. تقنيات التدخل واختبارات المجتمع، ففي واقعنا اللغوي يمكن ان نضع توصيفا لسانيا للاستعمال اللغوي من خلال المستويين الفصيح والعامي، وعلى النحو الآتي:

	الفصيحة	العامية
في الاستعمال:	تستعمل في المكتوب والمقروء ونادرا في المنطوق	لا تستعمل في المكتوب ولا المقروء، وتستعمل كثيرا في المنطوق
في الاتصال:	فيها عجز اتصالي تواصلي	وفرة اتصالية تواصلية
منزلتها:	رسمية: تعليم، إدارة، مؤسسات	وطنية: حميمية، تفاهم، اتصال
المستوى:	تنوع رفيع	تنوع وضيع
النمط:	استقلالية، تاريخية	تاريخية، حميمية

ويبدو أن الواقع اللغوي العربي يعاني من اتساع الهوة بين الوعي العام في الاقتصاد والسياسة والمعرفة وغياب الوعي بالمسألة اللغوية، وان هذه الهوة بلغت من الاتساع درجة لم تعرفها المجتمعات الاخرى ، إذ ان اللغة في المجتمع العربي تتعرض للإهمال والإساءة والاختراق بوعي أو بغير وعي.

يقول الدكتور المسدي: ان "التناقض بين ما يقال عن الحفاظ على اللغة وسلامتها وأهميتها ومكانتها وبين السلوك الواقعي والممارسة التي تكون بالضد مما يقال على السنة العرب حكاما وشعوبا ومؤسسات"(٧) .

إن الخطر الذي يحيط بالواقع اللغوي قد يكون من أصحاب القرار والقيمين على أمور الأنظمة السياسية ، فهم لا ينظرون إلى اللغة بوصفها أداة ثقافية تمثل السيادة الثقافية اللغوية حاملة البعد الحضاري ورمزا للهوية الوطنية والقومية ، إذ إننا لا نعرف بلدا عربيا انتهج سياسة لغوية أو أسس للتخطيط اللغوي ، ولم تخصص قمة من قمم العرب وهي كثيرة لتبحث في شأن الخطر الذي يهدد لغتهم _ أصحاب السمو والجلالة _ وكأن الأمر لا يعنيهم لا من قريب ولا من بعيد .

إن المتتبع للمشهد الرسمي العربي يستطيع أن يقرر بأن الأنظمة العربية تميل إلى تفضيل اللهجات العامية واللغات الأجنبية في مجالات الحياة المتنوعة ولاسيما في الإعلام بأنواعه المختلفة وكذلك في المجالات الأخرى كالندوات والمؤتمرات والتعليم الخاص.

لقد سبقتنا أمم ومجتمعات أخذت بمبدأي التخطيط والسياسة ، إذ بواسطة هذين المبدأين حققت ما

كانت تصبو إليه في جعل لغاتها محصنة قوية معافاة ، وكان للحكام والقادة اثر واضح في تطوير الواقع اللغوي متنا ومنزلة ، فهذه فرنسا وهذه الصين وهذه تركيا وهذه اندونيسيا وهذه تنزانيا وهذه إسرائيل التي استطاعت أن تبعث الحياة بلغتها الميتة عن طريق التخطيط والسياسة اللغوية ، فما الذي يمنعنا من أن نخطط مثلما يخطط الآخرون.

الخاتمة:

حرص البحث على أن يكشف عن طبيعة الواقع اللغوي العربي وما يعرض للغة من انكسار وانحسار، وان الخطر الذي يهدد لغتنا يضعنا أمام منعطف خطر تدفع اللغة ثمنه وتتحمل عواقبه ما لم نتنبه ونأخذ الأمور على محمل الجد .

إن إصلاح شأن اللغة ليس بالأمر الصعب أو المستحيل ، فأمامنا تجارب للغات كادت تنقرض وتموت لو لا أن هب أبناؤها فاتخذوا من التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية سبيلا للحفاظ على لغاتهم وسلامتها.

إن تنظيم العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ينهض بها التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية.

الهوامش

(١)ينظر: السياسات اللغوية: ٨.

(٢) السياسات اللغوية: ١٦.

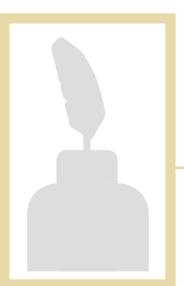
(٣) ينظر: السياسة اللغوية في التعليم: ٥_٦.

(٤) ينظر: السياسات اللغوية: ١٥_١٨.

(٥)السياسات اللغوية: ٢٣.

(٦) ينظر: السياسات اللغوية: ٣٥.

(٧) العرب والانتحار اللغوي: ٢٠.





تَعْلِيمُ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ

(نَحْوَ طَرِيقَةٍ اِسْتِدْلَالِيَّةٍ فِي تَدْرِيسِ النَّحْوِ)

أستاذ اللِّسَانِيَاتِ الْمُسَاعِدُ
د . حَسَن عبدالغني الأسدي
بكَلِّيَّةِ التَّرْبِيَّةِ لِلْعُلُومِ الإنسانية
جَامِعَةِ كربلاء

ملخص البحث:

نَضَعُ بَيْنَ يديّ الْمَعْنِيَّيْنَ بِتَدْرِيسِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِي التعليم الْعَالِي اِقْتِراحَا جَديدًا فِي عَمَلِيَّة تَدْرِيسِهِ يَعْتَمِدُ هَذَا الْاِقْتِراحُ عَلَى تَنْمِيَةِ حِسِّ الطَّالِبِ نَحْوَ كَيْفِيَّةِ فَهْمِهُ وادراكه لِطَبِيعَةِ الْكَلَامِ وَكَيْفِيَّةِ نشأة قواعد الصياغة التركيبيةللكلام ولِفَهْم كَيْفِيَّةِ تَرَابُطِ وَحْدَاتِهِ:الصُّغْرَى التي تمثلها الألفاظ الْمُفْرَدَة والتشكيلات المورفيمية(الصَّرْفِيَّةُ) ومُلْحَقَاتها، والكبرى: وهي وِحْدَاتهُالرَّئِيسَةُالمتمثلة بالْجُمْلِ، وما جاوزها من تركيبات فوق الجملية والنصّ. وَيُمْكِنُ أَنْ نَطْلَقَ عَلَى هَذَا الْمُنْحَى في تَعْلِيم النَّحْوِ الطَّرِيقَةَ الْاِسْتِدْلَالِيَّةَ أَوِ الْاِسْتِنْبَاطِيَّةَ لِتِلْكَ الْقَوَاعِدِ والأحكامِ؛ لأنها تسلك بالمتلقى أن يحوز أول الأمر معارف تأهله للنظر في الكلام والتفتيش عن اصوله وقواعد، وثانيا كشفه الذاتي عن تلك القواعد والتأكّد من صحتها ومعرفة وجه خطئها، والمجالات النحوية التي تنتجها في سبيل أداء الدلالات في عملية التواصل بين طرفي الكلام المتكلم والمخاطب.

وهذه الطريقة تستندإلى إرث عريقفي العربية هو كتاب سيبويه الذي نزعم أنّه قائم على نحو للكلام، وطرائق تحليلية تعرض درسا نحويا علميّا، لا درسا نحويّا تعليميا، ونفرق بين هذين الدرسين بأنّ نحو سيبويه هو بحث للكشف عن آليات الكلام وطرائق تفسير تركيباته ووجوه استعمالها لا نحواً يذكر القاعدة الصحيحة لصياغة الجملة، ويسرد أصناف الفعل ووظائف الاسم في الجملة، وما تقوم به حروف المعاني بينهما وأحكام كل ذلك.

مهاد البحث:

يمثّل تدريس النحو معضلة كبيرة على مرّ عصوره، وحسبك فيما مضى أن بعض المواضع من الكلام صرح بعض العلماء أنّ لم يفهمها إلّا الخليل وسيبويه [١] ، وهذا الأخفش راوي كتاب سيبويه وقارئه على المازنيّ والجرميّ، وكان من تلامذة الخليل ((فبينا هو عند الخليل إذ جاء سيبويه فسأل الخليل عن مسألة ففسّرها له؛ يقول الأخفش((فلم أفهم ما قالا ، فقمت وجلست له (يعني: لسيبويه) في الطريق. فقلت له: جعلني الله فداءك، سألتَ الخليلَ عن مسألة، فلم أفهم ما ردّ عليك ففهّمنيه. فأخبرني بها، فلم تقع لي ولا فهمتها. فقلت له: لا تتوهم أنّي أسالك اعناتاً فإنيّ لم أفهمها ولم تقع لي. فقال لي: ويلك، ومتى توهمت أننّي أتوهّمُ أنّكَ تعنتني. ثم زجرني وتركني ومضى))[٢]. وهناك كثير من هذا، بل لعل مسلك بعض العلماء كان يتعمد الإتيان بما يصعب فهمه، ليكون طريقا له يتعلمونه منهفينال منهم بعض المال.

ونحن نَسْعَى عبر هَذِهِ الْوَرَقَةُ البحثيّة إلى أَنْ نضَعَ بَيْنَ يديّ الْمَعْنِيَّيْنَ بِتَدْرِيسِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِي التعليم الْعَالِي اِقْتِراحَاً جَديدَاًلتَدْرِيسِهِ يَعْتَمِدُ هَذَا الْاِقْتِراحُ عَلَى تَنْمِيَةِ حِسِّ الطَّالِبِ بكَيْفِيَّةِ فَهْمِهُ لِطَبِيعَةِ الْكَلاَمِ وادراكه إياها وَكَيْفِيَّة الكشف عن ْقَوَاعِدِه المؤيدة لفَهْمِ تَرَابُطِ وحداته إبتداء بوَحْدَاتِه الصُّغْرَى: وهي الألفاظُ الْمُفْرَدَةُ والتشكيلات المورفيمية (الصَّرْفِيَّةُ) الْمُلْحَقَةُ وُصُولَا إِلَى وِحْدَتِهِ الْكُبْرَى وَالرَّئِيسَةِ فِي دَرْسِهِ وهي الْجُمْلَةُ. وَيُمْكِنُ أَنْ نَطْلَقَ عَلَى هَذَا الْمَنْحَى فِي تَعْلِيمِ النَّحْوِ الطَّرِيقَةَ الْإِسْتِدْلاَلَيَّةَ أَوِ الْإِسْتِنْبَاطِيَّةَ لِتِلْكَ الْقَوَاعِدِ والأحكام.

إذيُلَاحَظُ أَنَّ الْإِتِّجَاهَ السَّائِدَ فِي تَعْلِيمِ النَّحْوِ المؤسس مُنْذُ قُرُونٍ يَعْتَمِدُ طَرِيقَةَ تَقْرِيرِ الْقَوَاعِدِ وَتَلَقِّيهَا عِبْرَ مُؤَلَّفَاتٍ قَدْ رَصَدَتْ جُهْدَهَا لِذَلِكَ؛ وَهِي كُتُبُ متأخري النُّحَاةِ مِنْ أَمْثَالِ(اِبْنِ مَالِكٍ وابْنِ هشامٍ وَابْنِ أجروم وَابْنِ عقيلٍ، وغيرهم) الْمُجْمَلَةُ وَشُرُوحَاتُهَا، وَمَا عُلِّقَ عَلَيهَا. وعلى الرغم من سهولة تلقي القواعد، وأحكامها المجملة إلاّ أن من يتلقى هذا النحو مَا زَالَ يَعِيشُ فِي وَاقِعٍيراه الكثيرون نكوصاً في تعلّم العربية وتعليمها بل في مجمل دراساتها العلمية!.

وَقَدْ سَعَى نَفَرٌ كَثِيرٌ إلى اجتراح حُلُولٍ ووضع مقترحات تكون السبيل للانتقال بالنحو وتدريسه الى مرحلة جديدة تمثل رؤية صاحبها الناجحة في هذا السبيل؛ وقد تمّ ادراج هذه المحاولات في إطارِ ما أطلق عليه (تَيْسِيرَ النَّحْوِ). الذي على الرغم من مضيٍّ أكثرَ من مِائةِسَنَةٍ علَى بدايةِ حَرَكَته- بله أن تكون أقدم من ذلك بكثير - بَقِّيَ الْوَاقِعُعلى ما كان عليه؛ بل ازداد سُوءً مَعَ اِزْدِيَادِ تردّي مَجَرِّيَاتِ التعليمين الأولي وَالْعَالِي في معظم البلدان المعنية بالعربية، وكذا مخرجاتها ؛ وزاد الأمر سوءاً ما نراه من جفاء واضح تجاه هذه اللغة ولا سيما من أبنائها. وحسبك ما نراه في بلدننا العراق وما نعيشه منذ سنوات مضت.

وَنحن بِهَذِهِ الْوَرَقَةِالبحثيّة نسعى الى طرح مشكلة تدريس النحو العربي على نحو نراه مغايراً لتواجهات دعاة التيسير، ففِي الظَنِّأَنَّ مَسْأَلَةَ صعوبةِ النَّحوِ أو يُسْرِهِ ليست هي المشكلةَالحقيقيّةَ؛ إنّما

تكمن المشكلةُ في مغادرتنا لتلك اللغة التي يُدرس نحوها، وعدم الإيمان بقدرتها على الحياة الفاعلة والمؤثرة في ابنائها وفي العالم. لذا أعتقد أنّ أوّل لبنة في إحياء هذه اللغة يكمن في إحساس المتلقي أنّه غيرُ بعيدٍ عن اللغة التي هو بصددها، ويمكن تنمية هذا الإحساسِ بأنْ يُستدعَى ذلك المتلقي الى عالم تلك اللغة فيدخله كما دخله العلماء السابقون المستنبطون مقتفيا آثارهم؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾{النساء٢٦}.

فأن تُعتمَد طريقة الكشف عن مكونات تلك اللغة عبر نصوصها الفصيحة ليعلل لكل ما تمّ رصده فيها، ولتكن جهات التعليل مما يختاره المتلقي لكن قد يعتمد في ذلك مجموعة من تلك الجهات ؛ لكن على شرط العلم القائم على الاطراد والضبط على نحو هو أشبه بإعْتِمادطريقة الاستنباط مِنْ لَدُنْ مُتَكَلِّمي الْعَرَبِيَّةَ أو علمائها فِي الْعَصورِ التي شهدت ولادة قواعد العربية، الأمر الذي سَيُسْهِمُ على الظن الغالب فِي مُحَاوِرِ مُفِيدَةٍ :

١- تَنْمِيَةِ الْـقِـدْرَةِ الْكَامِنَةِ فِي عَمَلِيَّةِ التحليل والاستنباط وَالتَّوْجِيه .

٢- تَنْمِيَةِ الْقِدْرَةِ اللُّغْوِيَّةِ وَالتَّعْوِيلِ عَلَيهَا لإدراك الْكَلاَمِ الْفَصِيحِ، وَمُعَرَّفَةِ الاخطاء فِي الْجُمَلِ وَاقْتِرَاحِ مُعَالَجَاتِهَا .

٣- جَعَلِ النَّحْوِ وَفِكْرَة تَرَابُطِ الْمُكَوِّنَاتِ الأساس الْحَاضِرِ فِي كَيْفِيَّةِ فَهم النَّحْو.

٤- الْعِودَةِ الى اِسْتِثْمَارِ طَرِيقَةِ سيبويه(وَهُوَ صَاحِبُ الْمُنْزِلَةِ الْعُلْيَا فِي النَّحْوِ مَعَ استاذه الْخَلِيلِ بْن أَحْمَد الفراهيدي) الَّتِي عَوَّلَ عَلَيهَا فِي انجاز كِتَابه وتقييد مَسَائِله.

٥- تَنْمِيَةِ روحِ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ وَالْإِعْتِمادِ عَلَيهَا فِي فَهُمْ بَعْضِ مُنْجزَاتِهَا وهو الكلام .

في البدء نقول أنّ هذا الاقتراح يستمد طرحه من طريقة سيبويه التي عـوّل عليها في إنشاء نحوه وفهم مسائله، بله في نسج أبواب كتابه وتدوين مادته، إذ كانت المشكلة عند سيبويه هي كيفية فهم كلام العرب، والآليات التي نسج على وفقها، والعلاقات التي تجعلُ من وحداتِـه الكبرى (الجمل الصغيرة والكبيرة الممتدة) تدرك بوصفها الكلّيّ أيْ: كونُها كُلًّا واحِداً، وبناءً متَّصِلًا؛ اللفظة باللفظة. ولذا نرى أن سيبويه قدّم في سبيل ذلك طائفة من النظريات اللغوية النحويّة التّي صدّرها في مفتتح كتابه (وهي الأبواب القصيرة المجملة وهي مقدمة الكتاب، التي قدتوهم كثيرون أنّ كتاب سيبويه خلا منها، علما أنّ بعض القدماء قد أدرك خصوصيّة هذه الأبـواب القصيرة التي تصدرت الكتاب فأُطلق عليها رسالة كتاب سيبويه)[٣].

وأبواب مقدمة سيبويه الموجزة هي ما يأتي[٤]:

١. ((هـذا باب علم ما الكلم من العربية))ماز سيبويه فيه أصناف الكلم على ثلاثة إلا أنّ الثنائية واضحة عندما حمل الصنف(الثالث الحرف)على الأثنين الأساسيين فقد وصفه بقوله فيه: وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

٢. ((هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية)) وهو باب العامل وآلية الاعراب المتعلقة بالأسماء وبالأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين،وتظهر ههنا فكرة البناء المقابلة للإعراب،والعلامات الاعرابية الاساسية والنائبة ونظريّة الأصول اللغوية.ومنها يظهر حمل الاسم على التمام في الخضوع لقوانين العربيّة فيكسع بالتنوين أو لا يخضع فيحرم منه.

٣. ((هذا باب المسند والمسند إليه))وهما رُكنا البنية

الاساسيّة للكلام.

٤. ((هذا باب اللفظ للمعاني))وفيه بيان العلاقات الدلالية بين المفردات اللغوية.

٥. ((هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض)) وفيه تقرير واضح لنظريّة الاصول اللغوية.

٦. ((هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة)) وفيه بيان هيمنة المحتوى الدلالي للفعل بسماته المعجميّة lexical features على تكوين الجملة فيحكم على الجملة بالصحة النحويّة أو الدلاليّة أو بالخطأ فيهما.

٧. ((هذا الباب ما يحتمل الشعر))وهو باب متميّز يقرر فيه التسامح النحوي واللغوي في مستوى اللغة الشعرية))[٥].

فهذه الأبواب يمكن أن نفهمها كما نفهم النظريات اللغوية المقترحة في إطار نظرية كلية لفهم اللغة أو لتفسيرها؛ أشبه شيء بها تلك النظريات الفرعية التي قدّمها تشومسكي في إطار نظريته التوليدية التحويلية التي سعى بها الى تفسير الملكة اللغوية التي يمتلكها كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية، ومن ثَمَّ سعيه نحو رسم خيوط النحو الكلي[٦].

ومن تلك النظريات المهمة في هذا الدرس السيبويهي نظرية العامل النحوي، وهي التي يمكن أن نطلق عليها تسمية أخرى هي (نظرية المجالات النحوية)[٧]؛ إذ مفهوم العامل يندرج في ظل مفهوم تكويني أو توليدي تتسم به طائفة البنى المولّدة في الجمل العربية. ونرى أن اعتماد هذه النظرية كان بدافع من محاولة تفسير علاقات الترابط بين الألفاظ داخل الجمل؛ لذا وسمنا هذه النظرية (أعني نظرية العامل)[٨] بأنّها نظريّة تفسيريّة[٩] سعى عبرها سيبويه لتفسير تلك العلاقات، وقدرة الجمل على الامتداد، والتوقف عند حدود معينة تفرضها عليه جملة أمور بعضها من داخل الألفاظ، بمعنى أن لتلك الألفاظ ما يمكن أن نسمه بالقوة على جلب ألفاظ معينة وربطها معا في سياقات الكلام المختلفة، لأداء أغراض محددة.

وكان التوليديون المحدثون قد أدركوا آثارها المهمة في تكوين الجمل فأطلقوا عليها قواعد التصنيف الجزئيّ، وهي جزء من المكون الأساس وتستمد الألفاظ قدرتها تلك عبر مكونات أولية سميت سمات الألفاظ، وسمّها سيبويه دليلاً[١٠].

وبعض تلك القوة تتأتى للألفاظ من محيطها الّذي ترد فيه ونعني به الموقف والحال والنية وقصد المتكلم، وهو البعد الخارجي في التحليل اللغويّ. وعلى العموم فان ذلك لا يخرج عن استثمار لبعض تلك السمات التي تمتلكها الألفاظ في داخلها على نحو خاص!.

ويمكن أن تُجرَى فعاليات تنفيذ هذا المقترح عبر إعدادات مسبقة ترتكز في الأساس على وجود مجموعة من التدريسيين المطلعين والمدركين لكيفية معالجات سيبويه لكلام العرب، وفي ضوء هذا يمكن أن يخضع هؤلاء المتخصصون لدورة تطويرية في هذا المجال؛لتنمية توجهاتهم نحو كتاب سيبويه ونحوه بحسب الطريقة التي نقترحها[١١] بتركيز موّجه ومحدد المعالم، وعلى وفق خطة معدة مسبقا.

ثمّ يلي ذلك خطة العمل التي تتمّ بمرحلتين:

المرحلة الأولى: اختيار نماذج منتقاة من كتاب سيبويه، تلك التي يبرز فيها المنحى التحليليّ

الاستنباطي بوضوح؛ ولاسيما ما يشتمل منها على سؤالات سيبويه لأستاذه الخليل وكذا المواضع التي يشير فيها سيبويه الى مكمن الخطأ في هذا الكلام وكيفية معالجته بالصحيح من الكلام؛ وفي هذا الصدد يمكن القول بأنّ تحليل سيبويه اشتمل على خمسة مسارات تحليلية هي مجالات التحليل النحوي عند سيبويه، ويمكن أن يكتفى في البداية بأقل ذلك وأيسرِهِ فهما .

المرحلة الثانية: بعد أن يتمّ تحصيل الأهداف(المتوقعة) من المرحلة الأولى تأتي هذه المرحلة ليمارس فيها هؤلاء الطلبة ما سبق لسيبويه أنْ مارسه في كتابه عبر ما يمكن أن يكونوا قد ألموا به في المرحلة الأولى. فهذه المرحلة مرحلة إجرائية وتقوم على اختيار نصوص قصيرة ، يمكن أن تشتمل على جمل طويلة وقصيرة وفيها ما فيها ممّا يطرأ على الكلام من تقديم وتأخير وبناء للمجهول وحذف وتحويلات أخرى من حالات إنشائية وإخبارية وترابط جملتين واكتناف بعضها على بعض .

أمّا المدة الزمنيّة التي تستغرقها كل مرحلة من مرحلتي تنفيذ المقترح ، فيمكن أن تشمل كل مرحلة على فصل دراسيّ واحد والأفضل أن يتمّ اشغال السنة الأولى من مرحلة البكلوريوس بالمرحلة الأولى من هذا المقترح فيضم بذلك تعليم الطلبة الأدوات النظرية في التحليل النحوي للكلام بينا تتكفل السنوات التالية بتطبيق المرحلة الثانية وهي مرحلة الإجراء التي يتم بها استنفاذ التطبيقات لتشمل معظم المجالات الرئيسة من متطلبات النحو العربية لهذه المرحلة .

ولأجل أن يتمّ تطبيق هذا المقترح بفاعلية يجب أن يراعى فيه تعدد الفصول لتنفيذ هذا المقترح وليشمل عدة صفوف دراسية مع تعدد النماذج المختارة ومواضع تطبيقاتها ، والسعي نحو مراجعة النتائج عند الانتهاء من كل فصل من فصول الدراسة.

النص السيبويهي المختار :

١- الأبواب الأولى السبعة وهي مقدمة سيبويه لكتابه، ومنهجه فلابدّ من الانتباه إليها ومعرفة التوجهات التي تبنّاها سيبويه وقد نصّ عليها سيبويه في فهمه للكلام ومعالجته له ووصفها بأنّ موضعها هذا موضع جُمَل ونرى أنّه يشير بذلك إلى أن هذه الأبواب هي الأسس التي تجمل طرائق تحليله بل نظرياته في تناول كلام العرب وتحليله، لا أنّه يشير إلى كونها مواضع مختصرة، فحسب.

٢- إنّ التركيز على منهج سيبويه في كتابه والاعتماد على نصوصه لا يعني أن هذا كل شيء في هذا المقترح ؛ لأنّ الأمر يجب أن يسبق بإعداد تخصصيّ وثقافيّ للكادر الذي سيقوم بهذه المهمة، الذي يجب أن يكون متفتحا لتلقي أطراً جديدةً في فهم الجملة، وفهم كلام سيبويه وتوجهاته في تفسير الجمل وتوضيح علاقات الألفاظ فيما بينها.

فهم الجمل وآليات الكشف عنه:

تنقسم نصوص سيبويه الخاصة بهذا الموضع على ضربين:

١. النصوص التي تحكي وقائع حدثت بالفعل،وقام الرواة بنقلها كما وقعت،مع بعض ملابساتها اللغوية وغير اللغويةوكان سيبويه واحداً من هؤلاء الرواة.وتُبرز هذه النصوص مفهوم السياق بمعناه العام،فهي تصوّر ولادة الجملة في بيئتها اللغوية وغير اللغوية.ومنها نصوص الأمثال وطائفة من أقوال العرب وما امتاز من التركيبات عن غيره.

٢. النصوص التي تتناول الكلامعبر وضعه في سياق مفترض، والمعوّل عليه ههنا هي مقدرة النحويّ (المعلم)ومدى إحساسه بمواضع الاختيارات العرفية للمتكلّمين. ويستند النحوي في تحديد أطراف هذا السياق، وجوانبه إلى مايمكن أن تمدّه الجملة من دلالات وظيفيّة لمكوناتها مع الأخذ بنظر الاعتبار البنية الأصل للجملة العربية وقد اصطلحنا على هذا السياق الافتراضيّ بـ(المحتوى الدلالي للجملة) وهو نظرة من داخل الجملة إلى سياقها الخارجي كل ما يمكن أن يفترض من سياق مقام يمكن أن تولد الجملة في كنفه بمعنى ((.. ان الفكرة التي ينبغي عدم إهمالها ههنا–هو جهة الاختلاف في المصطلحين السابقين أعني المحتوى الدلالي للجملة والسياق–فعلى الرغم من هذا الاتفاق في دلالة المصطلحين إلاّ أنهما يختلفان في زاوية النظر فبناء المبحث على المحتوى الدلاليّ للجملة يعني ببساطة أنّ الجملة سيتم فهمها في ضوء إطار من الدلالات الخارجية غير اللغوية وتكون الجملة هي الوسيلة الوحيدة التي ستمّدنا بما نحتاجه لفهمها في بيئتها الخارجيّة أو اللغوية. أمّا في حالة بنائها على السياق فهذا يعني أن السياق سابق للجملة بل الجملة تولد في كنفه فيطبعها بطابعه فالجملة بنت السياق.إن النتيجة الحاصلة من هذا أن الجملة بخضوعها عند نشأتها للسياق تستطيع فيما بعد وعبر التحليل اللغوي أن تقدِّم ذلك السياق لأنّه سيكون محتواها الدلالي.فالسياق اذن نظرة خارجية للجملة أما المحتوى الدلاليّ فهو نظرة من داخل الجملة))[١٢].

فمن نصوص الضرب الأول ماحدّث سيبويه به عن أبي الخطاب إذ قال:((حدثنا أبو الخطاب:أنّه سمع بعض العرب،وقيل له.لِمَ أَفسدتُم مكانَكم هذا؟فقال:الصبيانَ بـأبي))[١٣]وفسره سيبويه بقوله:((كأنّه حَذِر أنْ يُلامَ فقال:لُمِ الصبيانَ))[١٤].

فمن الواضح أنّ أبا الخطاب روى حادثة وقعت أمامه بيّن فيها السلوك اللغوي عند العرب بأنهم يعمدون الى الاستغناء عن النمط الأساسي للجملة بإسقاط بعض مكوناتها تعويلاً على الموقف والمقام الضامن لبقاء المستغنى عنه دلالياً.

وقد يكون الراوي في هذه النصوص سيبويه نفسه من ذلك قوله:((وسمعنا بعضَ العرب الموثوقَ به يقال له: كيف أَصبحتَ ؟ فيقولُ حمدُ الله وثناءٌ عليه كأَنّه يَحمله على مضمَرٍ في نيّته هو المظهَرُ كأَنّه يقول أَمري وشأني حمدُ الله وثناءٌ عليه؛ ولو نَصَبَ لكان الذي في نفسه الفعلَ، ولم يكن مبتدأً ليُبْنَى عليه، ولا ليكونَ مبنيًّا على شيءٍ هو ما أَظْهَرَ))(١٥).

فالموقف الذي شهده سيبويه قدّم له فهماً واضحاً لقول القائل: حمدُ الله وثناء عليه بحمله على مبتدأ هو الخبر معنىً. ولا يغيب عن سيبويه أن ينوّه الى السعة التعبيرية بافتراض حالة النصب الذي سيكون حملاً على فعل مفترض. كما نرى فإن فهم الجملة المتحققة لا يتم بمعزل عن نمطها البنائي(كيفيّة تكوينها الخطي)(١٦). وتكون وظيفة

العلامة الاعرابيّة الكشف عن هوية العامل الذي جلبها، ما يدعو إلى القول بأن المحتوى الدلاليّ للجملة يجب أن ينظر إليه على أنه مجال واحد من المجالات الّتي تفهم الجملة به.

وذكر سيبويه ايضاً:((وحدّثنا بعضُ العرب أنّ رجلاً من بنى أَسَدٍ قال يومَ جَبَلَةَ واستَقبله بَعِيرٌ أَعْـوَرُ فتَطَيَّرَ منه فقال: يا بني أسـد، أَعْـوَرَ وذا نابٍ؟! فلْم يرد أن يَسترشدهم ليُخبِروه عن عَوَرِه وصحّته؛ ولكنه نَبَّهَهم كأَنه قال: أَتَستقبلون أَعْوَرَ وذا ناب!...))(١٧) .

فهذه قصة المثل المشهور: أعور وذا ناب. التي تبيّن قصد القائِل الإخباري بتنبيه قومه إلى تشاؤمه مع أنّ التقدير يفترض وجوه أداة الاستفهام قبل الفعل.

أما الضرب الثاني من النصوص– وهو الأكثر– فمن المرجح أنّ ما يشتمل عليه من منهج تأملي يعدّ من ابتكارات الخليل ففي تناوله لقولهم : مرحباً وأهلاً ؛ ذكر سيبويه ما نصه : ((ولكنّهم حذفوا ذا لكثرة استعمالهم إيّاه وتصرفُّهم حتى استغَنوا عنه بهذا؛ ومن ذلك قولهم مَرْحَباً وأَهلاً ، وإن تأْتِني فأَهْلَ اللَّيل والنهارِ. وزعم الخليل رحمه الله حين مثّله إنّه بمنزلة رَجُلٍ رأيتَه قد سدَّد سهمه فقلتَ القِرطاسَ أي أَصَبتَ القرطاسَ أي أنت عندي ممن سيُصِيبُه؛ وإن أَثْبتَ سهمَه قلت القرطاسَ أي قد استَحقَّ وقوعَه بالقرطاس. فإنَّما رأَيـتَ رجلاً قاصداً إلى مكانٍ أو طالباً أمرّا فقلتَ مَرْحَباً وأَهْلاً أي أدركتَ ذلك، وأُصبتَ فحذفوا الفعلَ لكثرة استعمالهم إيّاه وكأَنّه صار بدلاً من رَحُبَتْ بلادُك وأَهِلَتْ كما كان الحَذَرَ بَدَلا من احْـذَرْ، ويقول الرادُّ وبكَ وأَهْلاً وسَهْلاً وبك أَهْلاً؛ فإذا قال: وبك وأهلاً ، فكأَنّه قد لَفَظَ بـ(مرحباً بك وأهلا). وإذا قال وبك أهلا فهو يقول ولك الأَهْلُ إذا كان عندك الرُّحْبُ والسعةُ؛ فإذا رددتَ فإنَّما تقول: أنت عندي ممّن يقال له هذا لو جئتني؛ وإنَّما جئتَ بِبِكَ لتبيَّن مَن تَعني بعد ما قلتَ مرحبّا كما قلتَ لك بعد سَقْياً. ومنهم من يَرفع فيجَعل ما يُضمِرُهُ هو ما أَظْهَرَ))(١٨).

فابتكار الخليل يتمثّل في الإفادة من طريقة الرواية في فهم مجموعة من الجمل التي لم تأتِ على وفق النمط المتعارف للجملة العربية. وقد أفاد سيبويه من ذلك بصورة واضحة ففي قولهم: أقائماً وقد قعد الناس، وأقاعداً وقد سار الركب قال: ((... وذلك أنّه رأى رجلاً في حال قيامٍ أو حال قُعودٍ فأراد أن ينبَّهه فكأَنّه لَفَظَ بقوله: أتقومُ قائماً وأَتَقُعد قاعداً، ولكنَّه حذف استغناءً بما يرى من الحال، وصار الاسمُ بدلاً من اللفظ بالفعل...))(١٩).

وفي الحق فإنّ هذا المنهج المتأمّل في الظاهرة النحويّة يبحث عمّا تشتمل عليه الجملة من دلالات مقاليّة ومقاميّة غير لغويّة يمكن أن يكون منهجاً جديداً لم يسبق أحدٌ إليه الخليلَ وسيبويه. وهو الأمر الذي يصور بروز اتجاهٍ حديث في فهم النصوص اللغويّة، ولعله أقرب ما يكون أنّه تبنّى طريقة المفسرين في بحثهم عن أسباب النزول(٢٠) سعياً وراء فهم النص الإلهيّ المبارك. وما ذلك عليهما ببعيدٍ خاصة بعد ما سبقت الإشارة إليه من تبنّي سيبويه المنهج التفسيري لفهم كلام العرب اذ ((لم يكن سيبويه... وهو يضع البناء النظريّ والقوانين الكلية للغة العربية معزولاً عن انجـازات الفقهاء والقراء والمحدثين والمتكلمين...))(٢١).

مصطلح الخلف:

يمكن في هذا الصدد الإفادة الكبرى من مجرى آخر من مجريات التحليل النحوي وهو العناية بكل ما يتعلق بـ((توجهات المتكلمين والمخاطبين وغائبين يمكن ملاحظتهم في الجملة وظلالها، فلكلٍّ أثره في الكلام، وأنماطه والوظائف المطلوب إبرازها في الجملة، فالنحو عنده (سيبويه) علم يتوجَّه إلى الكلام بوصفه تداولاً، وإنّ للألفاظ وعلاقاتها أثراً واضحاً في الكشف عن سمات هذا التداول. ويبدو أنّ سيبويه قد تنبّه إلى الجانب الأساس من اللغة وهو الكلام ولم يغب عنه أنّ الكلام انجاز يؤديه المتكلم في إطار من المؤثرات الخارجية التي تتحكم بتوجهات المتكلم وتبعا لذلك تتحكم بالحدث اللغوي(الكلام)؛ وذلك بمحاولاته الدؤوبة لاستعادة السياقات التي وُلِدت فيها العملية الكلامية؛ وهي عناصر خارج الكلام ووحداته الصغرى أو الكبرى لكن الكلام يستطيع أن يختزن داخله تلك العناصر الخارجية... ولقد تمثّل وعي سيبويه في أرقى أمثلته أنْ استعمل مصطلحا خاصا لهذا الجانب من فهم الكلام، وهو مصطلح(الخُلْف) ولكننا لم نجد أنّ هذا التوجّه السيبويهيّ قد حظيَ عند الخالفين باهتمام يوازي أهميته وفاعليته في فهم النحو العربي. وكان سيبويه قد ذكر(الخُلْف) في موضعين من كتابه، مع مواضع أخرى طبّق فيها سيبويه مفهوم مصطلحه))(٢٢).

وقد قدّم سيبويه لنا في هذين الموضعين ما يمكن أن نعدّهما الإشارة الأولى التي ترسم لنا صورة للدرس التعليمي في أيامه، بهيمنة ما يشبه الحال التي نعيشها الآن التي تكتفي بمعرفة إعراب المفردات وعلامات هذا الإعراب ونحو ذلك من المظاهر الشكلية في دراسة الكلام؛ ما دعا سيبويه الى أن يعيب عليهم هذا الاكتفاء الذي ينحط درجات عن فهم الكلام وآليات تحليله. ولقد قدّم سيبويه نصاً مهماً في هذا المجال وذلك عندما قال:((وتقول:إني عبدُالله؛مُصغِّراً نفسه لربّه،ثم تفسر حال العبيد فتقول:آكلاً كما تأكل العبيد. وإذا ذكرتَ شيئاً من هذه الأسماء التي هي علامة للمضمر فإنه محال أن يظهر بعدها الاسم اذا كنت تخبر عن عمل،أو صفة غير عملٍ،ولا تريد أن تعرّفهُ بأنّه زيدٌ أو عمرو.وكذلك إذا لم تُوْعِد ولم تَفخر أو تصغِّر نفسك؛لأنّك في هذه الأحوال تعرِّف ماتَرى أنه قد جُهل،أو تُنزِل المخاطب منزلة من يجهل فخراً أو تهدُّداً أو وعيداً،فصار هذا كتعريفك إياه باسمه. وإنّما ذكر الخليل-رحمه الله-هذا لتعرف ما يُحال منه وما يحسن؛فإنّ النحويين مما يتهاونون بالخُلْف إذا عرفوا الإعراب.وذلك أنّ رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يُخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمرٍ فقال: أنا عبدالله منطلقاً،وهو زيدٌ منطلقاً،كان محالاً؛لأنّه إنّما أراد أن يخبرك بالانطلاق ولم يقل هو،ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية،لأنّ هو وأنا علامتان للمضمر،وإنّما يُضمِر إذا عَلِم أنّك قد عرفت من يعني.إلاّ أن رجلاً لو كان خلفَ حائط،أو في موضعٍ تجهله فيه فقلت:من أنت؟فقال:أنا عبدُالله منطلقاً في حاجتك كان حسناً))(٢٣).

فالنص فيه من الاهمية بمكان ما يرجى لإيضاح التّطور الذي أحدثه الخليل في الدرس اللساني العربي في اعتبار المحتوى الدلالي والسياق وهو ما أصطلح سيبويه(بالخُلْف)(٢٤)الذي وصلت أهميته في التحليل النحوي إلى الحكم على الجملة

بالصحة أو بالخطأ النحويين بحسب طبيعة هذا الخُلْف.

واستعمل سيبويه الخُلف في موضع ثانٍ قوله: ((ومن ذلك أيضاً أن ترى رجلاً قد أَوْقَعَ أمراً أو تعرَّض لِه فتقول متعرَّضاً لعَنَنٍ لم يَعْنِه أي دنا من هذا الأمر متعرَّضاً لعَنَنٍ لم يَعنِه وتَرَكَ ذكرَ الفعل لما يَرى من الحال ومثله بَيْعَ المَلَطَى لا عهدَ ولا عقدَ وذلك إنْ كنتَ في حال مساومةٍ وحالِ بيع فتَدَعُ أُبايعُك استغناءً لما فيه من الحال ومثله (مَواعيدَ عُرْقوبٍ أخاه بَيثْرِبِ) كأَنه قال: واعَدْتَني مَواعيدَ عرقوبٍ أخاه ولكنه ترك واعدتَني استغناءً بما هو فيه من ذكر الخُلْفِ واكتفاءً بعلم من يعني بما كان بينهما قبل ذلك))(٢٥).

ومن الواضح أنّ مجرد ملاحظة العلامات الاعرابية(أي:الاعراب)لا تمدّنا بذلك العمق في تحليل الظاهرة النحوية.ولعل هذه السطحيّة في التعامل مع الجملة هي التي حدت ببعضهم إلى أنْ يسأل الخليل مستغرباً، وربّما مستنكراً–كما هي عادة الناس مع كلّ جديد–وذلك فيما ذكره أبو القاسم الزجاجي(ت٣٣٧هـ)في كتابه : الإيضاحالأسرار النحو إذ قال:((ذكر بعض شيوخنا أنّ الخليل بن أحمد–رحمه الله–سُئل عن العلل التي يعتل بها في النحو،فقيل له:عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟فقال:إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها،وعرفت مواضع كلامها،وقام في عقولها علله؛وإن لم ينقل ذلك عنهم.واعتللت أنا بما عندي أنّه علّة لما عللته منه.فإن أكن اصبت فهو الذي التمست.وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء،عجيبة النظم والأقسام؛وقد صحّت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة،فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال:إنّما فعل هذا هكذا لعلة كذا كذا،ولسبب كذا كذا.سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك. فجائز ان يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار،وجائز ان يكون فعله لغير تلك العلة؛إلا ان ذلك ممّا ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون علّة لذلك فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعول فليأتِ بها))(٢٦).

فالنص يصور هذه المنهجية التي تبحث عن علل البناء وأسباب مكوناته وهيئاتها وهو ما تهاون فيه النحويون(كما قال سيبويه)فمن ثمَّ كان موضعاً لسؤالهم الخليل عنه(٢٧)،

الجملة والمحتوى الدلالي:

خطّ الخليل وسيبويه للنحو العربي ما نذهب إلى أنّه رؤية جديدة في فهم الجملة وتحويلاتها تمثلت في طائفة النصوص التي تتم دراسة الظاهرة النحوية على وفق ما يمكن ان تحيل إليه من اعتبارات المكان والزمان وطرفي عملية التخاطب(المتكلم والمخاطب)اللَذيْن غالباً ما يتخذان وظيفتي(السائل والمجيب)،وهي الاعتبارات التي يتبناها الوظيفيون المعاصرون على ما سبق. ولقد((خطّ الخليل وسيبويه للنحو العربي ما نذهب إلى أنّه رؤية جديدة في فهم الجملة وتحويلاتها تمثلت في طائفة النصوص التي تتم دراسة الظاهرة النحوية على وفق ما يمكن أن تحيل إليه من اعتبارات المكان والزمان وطرفي عملية التخاطب(المتكلم والمخاطب)اللَذيْن غالباً مايتخذان وظيفتي(السائل والمجيب)،وهي الاعتبارات التي يتبناها الوظيفيون المعاصرون))(٢٨).

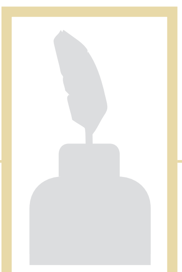
((إنّ النحو عند سيبويه في ظل هذا التوجه نحو فهم الجملة هو نحو أداء وانجاز، ونحو حدث يقع في عملية تخاطب؛ وليس النحو مختصرا على كونه نحو تعلق وبناء وتركيب، أو نحو أصول وأقيسة. ولقد عمد سيبويه ههنا إلى توثيق مأخذه على نحويي عصره الذين – على ما يبدو– انصب جهدهم على معرفة الإعراب، وهو المظهر الشكلي للكلام. على حين صوّر هذا التوجه الوظيفي عند سيبويه عبر تعلقه بعناصر من خارج الجملة ضرورة منهجيّة في تكامل فهم الجملة وتكامل مجالات تحليلها. وقد كان ظهوره فعّالاً في طائفة من التركيبات المتداولة التي اشتملت على نقص ما في بنائها من نحو: القرطاسَ والله، وحديثَك، وغيرها. ولقد أتاح هذا الموضع فرصة تحليلية لإشراك البيئة البصرية عبر مظاهر متعددة استوحاها سيبويه منها))(٢٩).

خلاصة البحث:

إنّنا في هذه الورقة البحثية نرى أن تدريس النحو لا ينبغي النظر الى مشكلته الراهنة من جهة الصعوبة والسهولة ، بل من جهة منهجية تناوله، وقد تبنى البحث أن ترتكز تلك المنهجية على ادخال المتلقي الى عملية الكشف عن قواعد الكلام أو الاستدلال عليها، لا أن يكتفى بتلقينه تلك القواعد .

ونرى بهذا الصدد ان نسترجع الطريقة التي تعامل بها سيبويه في فهمه كلام العرب، وهي الطريقة العلمية في فهم النحو واكتسابه لا الطريقة التعلمية السائدة. تلك الطريقة التي اعتمدت على خلفيات نشوء الجملة وسياقها الذي ولدت فيه.

وتبقى هذه المسألة معلقة بمدى استيعابنا للجهد المقدم في كتاب سيبويه ليكون لنا معينا نحو تطوير عملية تدريس النحو وسائر علوم العربية.



الهوامش

(١) ذكر ذلك السيرافي عن .....

(٢) من أعلام البصرة سيبويه : ٣٨.

(٣) منهم الزجاجي، فمن كتبه التي رصدها محقق الايضاح في علل النحو: ص٧ ومن كلام المحقق.

(٤) ينظر لأبواب المقدمة المواضع الآتية تباعاً الكتاب: ١/ ١٢ و ١٣ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦.

(٥) مفهوم الجملة عند سيبويه:٤٦-٤٧.

(٦) ينظر: التطوراتالنظريةوالمنهجيةللنظريةالتو ليدية في نصف قرن: ص١٤٥ د.حمدان رضوان أبو عاصي ففي المرحلة الثالثة من مراحل تطور النظرية التوليدية التحويلية وهي مرحلة نظرية العمل والربط، أو المبادئ والوسائط، وهي تشتمل على النظريات الفرعية الآتية:

١ - نظريةالسينالبارية.

٢ - نظريةالمحورأونظريةالثيتا.

٣- نظريةالحدود.

٤ - نظريةالحالة.

٥ - نظريةالعمل.

٦- نظريةالربط .

(٧) كنا قد نوّهنا إلى هذه النظرية السيبويهية ورسمنا معالمها عبر ما جاء به سيبويه في عملين سابقين، ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٥٤ومابعدها (الفصل الثالث المبحث الثاني)، والمفهوم التكويني للعامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه.

(٨) ننأى بهذه النظرية عن مجمل التعقير الذي طالها وطال النحو العربي، بالاتجاه في فهم العلاقات اللفظية داخل الجمل الى طرق عقلية متأثرة بتوجهات فلسفية؛ الأمر الذي قاد بعضَ القدماء وكثيراً من المحدثين الراغبين في تيسير النحو الى تبنِّي إلغاء هذه النظرية ليسلم النّحو من صعوباته وتقعُّرِه. وهو - كما نرى - فيه جهل واضح بالأساس الأول الذي بني عليه النحو العربي عند عالمه الكبير سيبويه وأستاذه الخليل بن أحمد.

(٩) في هذا الصدد نقول إنّ وعي سيبويه لعمله النحوي ، ولكل نظرياته داخل هذا المجال ما هو إلا منحى تفسيريّ وتعليليّ لكلام العرب للكشف عن آليات فهمه، والقول بصحة ما تمّ طرحه منها بسبب من النتائج التي تمّ التوصّل إليها وتجلى هذا الوعي عند سيبويه في أولى مظاهره باستعمال مفردة التفسير وأخواتها في ما يزيد على (١٥٠) مرة في كتابه جاء أكثر ذلك في القسم الأوّل من الكتاب. وذكر سيبويه مصطلح المفسرين في الكتاب في : ٢/ ١٥٤، ٣/ ١٢٧، ٣/ ١٣٨ ، ٢٤٢. ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه:٣٥.

(١٠) ينظر : كتاب سيبويه: ١/ ٣٤.

(١١) ويمدنا عملنا في الدكتوراه وبعض البحوث الملحقة ما يمكن أن يمثّل الإطار المنهجي(أو التنظيري) في وضع خطة تدريس النحو وكيفية

إدارة معلوماته على نحو يحقق النتيجة المتوخاة.

(١٢) مفهوم الجملة عند سبيويه:١٩٥.

(١٣) الكتاب:١/ ٢٥٥.

(١٤) الكتاب:١/ ٢٥٥.

(١٥) الكتاب:١/ ٣٢٠.

(١٦) آليات سيبويه في النظر الى الجملة العربية متعددة ، ولعل من أهمها نظرته التي تندرج في كيفية فهم تكوين الجملة وامتدادها؛ ولمّا كان هذا الموضع ممّا يحتاج فيه الى الدّقة والتّخصص، وهو أمر متعسِّر للمرحلة التعليمية فقد أهملنا التعرض له في مقترحنا هذا ، إلا شيئا يسيرا مما مفيد في موضعه أن نذكره.

(١٧) الكتاب:١/ ٣٤٣.

(١٨) الكتاب:١/ ٢٩٥.

(١٩) الكتاب:١/ ٣٤٠-٣٤١.

(٢٠)ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها:٣٤٨ومابعدها.

(٢١) اشكاليات القراءة وآليات التأويل:٥

(٢٢) اثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه: ٩١-٩٢.

(٢٣) الكتاب:٢/ ٨٠-٨١.

(٢٤)استعمل المصطلح أيضاً في الكتاب:١/ ٢٧٢. والظاهر كون الكلمة على هذا الشكل أعني(الخُلْف)هي المرادة لأنها من المثلث اللغوي وفي المثلث للبطليوسي:١/ ٤٧٦((الخُلْفُ:جمع خَليف وهو الطريق خَلْفَ الجبل))،أما (خَلْف) فالذي لاخير فيه أو الكلام لاخير فيه(ينظر المثلث١/ ٤٨٤).وكان سيبويه قد استعمل(خَلْف في الكتاب ٢/ ٣١٦و٣١٧). وممّا يجدر ذكره في هذا المصطلح أنه لم يتنبّه إليه القدماء والمحدثون وتعد إشارتنا في أطروحة الدكتوراه: مفهوم الجملة عند سيبويه:١٩٩؛ إلى استعماله أول إشارة وإبراز لهذا المصطلح.

(٢٥) كتاب سيبويه:١/ ٢٧٢.

(٢٦) الايضاح في علل النحو:٦٥-٦٦.

(٢٧) ويبدو أنّ ذلك لم يرق لهم من سيبويه ايضاً الذي تبنّى منهج شيخه الخليل فقد وجه ثعلب(ت٢٩١هـ)زعيم الكوفيين في وقته نقداً له فجعل هذا المنهج عيباً على سيبويه بل أراد ايهامنا بتأخّر منزلة سيبويه العلمية عن الفراء لتبنيه إياه وذلك فيما نقله ابو بكر الزبيدي في ترجمته للفراء اذ قال:((قال ابو العباس أحمد بن يحيى:العرب تخرج الإعراب على اللفظ دون المعاني،ولا يفسد الاعراب المعنى،فإذا كان الاعراب يُفسد المعنى فليس من كلام العرب؛وانّما صح قول الفراء لأنّه عمل العربية والنحو على كلام العرب.فقال كل مسألة وافق إعرابها معناها ومعناها إعرابها فهو الصحيح،وإنّما لحق سيبويه الغلطُ لأنه عمل كلام العرب على المعاني وخلّى عن الألفاظ،ولم يوجد في كلام العرب ولا أشعار الفحول إلاّ المعنى فيه مطبّق للإعراب والاعراب مطبّق للمعنى.وما نقله هشام عن الكسائي فلا مطعن فيه،وما قاسه فقد لحقه الغمز،لأنه سلك بعض سبيل سيبويه،فعمل العربية على المعاني وترك الالفاظ،والفراء جمل العربية على الألفاظ والمعاني فبرع،واستحق التقْدِمة...)).

فمن الواضح أنّ ثعلباً رأى اهتمام سيبويه بالمعاني الخلفية للكلام مطعناً له في وقوع الغلط.ويبدو أن النص السابق لسيبويه أصحّ موضع يُوجّه إليه هذا النقد من ثعلب.

(٢٨) مفهوم الجملة عند سيبويه:٢٠١.

(٢٩) أثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه:٩٤-٩٥.

ثبت المظان :

١) أثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه/ د.حسن عبدالغني الأسديّ/ مجلة كلية التربية/ جامعة واسط/ عدد خاص ببحوث المؤتمر الخامس لكلية التربية للعلوم الإنسانية/ نيسان٢٠١٢م/ ص٧٧-١٠١.
٢) اشكاليات القراءة وآليات التأويل/ د.نصر حامد أبو زيد/ المركز الثقافي العربي/ المغرب/ ط٤/ ١٩٩٦.
٣) الايضاح في علل النحو/ ابو القاسم الزجاجي(٣٣٧هـ)/ تح:د.مازن المبارك/ دار النفائس/ مؤسسة مطابع معتوق/ بيروت/ ط٢/ ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٤) التطوراتالنظريةوالمنهجيةللنظريةالتوليدية في نصف قرن:ص١٤٥ د.حمدان رضوان أبو عاصي/ مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية/ مج٤/ ع٣.
٥) طبقات النحويين واللغويين/ ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي(ت٣٧٩هـ)/ تح:محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف بمصر/ د.ت
٦) الكتاب-كتاب سيبويه/ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٥)/ تح:عبدالسلام محمد هارون/ عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت(د.ت)/
٧) اللغة العربية معناها ومبناها/ د.تمام حسان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٧٩.
٨) المثلث/ ابن السيد البطليوسي(٤٤٤هـ-٥٢١هـ)/ تحـ ودراسة:صلاح مهدي الفرطوسي/ دار الرشيد للنشر/ دار الحرية للطباعة/ بغداد/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٩) مفهوم الجملة عند سيبويه/ د.حسن عبدالغني الأسدي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ ٢٠٠٧.
١٠) المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه/ أ.د.غالب المطلبي ود.حسن عبدالغني الأسدي/ مجلة المورد العراقية/ ع٣/ ١٩٩٩م.
١١) من أعلام البصرة سيبويه هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه/ د.صاحب جعفر ابو جناح/ منشورات وزارة الاعلام العراقية/ دار الحرية للطباعة/ بغداد/ ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م



الميزان الصّرفي

(من مصاديق الافتراض في الصّرف العربيِ)

د.حيدر عبد علي حميدي

جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

يُشكّلُ الميزانُ الصّرفي ركنًا مهمًّا من أركانِ الصّرفِ العربي ، و يُعدُ واحدًا من مصاديقِ الافتراضِ في هذا العلمِ ، إذ لم يكن ممّا سمعَه علماءُ العربيةِ عن الأعرابِ في الباديةِ ، و إنّما هو من افتراضاتِهم الكثيرةِ في علمِ الصّرفِ ، و به تمكّنَ العلماءُ من دراسةِ الوحدةِ اللّغويةِ المجرّدةِ و المزيدةِ ، و دراستِها في حالةِ الادغامِ و الاعلالِ و الابدالِ و القلبِ المكاني ، زيادةً على حصرِ كلماتِ العربيةِ على شكلِ أرقامٍ ، كعددِ الكلماتِ الثّلاثيةِ و عددِ الكلماتِ الرّباعيةِ ، ...الخ . و لم يكتفِ العلماءُ بافتراضِ الميزانِ الصّرفي لوزنِ الكلمةِ ، بل راحوا يفترضونَ موازينَ متعدّدةَ للكلمةِ الواحدةِ ، منها ما أعتمدَ على المعنى في الوصولِ إلى وزنِ الكلمةِ ، و منها ما أعتمدَ على الاشتقاقِ ، و منها ما أعتمدَ على الكثرةِ في الاستعمالِ .

الميزان لغةً :

هو من " وزنتُ الشّيءَ وزنًا ، و الزِّنةُ : قدرُ وزنِ الشّيءِ ، و الأصلُ وَزْنَةٌ " [١] ، قالَ الخليلُ : " الوزنُ : ثِقَلُ شيءٍ بشيءٍ مثلِه كأوزانِ الدّراهمِ ، ويُقالُ : وَزَنَ الشّيءَ إذا قدّرَه ... والميزانُ ما وزنتَ به " [٢] ، و " يُقالُ للآلةِ الّتي يُوزنُ بها الأشياءُ ميزانٌ أيضًا ، قالَ الجوهريُّ : أصلُه مِوْزانٌ انقلبتْ الواوُ ياءً لكسرةِ ما قبلَها و جمعُه : موازينُ ... و الميزانُ : العدلُ ، و وازنَه : عادلَه و قابلَه " [٣] ، و " الوزنُ أصلُه مثقالُ كلِّ شيءٍ وزنُه " [٤] .

الميزان اصطلاحًا :

هو آلةٌ مُفترَضةٌ تُوزَنُ بها الألفاظُ المتصرّفةُ لمعرفةِ أصواتِها الأصليةِ من الزّائدةِ ، و جعلوا لها مكوّناتٍ هي (الفاء و العين و اللّام) ، و كلُّ ما زادَ على هذه المكوّناتِ من حروفِ الكلمةِ و لم يكنْ تكرارً للأصلِ حكموا بزيادتِه [٥] .

من هذا يتبيّنُ لنا أن المعنى الاصطلاحي لهذه اللّفظةِ لم يبتعدْ عن المعنى اللّغوي .

و قد سمّاه القدماءُ بمسمّياتٍ أخرى منها : (تقدير) [٦] ، و (مثال) [٧] ، و(صورة، ومِثل، و بِناء ، ولَفظ) [٨] ، و (تمثيل) [٩] .

و الميزانُ الصّرفيّ لم يُسمعْ عن العربِ ، و لم يُقسْ على ما سُمِعَ عنهم ، بل هو من افتراضِ علماءِ العربيةِ ؛ من أجلِ ضبطِ حروفِ الكلمةِ العربيّةِ و تحديدِ دلالتِها ، و يصفُه أحدُ الباحثينَ بقولِه : " كما يُعدُّ درّةَ الصّرفِ العربي هذا النّموذجُ ، نموذجُ الميزانِ الصّرفي القائمِ في أساسِه على التّمييزِ بين الحروفِ والحركاتِ من جهةٍ ، و على الجذرِ (الحروفِ الاصليّةِ) و حروفِ الزّياداتِ الصّرفيّةِ من جهةٍ أخرى ، و هو يمثِّلُ عملًا عربيًّا خالصًا ، لا يشترِكُ معهم فيه أحدٌ ، بل مثّلَ عملُهم هذا تحدّيًا للعقليّةِ الغربيّةِ الّتي لم تألفْ في الصّرفِ هذا النّمطَ من التّجريدِ " [١٠] . فبذلك يكونُ الميزانُ الصّرفي معيارًا لضبطِ أصواتِ الكلمةِ في ضوءِ معرفةِ أصولِها و زوائدِها ، و ترتيبِ تلك الأصواتِ في بنيةِ الكلمةِ ، و للتّفريقِ بين دلالةِ الكلماتِ و تحديدِها كاسمِ الفاعلِ و اسمِ المفعولِ و المصدرِ و الفعلِ الماضي و المضارعِ و الأمرِ ، و أختصروا كلَّ ذلك في مادّةٍ ثلاثيّةِ الأصولِ ، توزنُ بها جميعُ الكلماتِ و هي :(ف ع ل) [١١] ، و وضعوا الميزانَ الصّرفي على ثلاثةِ أحرفٍ ؛ لأنّهم رأَوا أنّ أكثرَ كلماتِ اللّغةِ العربيّةِ ثلاثيّةُ الأصولِ ، لذلك قابلوا أصولَ الكلمةِ بأصولِ الميزانِ ، و إذا زادتْ الكلمةُ على ثلاثةِ أصولٍ زيادةً أصليّةً ، زِيدَتْ في وزنِها لامًا أخرى ، فيُصبحُ الميزانُ (فعلل) ، و كذا إذا كانت الكلمةُ خماسيّةَ الأصولِ زِدَتْ لامًا ثالثةً ، فيُصبحُ الميزانُ (فعلّل) ، مثلُ (سفرجل) ، أمّا إذا كانت الحروفُ الزّائدةُ على الكلمةِ غيرُ أصليّةٍ فإنّنا نُضيفُها على الميزانِ الصّرفي . و حروفُ الزّيادةِ مجموعةٌ في عبارةِ (سألتمونيها) ، و إذا كانت الزّيادةُ في الكلمةِ ناتجةً عن تكرارِ أصلٍ من أُصولِها ، فإنّنا نكرّرُ الأصلَ الّذي يقابلُه في الميزانِ ، مثل : (علَّمَ = فعَّلَ) [١٢] ، و هناك لمحةٌ ذكيّةٌ تُرصَدُ للقدماءِ في افتراضِهم (الميزانَ الصّرفي) ، و هي أنّهم وضعوه على ثلاثةِ أحرفٍ و لم يجعلوه على أربعةِ أحرفٍ ؛ لأنّنا إذا قابلنا كلمةً مكوّنةً من ثلاثةِ أصولٍ ، و هو الأكثرُ في اللّغةِ العربيّةِ [١٣] ، فإنّنا سنضطرُّ إلى حذفِ أصلٍ من أصولِ الميزانِ الصّرفي ، في الوقتِ الّذي

لا يوجدُ حذفٌ في الكلمةِ الّتي تقابلُه [١٤] ، و في هذه الحالةِ لا تكونُ عمليةُ الوزنِ مضبوطةً و دقيقةً ، فالميزانُ بمفهومه العام يجبُ أن يمثِّلَ حركاتِ الكلمةِ الموزونةِ و سكناتِها و ما يُصيبُها من تغييرٍ ، فلكي يكونَ الميزانُ الصّرفي معيارًا أو ميزانًا مُحْكَمًا يجبُ أن يصوّرَ لنا الكلمةَ الموزونةَ تصويرًا دقيقًا ، و يرصدَ كلَّ التّغييراتِ الّتي تُصيبُها ، لذلك جاءَ الميزانُ على ثلاثةِ أصولٍ . زِدْ على ذلك أنّ الميزانَ الصّرفي يُعدُّ سمةَ اختصارٍ في اللّغةِ العربيّةِ " فإنّ قولَكَ : وزنُ استخراج (ا س ت ف ع ا ل) أخصرُ من أن تقولَ : الهمزةُ ، و السّينُ ، و التّاءُ ، و الالفُ ، في (استخراج) زائدةٌ " [١٥] ، و هذا الاختصارُ هو تيسيرٌ و تسهيلٌ للمتعلّم .

و لولا الميزانُ الصّرفي لما استطاعَ العلماءُ أن يحصوا أبنيةَ اللّغةِ ، فهذا ابنُ القطّاعِ (٥١٥هـ) قد ذكرَ في كتابِه (ألفَ مثالٍ و خمسمائةَ مثالٍ) بعدَ أن ذكرَ أقوالَ العلماءِ السّابقينَ عليه في أعدادِ أمثلةِ الكلماتِ [١٦] . و بذلك يكونُ الميزانُ الصّرفي طريقةَ تيسيرٍ عمليةً ، و لا سيما في إحصاءِ جذرِ الكلماتِ و تصريفاتِها .

فبالميزانِ الصّرفي استطاعَ العلماءُ أن يقدِّموا كلماتِ اللّغةِ على شكلِ أرقامٍ مختصرةٍ ، و إلى الآن – و بحسب علمي – لم يستطعْ الدّرسُ اللّغوي أن يخترعَ طريقةً أكثرَ دقّةٍ من (الميزانِ الصّرفي) لإحصاءِ الكلماتِ و متابعةِ التّغييراتِ الّتي تطرأُ عليها ، على الرّغمِ من أنّ الدّرسَ اللّغوي الغربي أوجدَ منهجَ (الوحدة–العملية) (Item–Proces) ومختصرُه (IP) في القرنِ التّاسع عشر ، و الّذي يقابلُ (الميزانَ الصّرفي) في اللّغةِ العربيّةِ ، و قد لقيَ هذا المنهجُ قبولًا و تأييدًا بين النّحاةِ التّوليديين ، و هذا المنهجُ يرصدُ العملياتِ الصّرفيَّة الّتي تقومُ في مختلفِ أنواعِ الكلماتِ ، مثلُ : عمليّةُ توليدِ الكلماتِ ، الّذي يقابلُها (الاشتقاقُ) في اللّغةِ العربيّةِ ، و كذلك عمليّةُ تعدّدِ صورةِ الكلمةِ الواحدةِ ، و الّتي يقابلُها في اللّغةِ العربيّةِ التّصريفاتُ الّتي تنتقلُ بها الكلمةُ من وجهِ التّذكيرِ إلى وجهِ التّانيثِ ، و من وجهِ الإفرادِ إلى وجهي التّثنيةِ و الجمعِ ، و عمليّاتٌ تتكيّفُ بها الكلماتُ صرفيًّا ، و الّذي يقابلُها الاعلالُ و الابدالُ في اللّغةِ العربيّةِ [١٧] ، و على الرّغمِ ممّا يقومُ به منهجُ (الوحدةِ–العمليّةِ "IP") ، المقابلُ للميزانِ الصّرفي في اللّغةِ العربيّةِ ، إلّا أنّه لا يرقى إلى مستوى الدّقةِ في الدّراساتِ الصّرفيّةِ ، الّتي اتّصفَ بها الميزانُ الصّرفي ، إذ سجّلَ بعضُ الباحثين بعضَ الثّغراتِ في هذا المنهجِ [١٨] ، و قد صرّحَ بعضُ اللّغويين الغربيين بدقّةِ الميزانِ الصّرفي في اللّغةِ العربيّةِ بقولِهِ : " أسّسَ في القرن الثّامن سيبويه مؤلفُ أوّلَ نحوٍ تامٍّ للّغةِ (الكتاب) الوصفَ الصّرفي لها الّذي بقيَ فعلياً منذ ذلك الحين و هو يؤدي إلى تحديدِ الجذورِ المعجميّةِ الثّلاثيّةِ غالبًا للأفعالِ ، مثبتاً أنها تمثِّلُ أساسَ مجموعةٍ كبيرةٍ من صيغِ الاشتقاقِ و التّصريفِ (ك ت ب) واجهَ هذا وحدَه الاوربّيون لأوّلِ مرّةٍ بمفهومٍ صرفيٍّ ذي مستوى تجريدي أعلى كثيرًا من نموذجِهم التّقليديّ الّذي تصوّروه حتّى الآنَ في الكلمةِ و التّصريفِ كليّةً " [١٩] .

فبوساطةِ افتراض (الميزانِ الصّرفي) استطاعَ العلماءُ دراسةَ الوحدةِ اللّغويّةِ المجرّدةِ و المزيدةِ و النّاقصةِ ، و دراستَها في حالةِ الادغامِ و الاعلالِ و الابدالِ و القلبِ المكاني [٢٠] ، فلولا الميزانُ الصّرفي لما استطاعوا أن يدرسوا هذه الاحوالَ و التّغييراتِ الّتي تحدثُ في الكلمةِ ، و صياغةَ القوانينِ الصّرفيّةِ الخاصّةِ بها .

و لم يكتفِ الصّرفيونَ بافتراضِ الميزانِ الصّرفي ، بل راحوا يفترضونَ للكلمةِ الواحدةِ أكثرَ من وزنٍ واحدٍ ، مثالٌ على ذلك الكلماتُ الآتيةُ :

١-إنسان :

افترضَ الصّرفيونَ لهذه الكلمةِ وزنينِ :

أ-(فِعلان) : ذهبَ البصريونَ إلى أنَّ الهمزةَ في كلمةِ (إنسان) أصليّةٌ ، والألفُ و النّونُ زائدتانِ ؛ لأنَّه مأخوذٌ من (الإيناسِ و الطّمأنينةِ) ، و هو خلافُ الإيحاشِ ، أو من (آنسَ الشّيءَ : إذا أحسّه و أبصرَ) [٢١] ، و منه قولُه تعالى : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾[النمل/ ٧] .

ب-(إفعان) : ذهبَ الكوفيّونَ إلى أنَّ الهمزةَ في كلمةِ (إنسانٍ) زائدةٌ ، و كذلك الألفُ و النّونُ ، فهو مشتقٌّ من (النّسيانِ) ، و الأصلُ فيه (إنسيانٌ) ، بدليلِ تصغيرِه على (أُنَيسيانٍ) ، فتعودُ الياءُ المحذوفةُ إلى الكلمةِ ، إلّا أنّها حُذِفت من الأصلِ بسببِ كثرتِها في كلامِهم [٢٢] .

٢-الياس :

افترضَ الصّرفيونَ لهذه الكلمةِ ثلاثةَ أوزانٍ هي :

أ-(**إِفْعَال**) : همزتُه زائدةٌ و ياؤه أصليةٌ ، و هو مصدرٌ سُمِّيَ به ، مشتقٌّ من (الأليس) و هو الشّجاعُ [٢٣] .

ب-(**الفَعْل**) : ذهبَ الفرّاءُ إلى أنَّ (الياسَ) مشتقٌّ من (اليأسِ) ، و ذكرَ قراءةً في قولِه تعالى : ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات/ ١٢٣] ، فقرأها : (و إنَّ اليأسَ) ، فبذلك تكونُ الألفُ و اللّامُ زائدتينِ ، و الياءُ و الألف الثّانيةُ أصليتينِ [٢٤] .

ج-(**فِعْيال**) : أجازَ أبو بكرٍ بن الانباري (٣٢٨ه) أن يكونَ (إلياس) على وزنِ (فِعْيالٍ) ، مشتقٌّ من (الألسِ) و هو الحمقِ و الجهلِ [٢٥] ، و بذلك تكونُ الهمزةُ و اللّامُ أصليتينِ ، و تكونُ الياءُ و الألفُ زائدتينِ ، و قد استشهدَ بقولِ الشّاعرِ [٢٦] :

فاسمعْ لأمثالٍ إذا أُنشِدَتْ ذكّرتِ العلمَ و لم تنسه
سوائر لـم يـكُ تحبيرُها عن فهّةِ العقلِ و الألسه

٣-مسيح :

و افتُرِضَ في هذه الكلمةِ وزنانِ :

أ-(فَعِيل) : ذهبَ أبو العبّاسِ ثعلب (٢٩١ه) إلى أنَّ وزنَ هذه الكلمةِ (فَعِيلٌ) ، و هو مأخوذٌ من (مسح الأرضِ) ، أي : قطعها ، و قيلَ : هو مأخوذٌ من (الأمسح) ، أي : ليس لرجلِه أخمصٌ [٢٧] ، فالميمُ أصلٌ و الياءُ زائدةٌ .

ب-(مَفْعِل) : و نقلَ أبو البركاتِ الأنباري : أنّ (مسيحًا) على وزنِ (مَفْعِلٍ) ، و أصلُه : مَسْيِحٌ ، فحُوِّلت كسرةُ الياءِ إلى السّينِ فصارت (مَسِيحًا) ، فالميمُ زائدةٌ و الياءُ أصليةٌ ، و هو مشتقٌّ من السّياحةِ في الأرضِ [٢٨] .

٤-موسى :

و افتُرِضَ فيه وزنانِ أيضًا هما :

أ-(**فُعْلى**) : ذهبَ الكسائي إلى أنّ (موسى) على وزنِ (فُعْلى) ، و هو من (ماسَ يميسُ) : إذا تبخترَ في مِشْيَتِه ، و هو مؤنّثٌ [٢٩] .

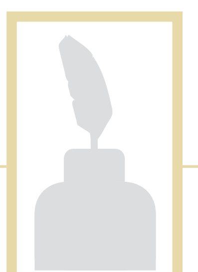
ب-(**مُفْعَل**) : ذهبَ البصريونَ إلى أنّ (موسى) على وزنِ (مُفْعَلٍ) ، فتكونُ الميمُ زائدةً ، و هي مشتقّةٌ من (أوسيتُ رأسَه) ، أي : حلقْتُه ، و هو

مذكّرٌ (٣٠) ، و ذهبَ السّيرافي إلى جوازِ اشتقاقِه من (أسوتُ الجرحَ) ، أي : أصلحتُه ، فأصلُه : مؤسى بهمزِ الفاءِ (٣١) ، أو من (الأسوةِ) كما جوّزَه ابنُ خالويه (٣٧٠هـ) (٣٢) ، قد علّلَ ابنُ جني زيادةَ الميمِ في هذه الكلمةِ بقولِه: " و اعلمْ أنّك إذا حصّلتَ حرفينِ أصلينِ في أوّلِهما ميمٌ أو همزةٌ ، و في آخرِهما ألفٌ فاقضِ بزيادةِ الميمِ و الهمزةِ ؛ و ذلك أنّا اعتبرنا اللّغةَ فوجدنا أكثرَها على ذلك ، إلّا أن تجدَ ثَبَتًا تتركُ هذه القضيةَ إليه ، و ذلك نحو : موسى و أروى و أفعى مثالُهما (مُفْعَلٌ و أفْعَلٌ) و ذلك انَّ (مُفْعَلًا) في الكلامِ أكثرُ من (فُعْلى) ، و (أفْعَلٌ) أكثرُ من (فُعْلى) ، ألا ترى أنَّ زيادةَ الميمِ أوّلًا أكثرُ من زيادةِ الألفِ رابعةً " (٣٣) .

و هناك كثيرٌ من الكلماتِ الّتي اختلفَ العلماءُ في وزنِها ، فافترضوا لها أوزانًا متعدّدةً (٣٤) ، و هذه الافتراضاتُ منها ما اعتمدَ على المعنى في الوصولِ إلى وزنِ الكلمةِ ، و منها ما اعتمدَ على الاشتقاقِ ، و منها ما اعتمدَ على الكثرةِ في الاستعمالِ .

و الّـذي نستفيدُه من افـتراضِ أوزانٍ متعدّدةٍ للكلمةِ الواحدةِ هو أن يكونَ للكلمةِ أكثرُ من معنًى تبعًا لشكلِ الميزانِ الصّرفي المفترضِ -و هذا ما أشاعَ معاني الأبنيةِ- كما مرَّ بنا في كلمةِ (إنسانٍ) ، فإذا كانت على وزنِ (فِعْلان) فهي من الأنسِ و الطّمأنينةِ الّتي هي ضدُّ الإيحاشِ ، و إذا كانت على وزنِ (إفعان) فهي من النّسيانِ ، و هكذا بقيةُ الكلماتِ .

زِدْ على ذلك أنّ هذه الافتراضاتِ يمكنُ أن تكونَ ميدانًا عمليًّا لمعرفةِ كيفيةِ وزنِ الكلمةِ و تحديدِ حروفِها الأصولِ و الزّوائدِ ، فهي بهذا الوصفِ أشبهُ ما تكونُ بوسيلةٍ تعليميّةٍ يُستفادُ منها في تعليمِ الصّرفِ العربي .



هوامش البحث :

(١) مقاييس اللغة : ٦/ ١٠٧ .

(٢) العين : ٧/ ٣٨٦ .

(٣) لسان العرب : مادة (وزن) .

(٤) جمهرة اللغة : ٣/ ٢١ .

(٥) ينظر : التصريف الملوكي : ٥-٦ ، و شرح شافية ابن الحاجب : ١/ ١٢ ، و المغني في تصريف الافعال : ٣٥ .

(٦) ينظر : العين : ٧/ ٢١٦ ، و تهذيب اللغة : ١٢/ ٣٣٨ .

(٧) ينظر : الكتاب: ٤ / ٧٨-٧٩ ، و ينظر : ٣ / ٢٥٨، و ٦٤١ ، و ٤/ ٨٥ ، ٣٣٧ ، و سر صناعة الاعراب : ٢/ ٤٢٨ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للفراء: ١/ ١٩٠-٣٧٣-٤٣٦ ، و ٢/ ١٥١-٢٤٥-٣٣٧ ، و ٣/ ١٢٥

(٩) ينظر : نزهة الطرف:٧٤- ٧٥ ، و ينظر : أوضح المسالك : ٤/ ٣٦٣ .

(١٠) نظرية الصرف العربي : ٤٧ .

(١١) ينظر : الصرف التعليمي و التطبيق في القرآن الكريم : ٤٣ .

(١٢) ينظر : التطبيق الصرفي : ١٠-١١ ، و الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر : ٣١ و ما بعدها .

(١٣) ينظر : دراسات في علم الصرف :٤٢١ .

(١٤) ينظر : الصرف : ٢٠ .

(١٥) تصريف الافعال و الاسماء في ضوء اساليب القرآن : ٢٩ ، و ينظر : همع الهوامع : ٦/ ٢٣٢-٢٣٦ .

(١٦) ينظر : أبنيية الاسماء و الافعال و المصادر : ٨٩-٩٠-٩٢ .

(١٧) ينظر : نظرية الصرف العربي : ٤٨-٤٩ .

(١٨) ينظر : نفسه : ٥٢-٥٥ .

(١٩) ترجمة النص مأخوذة من (نظرية الصرف العربي/ ٤٧) ، و الّذي يُفهمُ من النص أن العالم الغربي أشادَ بالميزان الصرفي ، و ذكر أنّه ذو مستوى أعلى كثيراً من النموذج (الوحدة-العملية) الّذي يسير عليه اللغويون الغربيون في الكلمة و التصريف .

(٢٠) ينظر : شرح الشافية : ١/ ١٢-١٣ .

(٢١) ينظر : الكتاب : ٤/ ٢٥٩ ، و تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٢ ، و المقتضب : ٤/ ١٣ ، و الانصاف في مسائل الخلاف : ٢/ ٨٠٩ ، و لسان العرب : مادة (أنس) .

(٢٢) ينظر : الانصاف في مسائل الخلاف : ٢/ ٨٠٩-٨١١ ، و لسان العرب : مادة (أنس).

(٢٣) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢/ ٣٣٩١ ، و لسان العرب : مادة (ألس) .
(٢٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢/ ٣٩٢ .
(٢٥) ينظر : الصحاح : ٣/ ٩٠٤ ، و لسان العرب : مادة (ألس) .
(٢٦) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢/ ١٣٢ .
(٢٧) ينظر : الاضداد لابي بكر الانباري : ٣٦١ ، و الزاهر في معاني كلمات الناس : ١/ ٤٩٣
(٢٨) ينظر : نفسهما ، و الصحاح : ١/ ٣٧٧ .
(٢٩) ينظر : ادب الكاتب : ٢٨٨ ، و تهذيب اللغة : ١٣/ ١٢٠ ، و الاقتضاب في شرح ادب الكتّاب : ٢/ ١٣٠ .
(٣٠) ينظر : الكتاب : ٤/ ٢٧٢ ، و اصلاح المنطق : ٣٥٩ ، و الصحاح : ٦/ ٢٥٢٤ ، و اللباب في علل البناء و الاعراب : ٢/ ٢٤٧ .
(٣١) ينظر : شرح الشافية : ٢/ ٣٤٨ .
(٣٢) ينظر : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ٦٤ .
(٣٣) سر صناعة الاعراب : ٢/ ٤٢٨ .
(٣٤) ينظر : الكتاب : ٣/ ١٩٥ ، و معاني القرآن للفراء : ٢/ ٢٣٧ ، و اصلاح المنطق : ٢٢٢ ، و ادب الكاتب : ٦١٠ ، و ديوان المفضليات : ٦١٥ ، و الزاهر في معاني كلمات الناس : ١/ ٤٨٢ ، و المنصف : ١/ ١١٦ ، و الخصائص : ٣/ ٢٩١ ، و الاقتضاب : ٢/ ٣٤٢ و البحر المحيط : ٤/ ٣٤٢ ، و الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥/ ٤١٣ .

المصادر و المراجع :

١- أبنية الاسماء والافعال والمصادر ، ابن القطاع الصقلي (ت٥١٥ه) ، تحقيق: د.احمد محمد عبد الدايم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة -مصر ، ١٩٩٩ه .
٢- ادب الكاتب ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ه) ، تحقيق: محمد الدالي ، د.ط. ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ت.
٣- اصلاح المنطق ، ابن السكيت (٢٤٤ه) ، تحقيق: احمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، د.ط. ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.
٤- الاضداد ، محمد بن القاسم الانباري (٣٢٨ه) ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، د.ط. ، المكتبة العصرية ، صيدا-بيروت ، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م .
٥- اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، ابو عبد الله الحسين بن احمد المعروف بابن خالويه (٣٧٠ه) ، تصحيح: عبد الرحيم محمود ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٠ه-١٩٤١م .

٦- الاقتضاب في شرح ادب الكتّاب ، ابو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٥٢١ه) ، تحقيق: مصطفى السقا و د.حامد عبد المجيد ، د.ط. ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين ، الشيخ الامام كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الانباري النحوي (٥٧٧ه) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، مصر ، ١٣٨٠ه - ١٩٦١م .
٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد جمال الدين بن يوسف ابن هشام الانصاري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط. ، المكتبة العصرية ، بيروت-لبنان ، د.ت.
٩- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي (٧٤٥ه) ، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، و الشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ١٤١٣ه-١٩٩٣م .
١٠- تصريف الافعال و الاسماء في ضوء اساليب القرآن ، د.محمد سالم محيسن ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ه - ١٩٨٧م .
١١- التصريف الملوكي ، ابو الفتح عثمان بن عبد الله ابن جني ، تصحيح: محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي ، ط٢ ، منشورات شيخ الطائفة الطوسي ، ١٣٣١ه-١٩١٣م .
١٢- التطبيق الصرفي ، د.عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت - لبنان ، د.ت.
١٣- تفسير غريب القرآن ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ه) ، تحقيق: السيد احمد صقر ، د.ط. ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ١٣٩٨ه-١٩٧٨م .
١٤- تهذيب اللغة ، ابو منصور محمد بن احمد الازهري (٣٧٠ه) ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٤ه - ١٩٦٤م .
١٥- جمهرة اللغة ، ابن دريد الازدي البصري (٣٢١ه) ، دار صادر ، بيروت-لبنان ، د.ت.
١٦- الخصائص ، ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار ، ط٤ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م .
١٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦ه) ، تحقيق: د.احمد محمد الخراط ، د.ط. ، دار القلم ، دمشق ، د.ت.
١٨- دراسات في علم الصرف ، د.عبد الله درويش ، ط٣ ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٨ه - ١٩٨٧م .
١٩- ديوان المفضليات ، ابو العباس المفضل بن محمد الضبّي ، شرح: ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري ، تصحيح: كارلوس يعقوب لايل ، د.ط. ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٠م .
٢٠- الزاهر في معاني كلمات الناس ، ابو بكر محمد بن القاسم الانباري (٣٢٨ه) ، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد-العراق ، ١٩٨٧م .

٢١- سر صناعة الاعراب ، ابو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ه) ، تحقيق: د.حسن هنداوي ، ط٢ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٣ه-١٩٩٣م .

٢٢- شرح شافية ابن الحاجب ، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (٦٨٦ه) ، تحقيق: محمد نور الحسن و محمد الزفزاف و محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٢ه – ١٩٨٢م .

٢٣- الصحاح – تاج اللغة و صحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، كانون الثاني/ ١٩٩٠م .

٢٤- الصرف ، د.حاتم صالح الضامن ، مطبعة دار الحكمة ، الموصل – العراق ، د.ت.

٢٥- الصرف التعليمي و التطبيق في القرآن الكريم ، د.محمود سليمان ياقوت ، ط١ ، مكتبة المنار الاسلامية ، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م .

٢٦- الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر ، د.رمضان عبد الله ، ط١ ، مكتبة بستان المعرفة ، ٢٠٠٦م .

٢٧- العين ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ه) ، تحقيق: د.مهدي المخزومي ، و د.ابراهيم السامرائي ، د.ط. ، دار الرشيد ، العراق ، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م

٢٨- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م .

٢٩- اللباب في علل البناء و الاعراب ، ابو البقاء العكبري (٦١٦ه) ، تحقيق: غازي مختار طليمات ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٦ه-١٩٩٥م .

٣٠- لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي ، د.ط. ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، د.ت.

٣١- معاني القرآن ، ابو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (٢٠٧ه) ، تحقيق: محمد علي النجار و احمد يوسف نجاتي ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت-لبنان ، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م

٣٢- معجم مقاييس اللغة ، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ه) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، د.ط. ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م

٣٣- المغني في تصريف الافعال ، د.محمد عبد الخالق عضيمة ، ط٢ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م .

٣٤- المقتضب ، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، ط٣ ، القاهرة ، ١٤١٥ه – ١٩٩٤م .

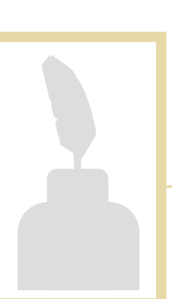
٣٥- المنصف ، شرح الامام ابي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف ، تحقيق: ابراهيم مصطفى ، و عبد الله امين ، ط١ ، وزارة المعارف العمومية/ ادارة الثقافة العامة ، مصر ، ١٣٧٣ه – ١٩٥٤م .

٣٦- نزهة الطرف في علم الصرف ، احمد بن محمد الميداني ، ط١ ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ،

١٢٩٩هـ .

٣٧- نظرية الصرف العربي - دراسة في المفهوم و المنهج ، د.محمد عبد العزيز عبد الدايم ، الرسالة (١٥٨) ، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية ، الحولية الحادية و العشرون ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٣٨- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم ، ط١ ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .





المعيارية والنحو العربي

د . حيدر حبيب حمزة
د . شكران حمد شلاكة
كلية الآداب
جامعة القادسية

ملخص البحث:

أهمُّ ما أسفر عنه علم اللغة الحديث ، هو مناهج البحث اللغوي ؛ وتوصف هذه المناهج بالحداثة ؛ لانها لم تعرف الا في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وهذه الدراسة تبحث في جزء من هذه المناهج وهو – المعيارية – وطبيعة البحث تقتضي ان تكون في مبحثين . يتضمن المبحث الاول ثلاث فقرات هي :-

اولاً :- تعريف المعيارية .

ثانياً :- نشأة المعيارية .

ثالثاً :- اهم الامور التي تستند اليها المعيارية .

وتناولت في المبحث الثاني :-

اولاً :- المعيارية بين المنهج والفكرة .

ثانياً :- الفرق بين المعيارية والوصفية .

ثالثاً :- مظاهر المعيارية في النحو العربي .

وتشعبت مصادر البحث ، بين كتب النحو الاصول .. نحو : كتاب (الاصول) ، وكتب اصول النحو ، نحو : كتاب (لمع الادلة) و (الاغراب في جدل الاعراب) ، و (الاقتراح) ، وكتب علم اللغة نحو :- كتاب (علم اللغة العام) و (القضايا الاساسية في علم اللغة) ، وكتب مناهج البحث اللغوي نحو :- كتاب (المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي) ، و(منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث) ، و(مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) .

المقدمة

اللهم أحمدك حمداً أتوسم فيه رضاك ، واستعين به على ذكرك ، والتمس به هداك ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الكرام المنتجبين .

لقد حققت الإنسانية في العقدين الأخيرين قفزات كبارا في ميادين العلوم الطبيعية ، والإنسانية ، حتى إن بعض هذه العلوم قد شهد انقلاباً في مادته ، ومنهجه .

ولعل في مقدمة هذه العلوم علم اللغة ، الذي تمخض عن مناهج للبحث في اللغة ، والفت فيه الكتب ، والبحوث ، وظهر فيه نخبة من العلماء مثل :- فرينان دي سوسير وغيره ..

واهم ما أسفر عنه علم اللغة الحديث ، هو مناهج البحث اللغوي ؛ وتوصف هذه المناهج بالحداثة ؛ لانها لم تعرف الا في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وهذه الدراسة تبحث في جزء من هذه المناهج وهو – المعيارية – وطبيعة البحث تقتضي ان تكون في مبحثين . يتضمن المبحث الاول ثلاث فقرات هي :-

اولاً :- تعريف المعيارية .

ثانياً :- نشأة المعيارية .

ثالثاً :- اهم الامور التي تستند اليها المعيارية .

وتناولت في المبحث الثاني :-

اولاً :- المعيارية بين المنهج والفكرة .

ثانياً :- الفرق بين المعيارية والوصفية .

ثالثاً :- مظاهر المعيارية في النحو العربي .

وتشعبت مصادر البحث ، بين كتب النحو الاصول .. نحو : كتاب (الاصول) ، وكتب اصول النحو ، نحو : كتاب (لمع الادلة) و (الاغراب في جدل الاعراب) ، و (الاقتراح) ، وكتب علم اللغة نحو :- كتاب (علم اللغة العام) و (القضايا الاساسية في علم اللغة) ، وكتب مناهج البحث اللغوي نحو :- كتاب (المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي) ، و(منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث) ، و(مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) .

واخيراً لا اود ان ازكي للقارئ الكريم عملي في هذا البحث ، وبحسبي ان اقول : ان موضوعة جدير بالبحث ، ومحاولتي فيه لها ما للمحاولات الجادة من مشروعية الخطأ ونشدان الصواب .

مبحث الاول

اولاً :- تعريف المعيارية :

يـرد في بـحـوث عـلـماء اللغة المحدثين مصطلح المعيارية ويريدون بها القواعد والاحكام العامة التي يجب ان تراعي في اللغة ، لذا نجد الدكتور كمال بشر يقول :- ((... والمعيارية مبينة على اساس فكرة تقليدية مشهورة تمثلها العبارة الاتية : اللغة هو ما يجب ان يتكلمه الناس. وليست ما يتكلمه الناس بالفعل))(١) .

والمتأمل لهذا النص يجد :-

اولاً :- قوله (فكرة تقليدية مشهورة) تدل انه لم ينسبها الى احد ، ولم يحدد ملامحها .

ثانياً :- لم يصفها الدكتور كمال بشر بأنها منهج . ولم يحدد نشأتها بزمن معين(٢).

وحدها الدكتور تمام حسان بانها : (تتخذ القاعدة معياراً للاستعمال اللغوي ، مثلها في ذلك مثل المنطق القياسي)(٣). فالمعيارية عند الدكتور تمام حسان ان تبدأ بالكليات وتنتهي بالجزئيات .

وعرف ميشال زكريا القاعدة المعيارية بانها القواعد التي تمد متكلم اللغة بالاساليب التي يجب اتباعها لكي يتقن الكلام الجيد ، والتعبير الصحيح(٤) .

والمعيارية عند الدكتور رشيد العبيدي : (... تمثل قواعد واحكاما مثالية وقيماً عليا ، وضعت لتقويم اللغة والرجوع اليها والاحتكام الى اسسها وقواعدها عند الضرورة ...)(٥).

ولم يبعد الدكتور علي زوين عن هذا ، فهي عنده ميزان للتمييز بين الصواب والخطأ ، وتتخذ القاعدة اللغوية اساساً ومعياراً للاستعمال اللغوي(٦) .

ووصف كلاوس هيشن المعيارية بالمذهب العقلاني(٧) .

والمتفحص لهذه الحدود يجد الآتي :-

اولاً :- ارتباط المعيارية بالقاعدة اللغوية ، غير مستخلصة من اللغة المستعملة فعلاً ، وانما هي حدود مستقاة من كتب النحو .

ثانياً :- علاقة المعيارية بعصمة اللسان من اللحن في امور الاستعمال اللغوي . وهي بذلك تنشد المحافظة على الأصول اللغوية الصحيحة ، فهي تنشد الشواهد القديمة وتبرز اهمية محاكاتها(٨) .

ثانياً :- نشأة المعيارية :

يبدو ان المعيارية من المناهج اللغوية المعروفة عند الغرب ، قال الدكتور نوزاد حسن احمد : ((اما المنهج المعياري فانه اقدم المناهج المعروفة في الغرب حيث بدأت الدراسات اللغوية عندهم معيارية واستعمل لها (اللغة المعيارية standard languages) او مصطلح (التحكمي presective)))(٩) ، ويلحظ ان الباحث لم يحدد تاريخ قدم المعيارية عند الغرب .

اما عند العرب ، فقد قال الدكتور نعمة رحيم العزاوي : ((اذا كان المنهج الوصفي ينسب الى سوسير ، ويذكر حين يذكر . فان المعيارية

لا تنسب الى لغوي معين . ومن ثم لا توجد لها ملامح او سمات او اوصاف مكتوبة ، في مؤلف من مؤلفات احد اللغويين ، بحيث يكون هو صاحب هذا المنهج وانه قد وضعه وحدد معالمه اولاً . ثم سارت الابحاث اللغوية عليه من بعد...))(١٠) .

والذي يبدو ان المعيارية ظهرت بظهور القواعد التي تحكم اللغة ، وهي قديمة بقدمها ، فكما اختلف في الواضع الاول للنحو العربي ، كذلك لم يعرف لغوي معين تنسب اليه . ولم تحدد معالمها الدقيقة .

ويعد النحو العربي نحواً معيارياً بعد ان كان وصفياً ونلحظ هذا عند معظم النحاة ولاسيما المتأخرين منهم الذين جاؤوا بعد القرن الرابع الهجري . وقد صرح بذلك الدكتور تمام حسان ، قال : (... وانا الحظ هذه المعيارية الصارخة في كتب ابن هشام ، كالمغني ، والشذور ، وأوضح المسالك ....)(١١) . والى مثل هذا ذهب الدكتور محمد خير الحلواني ، قال :(... جاء نحوه – أي الانباري – منغمساً في المعيارية الى اذنيه ...)(١٢) .

ويمكن معرفة الاسباب التي دفعت النحاة صوب المعيارية وهي :-

١- **الغاية التعليمية** ، وتعد اهم اسباب جنوح النحاة الى المعيارية ، قال باحث معاصر في هذا الموضوع : ((... اني اريد ان اقول ان هذه العناصر – أي عناصر المعيارية – لم تظهر في مناهج البحث والتأليف لولا حاجة المتعلمين اليها في تعلم اللغة ، لذا(١٣) فلا يمكن القول ان المعيارية حالة طارئة على النحو او انها جاءت ترفاً فكرياً فرضه المنطق اليوناني على مناهج النحاة ذلك لان النحو لم يكن هو الآخر ترفاً فكرياً ... وانما كان النحو وليد حاجة ملحة املتها الظروف التي مر بها العرب بعد دخول اقوام غير عربية في الاسلام واستجابة لهذه الحاجة وضع النحاة تلك الضوابط ...))(١٤) .

٢- **تأثر النحو العربي بالمنطق الارسطي** ، لم يكن الحديث عن تاثر النحو العربي بالمنطق الارسطي موضع اتفاق اذ ذهب بعض الباحثين الى تاثير النحو العربي بالمنطق الارسطي ، قال الاستاذ احمد امين عن اثر اليونان والسريان في النحو العربي : ((وربما كان اكبر الاثر اثرا غير مباشر كاستخدام الة القياس والتوسع بواسطتها في وضع القواعد النحوية فلما نقلت الفلسفة اليونانية واشتغل بها المتكلمون اولا والفلاسفة ثانيا وعرفوا المنطق وما اليه تاثر النحو بذلك في قواعده وعلله)) (١٥) .

وقال الدكتور مازن المبارك في هذا الموضوع : ((... فاذا كانت قسوة المنطق على الشعر قد بلغت الدرجة التي اثارت البحتري ، على بعد ما بين المنطق والشعر فكيف به ... مع النحو منها على الخصوص ؟ والنحو منطق منذ سطر لانه قام على الاستقراء والتحليل)) (١٦) .

والى مثل هذا الراي ذهب الدكتور تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) عند حديثه عن سمة النحو العربي (١٧) .

ويلحظ انة صار من الشائع ان يقرنوا النحو العربي بالمنطق الارسطي ، دون فرز بين الحقبة التي وضع فيها النحو العربي متكاملا من الحقبة التي شاعت فيها بعض المصطلحات الفلسفية .

اما الاتجاه الاخر فيذهب الى عدم تاثر النحو العربي بالمنطق الارسطي ، عد الدكتور ابراهيم السامرائي ان مثل هذه الاراء وهما وظنا قال : ((ولقد تسرب الظن زالى نفر من الدارسين العرب في عصرنا هذا

ان النحو العربي قد وضع على نمط من النحو الاغريقي وان مصطلحاته ماخوذة من ذلك النحو)) (١٨) .

وقال الدكتور احمد مختار عمر : ((... فاننا نتردد كثيرا في قبول الراي القائل بوقوع النحو العربي تحت نفوذ اليونان ومجرد التشابه في تقسيم او اكثر او في بعض المصطلحات لا ينهض دليلا لاثبات مثل هذه الدعوى العريضة . وقد سبقنا ان راينا مثلا ان اقسام الكلام موجودة كذلك عند الهنود ، ولا شك انها موجودة ايضا عند شعوب اخرى ...)) (١٩) .

وقال باحث معاصر : ((لم يتاثر النحو العربي في نشأته الاولى ... باي من العلوم غير الاسلامية فلم يكن للمنطق ولا للفلسفة ولا لنحو امة اخرى اثر يذكر فيه وانما كان نتاج فكر عربي ...)) (٢٠) .

واستدل الدكتور صباح عباس السالم تاريخيا على عدم هذا التاثر قال : ((... فان تاثر اللغويين عامة والنحويين خاصة منطق ارسطو لم يقع الا في نهاية القرن الثالث الهجري على اقل تقدير . وهذا يعني ان تأثر النحويين للفقهاء وعلماء الكلام وقع وظهرت اثاره في الدرس النحوي قبل تاثر النحويين منطق ارسطو ...)) (٢١) .

ويتضح مما تقدم ان تاثر النحو العربي في نشأته بالمنطق الارسطي غير مسلم بها – عدا القرون الاواخر – .

ولعل حرص النحاة على الحفاظ على اللغة من سنن التغيير والتطور دفعتهم الى دراسة اللغة دراسة معيارية ، فظهر المستوى الصوابي ، والخطأ ، وهذا مستوى رفيع ، وهذا مستوى رديء ، واخر شاذ لا تقبله معايير اللغة .

ثالثاً :– اهم الامور التي تستند اليها المعيارية :–

تعتمد المعيارية على جملةٍ من الامور ، تعد قوامها وهي :–

اولاً :– تعتمد المعيارية على المنطق العقلي ؛ ولذلك تفتقر الى البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة والاستقراء ثم استنتاج القواعد ، قال الدكتور كمال بشر : ((...والا كان هذا الاسلوب المعياري مبنياً على التخمين والافتراض وما الى ذلك من القياس المنطقي ونحوه ، وكلها اسس واهية ضعيفة لا تصلح بحال ان تكون ادوات سليمة في خدمة البحث العلمي)).(٢٢)

واللغة بعدُ ظاهرة اجتماعية لا يمكن ان تدرس بمعزل عن واقعها الاجتماعي ، واذا حكمنا في دراستها المنطق اصبحت جزءاً من البحث المنطقي ، وهي ليست كذلك ؛ لان اللغة نتاج كل افراد المجتمع ، وهؤلاء الافراد ليسوا اجيالاً من الفلاسفة والمفكرين حتى يتحكم في لغتهم منطق ارسطو وقضاياه .

ثانياً :– العناية بسن القواعد للتمييز بين مستوى الصواب ، ومستوى الخطأ . فالهدف من المعيارية ، هو المستوى الصوابي للاستعمال اللغوي . ولكن هذا المستوى هو ضمن ما تسنه المعيارية من نموذج قواعدي ، تكون موافقته صواباً ومخالفته خطأ ، وبذلك تفقد المعيارية الوصف العام للاستعمال اللغوي . وتؤول ما خرج عن قواعدها قال الدكتور نوزاد حسن احمد في هذا الموضوع : (ان الابتعاد عن الاستقراء الطبيعي في استخلاص القواعد ،

وفرض القواعد على اللغة عن طريق اخضاع اللغة لها ترتب عليه اللجوء الى التأويل ...)(٢٣) .
ثالثاً :- الابتعاد عن الملاحظة الخالصة ، وفرض القواعد فرضاً ، وهذا من شأنه ان يحيل اللغة الى مجموعة من المقولات القواعدية ، مماثلة للمقولات المنطقية ، وقد لخص سوسير (ت ١٩١٣ م) خصائص الدراسة المعيارية للغة ووصفها بأنها :(تفتقر الى النظرة العلمية الصحيحة ، ولا ترتبط باللغة نفسها وليس لها هدف سوى وضع القواعد التي تميز بين الصيغ الصحيحة وغير الصحيحة ، فهي دراسة معيارية تبتعد كثيراً عن الملاحظة الصحيحة للحقائق ومجالها محدود ضيق ...)(٢٤) .

المبحث الثاني

اولاً :- المعيارية بين الفكرة والمنهج :-

اختلف علماء اللغة المحدثون بعد المعيارية من مناهج البحث اللغوي الحديث ، وهم في هذا على ضربين ، هما :-
الضرب الاول :- ذهب بعض الباحثين في مناهج البحث اللغوي الى ان المعيارية منهج من مناهج البحث اللغوي والمعيارية وفق هذا التصور منهج يصلح لدراسة اللغة في ضوئه ، وهي كباقي مناهج البحث اللغوي ، كمهج الوصفي ، او التاريخي ... ومنهم الدكتور اسماعيل احمد عمايرة ، قال : (... تتناسب ومتطلبات المنهج المعياري الذي تسير عليه...)(٢٥) .
فقد وصف الدكتور عمايرة المعيارية بانها منهج .
وذهب الى مثل هذا الدكتور علي زوين ، قال : (... المنهج المعياري بخلاف المنهج الوصفي ...) (٢٦) .
وردد الدكتور نوزاد حسن مقولة الدكتور عمايرة المذكورة آنفاً ، وتابعه في الفكرة(٢٧) – بعدِّ المعيارية من مناهج البحث اللغوي :-
وعد كلاوس هيشن المعيارية من مناهج البحث اللغوي في كتابه الموسوم بـ(القضايا الاساسية في علم اللغة)(٢٨) .
الضرب الاخر :- ذهب فريق من الباحثين الى ان المعيارية ليست منهجاً من مناهج البحث اللغوي ، ومنهم الدكتور تمام حسان ، اذ يفرق بين ناحيتين من نواحي النشاط اللغوي هما الاستعمال اللغوي ، والبحث اللغوي . وباعد بين المعيارية ومنهج البحث اللغوي ، قائلاً ((... وربطنا بين المعيارية وبين أمور استعمالية ، واعتراضنا على الربط بينهما وبين المنهج ...))(٢٩) .
فالمعيارية عند الدكتور تمام حسان ليست منهجاً تدرس اللغة في ضوئه ، وإنما هي تصور معين للغة يراعيه المستعمل ولم يربط بين المعيارية والمنهج ، في حين رأى إن الوصفية هي المنهج الأمثل للدراسات اللغوية في الوقت الحاضر(٣٠) .
ويذهب إلى هذا الرأي الدكتور محمود فهمي حجازي ، قال : ((... أما النحو بالمعنى التعليمي المعياري أي بهدف وضع ضوابط الاستخدام (٣١) اللغوي الصحيح لأبنية المفردات وأبنية الجمل فهو مختلف – فيما يبدو – عن علم اللغة ، فعلم اللغة يبحث اللغة واللغات بهدف كشف جوانبها المختلفة ، لا بهدف الحكم بالخطأ والصواب على الاستخدام اللغوي ...))(٣٢) ، ونلحظ في هذا النص ان الدكتور محمود فهمي حجازي

يرى ان المعيارية مرتبطة بالنحو التعليمي ويباعدُ بين المعيارية وعلم اللغة ؛ لانه قال : (... فهو مختلف – فيما يبدو – عن علم اللغة) لاختلاف مفهوم الاثنين .

ويشير الدكتور احمد سليمان ياقوت إلى انه لم يجد مصطلح (المنهج المعياري) في المعجمات الأجنبية ، بل وجد فيها (المعيارية ، غير مقترنة بكلمة (منهج)(٣٣) .

ولم يربط الدكتور رشيد العبيدي بين المعيارية ومنهج البحث اللغوي . ولم تقترن كلمة المعيارية عنده بكلمة منهج ، وإنما قرنها بكلمة (اتجاه)(٣٤) . والاتجاه لا يرقى الى مرتبة المنهج المتكامل ، ولا الى مصاف النظرية .

ويرى الدكتور نعمة رحيم العزاوي ان المعيارية تظهر في دراسة اللغة مرتين :-

الاولى :- خلال عملية الوصف .

والاخرى :- بعد انتهاء الواصف من استخلاص قوانينها وصياغة نظامها .

وهدف المعيارية في المرة الاولى ، هو اطراد القواعد ، والحرص على تمثيلها للاستعمال العام للغة . وتجنب ما ينقضها من الشاذ والنادر.(٣٥)

والمتأمل لما مر يجد الاتي :-

اولاً :- ان اغلب علماء اللغة المحدثين لا يعدون المعيارية منهجاً من مناهج البحث اللغوي . ولا يمكن ان تدرس اللغة في ضوئها .

ثانياً :- يمكن عد المعيارية فكرة . تظهر بعد استكمال وصف قواعد اللغة . والهدف منها المحافظة على هذه القواعد .

ثالثاً :- المعيارية لاتقتصر على اللغة العربية ، بل هي موجودة في كل اللغات الاخرى ، ولكن العربية بحاجة اليها لعلاقتها بالقرآن الكريم(٣٦) .

ثانياً :- الفرق بين المعيارية والوصفية :-

حظي البحث في اللغة ، والكشف عن ظواهرها ، واستقراء اصولها .بأهتمام كبير من الباحثين ، ووضعت المناهج في دراسة اللغة .

ولكل منهج من هذه المناهج سمات وخصائص ، تختلف بعضها عن بعض ، وثمة اختلاف بين المعيارية والمنهج الوصفي ، إذ هما متقابلان ، وهذا الخلاف يتوضح في النقاط الاتية :-

اولاً :من حيث النشأة :- ان المنهج الوصفي وجد سبيله الى التطبيق على يد العالم فردينان دي سوسير ، ويعد كتابه (علم اللغة العام) كشفاً في المجال اللغوي (٣٧) في حين نجد ان المعيارية لا تنسب الى احد .

ثانياً :- حدوا المعيارية بأنها : ((تتخذ القاعدة في دراسة اللغة معياراً للاستعمال اللغوي))(٣٨)، وهي بهذا المفهوم منافية للمنهج الوصفي في البحث اللغوي الذي يعتمد الوصف اساساً في دراسة اللغة في مرحلة زمنية محددة ولهذا تنفع المعيارية في تعليم القواعد اللغوية وليس في البحث اللغوي ،

قال الدكتور كمال بشر : ((والمنهج المعياري بهذا الوصف هو ما سار عليه رجال النحو العربي من اول يوم حتى هذه اللحظة ، وهو منهج تعليمي في اساسه ، اذ هو يؤخذ وسيلة من وسائل تعليم اللغة وقواعدها ... على حين ان منهج الوصف هو منهج البحث الموضوعي وهو في الوقت نفسه صالح لان يتخذ اداة ناجحة في التعليم كذلك ...))(٣٩) .

ثالثاً :- نظرة الوصفيين الى أي انحراف في اللغة على انه محاولة من اللغة للدخول في مرحلة جديدة من التطور اللغوي .

في حين ان المعياريين ينظرون لهذا التطور على انه انحراف ، وخطأ يجب مقاومته والارشاد الى الفصيح الذي تطور عنه ، قال الدكتور كمال بشر : ((ومن الجدير بالذكر ان نوضح هنا ان المنهج الوصفي هو الآخر خليق بان يحافظ على اللغة ويرعى سلامتها ، ولكنه ينظر اليها على انها ظاهرة متطورة ، وانما قد ينظر اليه على انه لحن او تحريف ليس الا صورة من صور التطور والتغيير اللذين يلحقان باللغة على فترات الزمن))(٤٠) .

رابعاً :- المعيارية قوامها فرض القاعدة ، أي انها تبدأ بالكليات وتنتهي بالجزيئات ، قال الدكتور علي زوين في هذا الموضوع : ((... المنهج المعياري بخلاف المنهج الوصفي ، قائم على فرض القاعدة أي يبدأ بالكليات وينتهي بالجزئيات))(٤١) ، بينما المنهج الوصفي يبدأ بجزئيات اللغة وينتهي الى صوغ القاعدة المستنبطة من الاستعمال اللغوي الجاري .

خامساً :- المعيارية لا تدرس اللغة في ذاتها ومن اجل ذاتها ، وانما تهدف الى غاية تعليمية ، وهي بذلك تختلف عن المنهج الوصفي الذي يدرس اللغة (في ذاتها ومن اجل ذاتها) .

سادساً :- تعتمد المعيارية على اللغة المكتوبة ، واتخاذها معياراً للصحة ، واساساً تبنى عليه القواعد ، في حين يعتمد المنهج الوصفي على اللغة المنطوقة المتحققة فعلاً ، وكان تأكيد سوسير هذا المبدأ – الاهتمام باللغة المنطوقة – رد فعل لما كان سائداً قبل ظهور منهجه من الاهتمام باللغة المكتوبة .

ثالثاً :- مظاهر المعيارية في النحو العربي :-

المتأمل في النحو العربي يجد مظاهر المعيارية واضحة فيه . وهذا الامر دفع الدكتور تمام حسان الى القول : ((.... انا الحظ هذه المعيارية الصارخة في كتب ابن هشام ، كالمغني والشذور ، واوضح المسالك ...))(٤٢) . وهذه المظاهر تتمثل في :-

اولاً :- الاحتجاج :-

الحجة هي :- (ما دل على صحة الدعوى) (٤٣) ، والاحتجاج يقتضي صحة احد الطرفين او احد النقيضين(٤٤) ، ويتخذ طريقين هما :-

الاول :- الاحتجاج النقلي :- وهو ما اصطلح عليه بالاستشهاد .

والاخر :- الاحتجاج العقلي :- وهو على ضربين هما :-

أ-الاحتجاج العقلي المستند على منطق اللغة .

ب-الاحتجاج العقلي الصرف المستند على المنطق العقلي المجرد(٤٥) .

ويعد الاستشهاد والاحتجاج من وادٍ واحد ، قال الدكتور محمد عيد : (... فكل من الاستشهاد والاحتجاج بهذا المعنى السابق يتلاقيان في مجرى واحد هو : سوق ما يقطع ويبرهن على

صحة القاعدة او الرأي...)(٤٦) .

وفي ضـوء هـذا يعد الاحـتـجاج اصلا من اصول علم النحو . وتناول ابو نصر الفارابي (ت٣٧٠ هـ) قضية الاستشهاد قال : ((... ثم من سكان البراري من كان في اوسط بلادهم ومن اشدهم توحشا وجفاء وابعدهم اذعانا وانقيادا ، وهم قيس وتميم واسد وطي ثم هذيل فان هؤلاء معظم من نقل عنه لسان العرب . والباقون فلم ياخذ عنهم شيء لانهـم كانوا اطـراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الامم ...)) (٤٧) .

وبذلك يلحظ ان البحث اللغوي عند العرب بدأ بتلقي النصوص من الرواة ومشافهة الاعــراب ، أي أعتمد الاستقراء منهجاً ، ثم انتهى عصر الاحتجاج ، وبـدأ النحاة يتكلمون على القضايا النحوية واللغوية دون الاعتماد على الروايات المعاصرة ، واصبحت الروايات القديمة مقاييس لهم في طلب الصواب .

إن الاحتجاج النحوي غالباً ما يرمي الى تحقيق هدفين هما :-

الأول :- يعبر عن موقف الدفاع عن رأي خاص .
والآخـر :- الدفاع عن رأي جماعة ، كأن يدافع نحوي من البصرة عن راي لاهل البصرة(٤٨) .

ثانياً :- القياس :-

لا شك في ان القياس يقف مقابل السماع في عرف النحاة ، وهو تقابل بين النقل والعقل ، فالسماع يعتمد على النصوص المسموعة ، والقياس يعتمد على النظر والعقل وعـرف الرماني (ت ٣٨٤هـ) القياس : (الجمع بين اول وثان يقتضيه في صحة الاول صحة الثاني ، وفي فساد الثاني فساد الاول)(٤٩) .

اراد الرماني – رحمه الله – ان القياس هو الجمع بين الشيئين . وصحة احدهما – المقيس عليه – صحة الاخر .

وحده الانباري (ت ٥٧٧ هـ) بـ:(هو حمل فرع على اصل بعلة ، واجراء حكم الاصل على الفرع) او (هو الحاق الفرع بالاصل بجامع)(٥٠) .

والمتأمل في حدود القياس المذكورة آنفاً ، يصل الى ان النحاة قد اقتفوا اثر الفقهاء في القياس الذي يقوم على حمل الشيء على شبيهه لفظاً او معنى . قال الدكتور سعيد الزبيدي في هذا الموضوع : (بدأ القياس ونشا مع النحو ، ونما معه ايضاً منتقلاً اليه من علوم الشريعة ... ولكن دعت الحاجة اليه في الشريعة ثم أصبح منهجاً عاماً وطريقاً سائداً في كثير من فروع المعرفة ...)(٥١) .

ويتضح مما سبق ان القياس نشأ فطرياً ، وهذه النشأة لم تتجاوز عند النحاة القدماء ، وسيلة من الوسائل لتقويم كلام العرب وليس فيها مغالاة ، وانما ارساء المبادئ والاصول حتى يكون هناك شذوذ في القواعد العامة ثم نما وتطور فكانت له حـدود وتقسيمات واركـان وتحـول الى صناعة ، ومسألة تدرك بالتأمل والنظر .

وبالغ بعض النحاة في الاخذ بالقياس ، حتى قال الانباري : (... اعلم ان انكار القياس في النحو لا يتحقق لان النحو كله قياس ، ولهذا قيل في حده : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، فمن انكر اقياس فقد انكر النحو ..)(٥٢) .

ثالثاً :- العلة :-

الإنسان بطبيعته يسأل عن كل ما يراه ،

وعن سبب وجوده وسبب نشوء ما يحيط به من مظاهر الحياة ، ويبحث عن علل تفسرها وتربط بعضها ببعض ، وتبين احوالها ودارس اللغة العربية ينصرف الى ايجاد علة لكل ما يراه من احكام فللمرفوع سبب ، وللمنصوب علة ، وللمجرور غاية(٥٣) وهذا يعني : (ان العلة النحوية قد نشأت وترعرعت منذ ان نشأت الدراسات النحوية ، ومن الطبيعي ان ينسب التعليل الى علماء العربية الاوائل ، ويكون التعليل مرافقاً للحكم النحوي منذ ان وجد النحو)(٥٤) .

ومن نتائج القول بالعلة ، نظرية العامل ، التي عدت من اهم اصول النحو ، كالقول ان العامل في رفع المبتدأ هو الابتداء ، والعامل في الفاعل هو الفعل ..الخ .

وعلق الدكتور مازن المبارك على موقف النحاة هذا بقوله : ((فإذا هم امام العلة او أمام العامل فلاسفة لهم قواعدهم واحكامهم ، فلا يجتمع عاملان مثلاً على معمول واحد ... الى غير ذلك من القواعد التي اطلقوها فاوجدت لهم في النحو ابواباً عجيبة التأويل معقدة الاسلوب ، وكانوا ينظرون الى العامل فيها على انه موجود ذو كيان ....))(٥٥) .

وعلل النحويين على ضروب هي :-

اولاً :- علل تعليمية :-وهي التي كانت مدار بحث النحاة في مرحلة نشأة التعليل ، وهي محققة لغاية النحو وتلقاها جميع النحويين بالقبول والتسليم ، حتى الذين انكروا العلل ، مثل ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) الذي ذكر ان العلل الاول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب(٥٦) .

ثانياً :- ما اصطلح عليه النحاة بالعلل القياسية ، وهذه العلة تختلف عن سابقتها ، يقول صاحب الايضاح : (فاما العلة القياسية فان يقال لمن قال نصبت زيداً بان ، في قوله : إن زيداً قائم : ولم وجب ان تنصب (إن) الاسم ؟ فالجواب في ذلك ان يقول : لانها واخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول ، فحملت عليه ، فأعملت اعماله لما ضارعته ...)) (٥٧) .

واطلق ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) على هذا النوع (علة العلة)(٥٨) .

ثالثاً :- العلل الجدلية ، ويصفها الزجاجي بقوله :(واما العلة الجدلية النظرية ما يعتل في باب (إن) بعد هذا مثل ان يقال : فمن اي جهة شابهت هذه الحروف الافعال ؟ وبأي الافعال شبهتموها ؟ ابا الماضية ، ام المستقبلة ، ام الحادثة في الحال ...)) (٥٩) .

وعلق الدكتور علي ابو المكارم على هذه العلل ، قال : (يبدأ بالتعليل لكل هذه العلل منطقاً من الفرض ،وليس في الواقع ، ويهدف الى تأييده عن طريق التبرير(٦٠) العقلي المنطقي)(٦١) .

وقد دعا ابن مضاء القرطبي الى اسقاط العلل الثواني والثوالث من النحو العربي(٦٢) ، وذلك لامرين ، هما :-

الاول :- لا حاجة لكلام العرب اليها ، فإذا قال قائل : لم رفع الفاعل ؟ فالصواب ان يقال له كذا نطقت به العرب ، وثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر(٦٣) .

والاخر :- هذه العلل ترد لامور لا شأن لها باللغة ، فهي اما ان تقطع تطلع السائل بعد العلة الاولى ، او لسد ضرورة ذهنية(٦٤) .

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ١٧٥ .

(٢) ينظر مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ١٤٣ .

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢١ .

(٤) ينظر الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام : ٢٠١ .

(٥) فقه اللغة (العبيدي) : ١٧ .

(٦) ينظر فقه اللغة (علي زوين) ، ملزمة اعدها لطلبة المرحلة الرابعة ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية ، جامعة القادسية : ١٧٤ .

(٧) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة : ١٥٣ .

(٨) ينظر الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام : ٢٠١ .

(٩) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٣٠ .

(١٠) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ١٤٣ .

(١١) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٦ .

(١٢) نشاة النحو وتطوره : ٤٠٥ .

(١٣) الصواب (لذا) بدون الفاء ، لانه لا يجمع بين اداتين للتعليل في موضع واحد .

(١٤) مناهج التاليف النحوي من سيبويه الى ابن هشام (رسالة ماجستير) كريم حسين ناصح : ٣٨٥ .

(١٥) ضحى الاسلام ٢/ ٢٩٣.

(١٦) النحور العربي (العلة النحوية) نشأتها وتطورها : ٧٤ .

(١٧) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٣ .

(١٨) العربية تواجه العصر :٧ .

(١٩) البحث اللغوي عند العرب ٢٣٩.

(٢٠) مناهج التاليف النحوي من سيبويه الى ا بن هشام (رسالة ماجستير) كريم حسين ناصح : ٤٢٦.

(٢١) تاثر النحو العربي النحو اليوناني النحو السرياني ، بحث للدكتور صباح عباس السالم ، مجلة القادسية ، جامعة القادسية ، عدد ١ ، سنة ٢٠٠٢ م : ١٨٠.

(٢٢) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ١٧٧ .

(٢٣) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٣٠ .

(٢٤) علم اللغة العام : ١٩ .

(٢٥) تطبيقات في المناهج اللغوية : ١٢٤ .

(٢٦) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ٢٣ .

الهوامــش

(٢٧) ينظر المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٣٠ .
(٢٨) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة : ١٥٣ – ١٦٦ .
(٢٩) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٥ .
(٣٠) ينظر نفسه : ٤ –٥ .
(٣١) الصواب :– الاستعمال ، في النص كله .
(٣٢) علم اللغة العربية : ٤٢ – ٤٣ ، هامش رقم (١٦) .
(٣٣) ينظر الكتاب بين المعيارية والوصفية : ١٦ ، نقلاً عن كتاب (مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) : ١٤٥ .
(٣٤) ينظر فقه اللغة (رشيد العبيدي) : ١٨ .
(٣٥) ينظر مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ١٤٥ .
(٣٦) ينظر نفسه : ١٤٦ .
(٣٧) ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ١٨٢ – ١٨٣ .
(٣٨) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢١ .
(٣٩) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ١٧٦ .
(٤٠) نفسه : ١٧٦ – ١٧٧ .
(٤١) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ٢٣ .
(٤٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٦ .
(٤٣) التعريفات : ٧٢ .
(٤٤) ينظر الاحتجاج العقلي في النحو العربي (رسالة ماجستير) : ١٢ .
(٤٥) ينظر نفسه : ٩ .
(٤٦) الرواية والاستشهاد باللغة : ١٠٢ .
(٤٧) كتاب الحروف ، (للفارابي) : ١٤٧ .
(٤٨) ينظر الاحتجاج العقلي في النحو العربي : ٩ .
(٤٩) الحدود (للرماني) : ٣٨ .
(٥٠) لمع الادلة في اصول النحو : ٩٣ .
(٥١) القياس في النحو العربي شأنه وتطوره (رسالة دكتوراه) : ٧٧ .
(٥٢) الاغراب في جدل الاعراب : ٩٣ .
(٥٣) ينظر دراسات في كتاب سيبويه : ١٥٥ .
(٥٤) العلة النحوية – تاريخ وتطور – حتى نهاية القرن السابع الهجري : ٧ .

(٥٥) النحو العربي – العلة النحوية : نشأتها وتطورها : ٩٩ .
(٥٦) ينظر الرد على النحاة : ١٥٢ .
(٥٧) الايضاح في علل النحو : ٦٤ .
(٥٨) الاصول في النحو (ابن السراج) ١: ٣٥ .
(٥٩) الايضاح في علل النحو : ٦٥ .
(٦٠) الصواب : التسويغ .
(٦١) اصول التفكير النحوي : ١٩٠ .
(٦٢) ينظر الرد على النحاة : ١٥١ – ١٥٢ .
(٦٣) ينظر نفسه : ١٥١ .
(٦٤) ينظر نفسه : ١٣٠ – ١٣١ .

المصادر

اولاً الكتب المطبوعة :–

١– اصول التفكير النحوي أ.د. علي ابو المكارم ، مطابع دار القلم ، بيروت – لبنان ١٣٩٢ / ١٣٩٣ = ١٩٧٣م .

٢– الاصول في النحو ، محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان . ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

٣– الاغراب في جدل الاعراب ، ولمع الادلة في اصول النحو ، عبد الرحمن كمال الدين محمد الانباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : سعيد الافغاني ، الطبعة الثانية أ دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٤– الاقتراح في علم اصول النحو ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت٩١١هـ) . تحقيق : احمد محمد قاسم ، الطبعة الاولى مطبعة السعادة ، القاهرة. ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

٥– الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والإعلام ، ميشال زكريا ، الطبعة الثانية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٦– الايضاح في علل النحو ، عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق: د.مازن المبارك ، الطبعة الثالثة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٧– البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التاثير والتاثر ، د. احمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

٨– تطبيقات في المناهج اللغوية ، د. اسماعيل احمد عمايرة ، دار وائل ، عمان – الاردن ،٢٠٠٠م .

٩– التعريفات ، علي بن محمد بن علي السيد الزين الجرجاني (ت ٨١٦هـ) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ،١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

١٠– التفكير اللغوي بين القديم والجديد (الفرقة الرابعة) ، د. كمال بشر، دار الثقافة العربية ، دمشق – سوريا ، د.ت .

١١– الحدود في النحو ، علي بن عيسى بن علي الرماني(ت ٣٨٤هـ) ، ضمن رسائل في النحو واللغة ، حققها وشرحها د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني. دار الجمهورية ، بغداد ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

١٢- دراسات في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، د.ت

١٣- الرد على النحاة ، احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي (ت٥٩٢هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .

١٤- الرواية والاستشهاد باللغة دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث ، د. محمد عيد ، مطبعة دار نشر الثقافة القاهرة ، ١٩٧٦م .

١٥- ضحى الاسلام ، احمد امين ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .

١٦- العربية تواجه العصر ، د. ابراهيم السامرائي ، سلفسلة الموسوعة الصغيرة (١٠٥) ، منشورات دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.

١٧- علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة د.مالك يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٤م .

١٨- علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، د. محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ،١٩٧٣م .

١٩- فقه اللغة ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد - كلية التربية الاولى (ابن الرشد) ، ١٩٩١م .

٢٠- فقه اللغة ، د. علي زوين ، ملزمة لطلبة المرحلة الرابعة قسم اللغة العربية ، كلية التربية - جامعة القادسية ، ١٩٩١ - ١٩٩٢م .

٢١- في علم اللغة العام ، د. عبد الصبور شاهين ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٢- القضايا الاساسية في علم اللغة ، تأليف كلاوس هشين ترجمة : د. سعيد حسن بحيري ، الطبعة الاولى ، مؤسسة المختار ،القاهرة - مصر ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٣- كتاب الحروف ، لابي نصر الفارابي (٣٧٠هـ) ، تحقيق : محسن مهدي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٠م.

٢٤- اللغة بين المعيارية والوصفية ، د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء - المغرب - ١٩٥٨م .

٢٥- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م .

٢٦- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة أ د. نعمة رحيم العزاوي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢٧- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د. علي زوين ، الطبعة الاولى، دار

الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .

٢٨- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ، د. نوزاد حسن احمد ، الطبعة الاولى ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي – ليبيا ، ١٩٩٦م .

٢٩- النحو العربي ، العلة النحوية نشأتها وتطورها ، د. مازن المبارك ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

٣٠- نشأة النحو وتطوره ، محمد خير الحلواني ، الطبعة الاولى مطبعة السعادة ، القاهرة ،١٩٧٠م .

ثانياً :- الرسائل الجامعية :-

٣١- الاحتجاج العقلي في النحو العربي ، رسالة تقدم بها : محمد جواد محمد سعيد الطريحي، الى مجلس كلية الاداب – الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير آداب في اللغة العربية ، باشراف :أ.د. صاحب ابو جناح ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٣٢- القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، رسالة تقدم بها سعيد جاسم الزبيدي ، الى مجلس كلية الاداب – جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه آداب في اللغة العربية ، اشراف د. فاضل صالح السامرائي . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٣- مناهج التأليف النحوي من سيبويه الى ابن هشام ، رسالة تقدم بها : كريم حسين ناصح ، الى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد .وهي جزء من متطلبات نيل ماجستير آداب في اللغة العربية بأشراف : د. حسام سعيد النعيمي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

ثالثا : البحوث :-

٣٤- تأثر النحو العربي النحو اليوناني النحو السرياني ، د. صباح عباس السالم ، مجلة القادسية ، جامعة القادسية ، العدد ١ ، مجلد ٢ ، سنة ٢٠٠٢م .



الخلاف في قواعد التركيب

بين قراءة قعنب بن هلال البصري وقراءة الجمهور

أ.م. عبّاس عليّ إسماعيل
جامعة كربلاء – كليّة العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

للقراءات بشتى أنواعها علاقة وثيقة بعلم النحو . ومن يتتبّع ما ورد منها في كتب النحو، وما دار من كلام بين النحويين استدلالاً بها ، أو رفضاً لها ، أو جدلاً حولها يدرك أنّ أثرها في هذا العلم قد ظهر جليّاً في آراء النحويين ومواقفهم من القواعد النحوية ؛ فتكونت بذلك ثروة ضخمة من الآراء ، ملأت كتب النحو والتفسير ، فضلاً عن كتب معاني القرآن وإعرابه . ثم إنّ القراءات بما أثارته من حوار وجدل ، قد شحذت الهمم والعقول للمناقشة والتحليل .

وهذا البحث يتناول دراسة الخلاف في قواعد التركيب بين قراءة قعنب بن هلال البصري وقراءة الجمهور عبر دراسة أهم ظاهرة نحوية في قراءته وأوضحها ، هي الخلاف بين قراءته وقراءة الجمهور على الحركة الإعرابية .

المقدمة

اتّـجه البحث اللغوي الحديث إلى العناية بدراسة القراءات القرآنية ؛ لصلتها الوثيقة بدراسة اللهجات العربية القديمة ، فهي عند المحدثين أحد الأسس التي تبنى عليها دراسة هذه اللهجات ؛ نظراً لاشتمالها على خصائص صوتية ، وأخرى نحوية وصرفية تعود إلى بعض القبائل العربية القديمة . ومن هنا يمكن القول : إنّ تعدّد صور القراءة في بعض المفردات القرآنية إنْ هي إلا حالة عاكسة للصراع اللغوي بين هذه اللهجات في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده .

وهي فضلاً عن ذلك دراسة لجانب شديد الصلة بكتاب العربية الأول ، والمعجزة الكبرى الخالدة على مرّ الزّمان كتاب الله عز وجل ، فالعمل فيها عمل صالح تطيب به النفس ، والجهد فيها هيّن على ثقله ، والمعاناة فيها محببة على أذاها .

وللقراءات بشتى أنواعها علاقة وثيقة بعلم النحو . ومن يتتبّع ما ورد منها في كتب النحو، وما دار من كلام بين النحويين استدلالاً بها ، أو رفضاً لها ، أو جدلاً حولها يدرك أنّ أثرها في هذا العلم قد ظهر جليّاً في آراء النحويين ومواقفهم من القواعد النحوية ؛ فتكونت بذلك ثروة ضخمة من الآراء ، ملأت كتب النحو والتفسير ، فضلاً عن كتب معاني القرآن وإعرابه . ثم إنّ القراءات بما أثارته من حوار وجدل ، قد شحذت الهمم والعقول للمناقشة والتحليل .

وهذا البحث يتناول دراسة الخلاف في قواعد التركيب بين قراءة قعنب بن هلال البصري وقراءة الجمهور عبر دراسة أهم ظاهرة نحوية في قراءته وأوضحها ، هي الخلاف بين قراءته وقراءة الجمهور على الحركة الإعرابية .

وحرص البحث أيضاً على دراسة ظاهرة نحوية أخرى ، اتضحت في قراءته ، ولكنّها كانت أقل ظهوراً من الظاهرة الأولى ، وهي اختلاف قراءة الأسماء والأفعال والأدوات .

وقد صدّرت البحث بتمهيد ، عرضت فيه بإيجاز ما يتصل بحياة قعنب ، ولا سيّما أنّ ما يتصل بحياته من الأخبار كان قليلاً ومحدوداً ، ولا يكاد يشفي الغليل ، وأجملت في الخاتمة النتائج التي تحصلت لي من دراستي قراءته .

وفقنا الله لخدمة كتابه العزيز ، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين .

التمهيد :

نظرة موجزة في حياة قعنب بن هلال

كثيرة الكتب التي عنيت بتراجم القرّاء ، ولكنّ حصة قعنب لم تكن موجودة في كثير منها؛ فالقلة القليلة منها هي التي ذكرته ، وأشارت إلى شيء من سيرته ، وهي على قلتها ما كانت تذكره بأكثر من أربعة أسطر أو خمسة ، والمعلومات فيها متشابهة ؛ فقد كان اللاحق منها ينقل عن سابقه . ولعلّ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) كان أفضل من ترجم له ؛ إذ ذكر معلومات تتصل بحياته ، لم تكن موجودة في الكتب الأخرى التي ترجمت له .

واسمه أبوالسّمّال قعنب بن هلال بن أبي قعنب البصري العدوي(٢)، والقعنب في اللغة : القدح الضخم الغليظ(٣). وأبو السّمّال ينطق بفتح السين وتشديد الميم وباللام ، وبعض المؤلفات التي ترجمت له ، قد أخطأت في كنيته ، فكانت تكنيه بأبي السماك(١) ، والصحيح ما ذكرناه ، وهو أبو السّمّال .

وقد جعل الذهبي قعنبًا في الطبقة الرابعة من القرّاء ، وكان عددهم ستة وعشرين قارئاً ، منهم ثلاثة من القرّاء السبعة ، وهم : أبو عمرو بن العلاء(ت ١٥٤هـ) ، وحمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ) ، ونافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ) ، واثنان من القرّاء العشرة ، وهما : ابن محيصن (ت١٢٣هـ) ، والأعمش(٤)(ت١٤٨هـ) .

وكان لقارئنا قعنب مذهب في قراءة القرآن الكريم ، خالف فيه جمهور القرّاء ؛ ولذا عدّوا قراءته من القراءات الشاذة (٥). وقد روى عنه هذه القراءة أبو زيد سعيد بن ثابت الأنصاري (ت٢١٥هـ) ، ورواها عن أبي زيد فيما بعد كلّ من خليفة بن الخياط ، ومحمد بن يحيى القُطعي(٦).

ويذكر الذين ترجموا لقعنب أنّه تلقى القراءة على هشام البربري وعبّاد بن راشد ، وهذان الرجلان المجهولان قد أخذا القراءة عن الحسن البصري (ت١١٠هـ) الذي تلقى القراءة عن سمرة بن جندب ، وهذا الأخير قد أخذ القراءة عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ) ، وهذا السند أنكره ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، ووصفه بأنّه سند لا يصح(٧). ولعل السبب في ذلك هو أنّ الأول والثاني في سند القراءة من الشخصيات المجهولة عنده وعند أصحاب السير والطبقات .

ويذكر مترجموه أيضاً أنّه كان عالماً متميزاً وإماماً من أئمة النحو واللغة ؛ فقال عنه أبو زيد : ((طفت المغرب كلّها ، فلم أرَ فيها أعلم من أبي السّمّال))(٨) ، وقال عنه أحد رواة قراءته محمد بن يحيى القُطعي : ((كان يتقدم على الخليل في زمانه)) (٩).

وهاتان الروايتان غير مقبولتين عندنا ؛ لأننا نشم منهما رائحة الانحياز الواضح لأبي السّمّال على حساب علماء عصره ، ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) . ثم إن أبا السّمّال لو كان كما قال الراويان لوجدنا أنّ اسمه قد دار في كتب النحو التالية لعصره ، أو لرأينا على الأقل من يذكره من النحويين واللغويين، وينسب له بعض الآراء . ولكنّ الروايتين تدلان على أنّ أبا السّمّال كان على معرفة جيدة بمسائل النحو المتداولة في عصره .

وكان صاحبنا قعنب صواماً قواماً متألهاً وزاهـداً ؛ فقد ذكر الذهبي على لسان أبي زيد أنّ مروان بن محمد – وهو آخر خلفاء بني أمية – قد أعطاه ألف دينار ، فتصدق بها ، وما ترك لنفسه منها شيئاً (١٠) .

والظاهرة الأخيرة البارزة التي تطالعنا في ترجمة قعنب هي أنّ كلّ الذين ترجموا له قد أغفلوا الإشـارة إلى سنة ولادته ، كما أغفلوا ذكر سنة وفاته ، وبعضهم قد صرح بأنّها غير معروفة لديه إلا السيوطي (ت٩١١) ؛ فقد ذكر أنّ وفاته كانت في حدود سنة ١٦٠هـ (١١) ، وهذا يعني أنّه قد عاصر بعض الأسماء المشهورة في مجالي القراءة والنحو ، من مثل: عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) ، وأبي عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ) ، والخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) ، والكسائي (ت١٨٩هـ) ، وغيرهم ، ولكنّ المصادر قد اكتفت بالإشارة إلى الكسائيّ على أنّه عاصر أبا السّمّال(١٢) .

اختلاف الحركة الإعرابية

يقوم الخلاف في القـراءات القرآنية في وجه من وجوهه على اختلاف الحركة الإعرابية في الكلمة القرآنية ، فلكلّ قراءة وجهها الإعرابي الذي يحتمله قياس اللغة ، ووجهها الدلالي الذي يبيحه السياق في الآية . وبعبارة أوضح أنّ تعدّد صور قراءة اللفظة القرآنية يمنحها أوجهًا إعرابية أخرى غير الوجه الإعرابي الذي تمثله قراءة العامة ، وهذا هيّأ للنحويين الميدان الرّحب للموازنة والترجيح بين الآراء فيما يعرضون له في مصنفاتهم النحوية ، أو مؤلفاتهم التي يتجهون بها إلى إعراب القرآن ، فضلاً عمّا يستدعيه كلّ وجه من وجوه القراءة من الشواهد والأدلة(١٣).

وقد وافقت قراءة قعنب قراءة الجمهور – في جانب بارز منها – في الصياغة ، واقتصر الخلاف بينهما على الحركة الإعرابية . ونظرة سريعة في القراءتين تبيّن لنا أنّ المخالفة بينهما تنحصر في حركتين فقط ، هما : الرفع والنصب . ولم أجد لأبي السّمّال قراءة بالجر ، لها حركة مخالفة لقراءة الجمهور .

الكلمات المرفوعة في قـراءة قعنب:

تطالعنا في قراءة قعنب طائفة غير قليلة من المفردات جاء فيها الرفع مقابلاً للنصب في قراءة الجمهور، ومن ذلك ما يأتي :

– قرأ قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً)) [البقرة / ٢٦] برفع (بعوضة)(١٤)، وبها قرأ مالك بن دينار (ت ١٣١هـ) ، وإبراهيم بن أبي عبلة (ت ١٥١هـ)، والمقرئ البغدادي أبو الحسن محمد بن محمد بن الضحاك (١٥) .

وقد أجاز كلّ من الزجّاج (ت ٣١١هـ) ، والطبرسي (من علماء القرن السادس الهجري) رفع (بعوضة) غير أنّ الأول ذكر أنّه لا يحفظ من قرأ بها ، ولا يعلم أقرأ بها أحد أم لا (١٦) ، ورفض الآخر القراءة بها (١٧) .

وعلّل النحويون والمفسرون الرفع في قراءة قعنب بأنّه خبر لمبتدأ محذوف تقديره : (هو بعوضةٌ) ، ولهذا التقدير وجهان ، أحدهما : أنْ تكون (ما) اسم موصول ، بمعنى الذي في محل نصب بدلاً من (مثلاً) ، وصلتها جملة (هو بعوضةٌ) ، فحذف العائد على الاسم الموصول ، وهو مبتدأ (١٨) . وهذا التخريج تخريج كوفي ؛ إذ إنهم لا يشترطون في حذف الضمير العائد المرفوع طول جملة الصلة (١٩) ، وبهذا الوجه أجاز مكي بن أبي

طالب (ت٤٣٧هـ) رفع(بعوضة)(٢٠) .

ومع أنّ هذا الوجه قد جاء موافقاً للهجة تميم (٢١) ، فانّ أهل البصرة لم يستحسنوه بحجة أنّ جملة الصلة ليست طويلة ، وكون المحذوف ضميراً مرفوعاً ، وليس فضلة ؛ ولهذا وصفوه بأنّه ضعيف حيناً ، وقبيح حيناً آخر(٢٢) . والوجه الآخر على هذا التقدير أنْ تكون (ما) زائدة أو صفة ، و (هو بعوضةٌ) جملة كالتفسير لما انطوى عليه الكلام السابق (٢٣) . واختار هذا الوجه أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ؛ لسهولة تخريجه (٢٤).

والوجه الحسن الجميل عند الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أنْ تكون (بعوضة) خبراً لمبتدأ ملفوظ به ، على أساس أنّ (ما) هنا استفهامية في محل رفع مبتدأ ، والمعنى : (أيّ شيء البعوضةُ فما فوقها في الحقارة) قياساً على قولهم : ((فلانٌ لا يبالي بما وهبَ ما دينارٌ وديناران))(٢٥) . و ذكر الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) في تفسيره وجهاً رابعاً لهذه القراءة ، هو أنْ تكون (ما) نافية ، و(بعوضة) مبتدأ ، والخبر محذوف ، والتقدير : (بعوضةٌ متروكةٌ) ؛ لدلالة لا يستحي عليه (٢٦) .

وقد اختلفوا في توجيه النصب في قراءة الجمهور على وجوه ، أشهرها أربعة (٢٧) ، الأول : أنْ تكون (بعوضة) بدلاً من (مثلاً) ، و (ما) زائدة لتوكيد الكلام . والثاني : أنْ تكون (بعوضة) صفة لـ (ما) ، و(ما) في موضع نصب بدلاً من المفعول به (مثلاً) ، ونسبوا هذا الرأي إلى الفرّاء(ت٢٠٧هـ) ، وثعلب (ت ٢٩١) ، والزجّاج (٢٨) (ت ٣١١ هـ) . والثالث : أنْ تكون (بعوضة) منصوبة على إسقاط الجار ، والتقدير : (أنْ يضرب مثلاً ما بينَ بعوضة) ، فحذفت (بين) ، وأعربت(بعوضة) بإعرابها . ونسب النحّاس (ت ٣٣٨هـ) هذا الرأي إلى الكسائي والفرّاء(٢٩) . ونسبه ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) إلى بعض الكوفيين (٣٠) ، ونسبه الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) إلى الكسائي وحده(٣١) .

ولقد ذكر الفرّاء هذا الوجه في معانيه ، ووصفه بأنّه أقرب الوجوه إلى نفسه وأحبها اليه وبيّن أنّ هذا كقول العرب : ((مُطِرْنا ما زُبالةَ فالثعلبيةَ ، وله عشرونَ ما ناقةً فجملاً ، وهي أحسنُ الناس ما قرناً فقدماً))(٣٢) . والرابع : أنْ تكون (بعوضة) مفعولا به ثانيًا ليضرب، والمفعول الأول هو (مثلاً) ، وهذا هو الاختيار عند البصريين(٣٣). ويحتاج قبول هذا الوجه إلى أنْ يكون (يضرب) بمعنى (يجعل) الذي يتعدى إلى مفعولين ، ولهذا أنكره ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، ومنع أنْ يلحق هذا الفعل بالأفعال المتعدية إلى مفعولين ، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ((ضُرِبَ مَثَلٌ فاستَمِعوا له)) [الحج / ٧٣] ، فقد بُنِي الفعل (ضربَ) في الآية الكريمة للمفعول ، واكتفى بالمرفوع (مثل)، ولم يأتِ بعده مفعول (٣٤) .

وأحسبُ أنّ هذا الاستدلال غير صحيح ، فمن المحتمل أنْ يكون المفعول به محذوفاً ؛ لدلالة الكلام عليه ، والتقدير : (ما يذكر). وإذا افترضنا أنّ ما احتجّ به ابن مالك هنا صحيحاً في الظاهر، فما عساه أنّ يقول في قوله تعالى : ((واضْرِبْ لهُم مثَلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ)) . [الكهف/ ٤٥] ، وقد دخل (اضرب) على المبتدأ (مثل الحياة) ، والخبر (كماء) ، فصار بمنزلة قولنا : ظننتُ زيداً كعمرٍو(٣٥).

- وقرأ قوله تعالى ((ولاتَ حينَ مناص)) [ص/ ٣] برفع (حين)(٣٦) ، وبها قرأ يحيى بن يعمر (ت ٩٠هـ) ، وعاصم الجحدري (ت ١٢٨هـ) ، والضحاك (٣٧) . ووجه النصب في قراءة الجمهور

أنّه خبر(لاتَ) العاملة عمل ليس، واسمها محذوف ، تقديره : (ولاتَ الحينُ حينَ مناص) (٣٨). ووجه الرفع في قراءة أبي السّمال أنّه اسمٌ (لات) ، وخبرها محذوف ، تقديره : (ولاتَ حينُ مناصٍ كائناً لهم)(٣٩) .

ولقد أجاز النحويون رفع الاسم بعد (لاتَ) ؛ لأنّه لهجة بعض العرب ، غير أنّهم ذهبوا إلى أنّ الرفع فيها قليل ، والأكثر مجيء الاسم بعدها منصوباً (٤٠) .

وللأخفش (ت٢١٥هـ) رأي في (لاتَ) ومعموليها ، خالف فيه جمهور النحويين، وملخصه أنّ (لاتَ) لا تعمل عمل ليس ، بل تعمل عمل إنّ ، فتنصب الاسم وترفع الخبر ، فإنْ وليها منصوب فهو اسمها وخبرها محذوف ، وإنْ جاء بعدها مرفوع ، فإنها لا تعمل شيئاً ، والاسم المرفوع بعدها مبتدأ وخبره محذوف(٤١) .

وهذا الرأي جدير بالاهتمام ، بل إنّني أزعم أنّه هو الصواب ؛ لأنّ (لاتَ) إنْ كانت تعمل عمل ليس ، فإنّ القياس يقضي أنْ لا يجيزوا حذف مرفوعها ؛ لأنّ ((مرفوعها محمول على مرفوع ليس ، ومرفوع ليس لا يحذف))(٤٢) .

– ونُقِل عنه أنّه قرأ قوله تعالى : ((وقومَ نوحٍ)) [الذاريات/ ٤٦] برفع(قوم) على الابتداء، والخبر محذوف ، تقديره :(أهلكناهُم) ، وشاركه ابن مقسم (ت ٣٤٥هـ) في هذه القراءة (٤٣) .

ووجه النصب في قراءة الجمهور على أنّ (قوم) مفعول به لفعل محذوف تقديره (أهلكْنا قومَ نوحٍ) ، أو (أخذتْ الصاعقةُ قومَ نوحٍ) أو (اذكرْ قومَ نوحٍ) (٤٤).

وذكر الفـرّاء في كتابه (معاني القرآن) هذه الأوجه الثلاثة ، ووصف الثالث منها بأنّه ليس بأبغض إليه من الوجهين الآخرين (٤٥) ، وهو بهذا يشير إلى أنّ الأوجه الثلاثة عنده بغيضة .

ويبدو أنّ عدم قبول الفرّاء هذه الأوجه الثلاثة قد نبّه الأذهان إلى التفكير بتخريجات أُخر لقراءة النصب ، فاحتمل أكثر الذين جاءوا بعده إلى أنْ تكون كلمة (قوم) قي قراءة الجمهور معطوفة على الهاء في (فأخذتْهُـم) [الذاريات / ٤٤] ، أو في (فنبذناهُـم)(٤٦) [الذاريات/ ٤٠] .

– ورُوِي عنه أنّه قرأ قوله تعالى ((وما تُقَدِموا لأنفسِكـم من خيرٍ تَجِـدوه عند اللهِ هو خيراً)) [المزمل/ ٢٠] برفع (خير)(٤٧) على أنّه خبر ، والضمير المنفصل(هو) في محل رفع مبتدأ، وجملة (هو خيرٌ) في محل نصب مفعول به ثانٍ لـ (تجدوه) ، وشاركه في هذه القراءة ابن السميفع اليماني(٤٨) (ت ٢١٣ أو ٢١٥ هـ) .

وأجاز الفـرّاء قراءة الرفع ، وعدّها من القراءات التي تجيزها الصيغة اللغوية ، فقال : ((ولو كان رفعاً كان صواباً))(٤٩) . وهذه القراءة جاءت على لهجة تميم ؛ فقد روي عن أبي زيد (ت ٢١٥هـ) أنّه وصف المتكلمين بهذه اللهجة بأنّهم يرفعون ما بعد ضمير الفصل ؛ فيقولون مثلاً : (كان زيدٌ هو العاقلُ)(٥٠) ، وعلى لهجة تميم وقراءة قعنب جاء قول قيس بن ذريح (٥١)

تُبَكّي على لُبنى وأنتَ تَرَكْـتَها وكُنْـتَ عليها بالملا أنتَ أقدرُ

وأما انتصاب (خيراً) في قراءة الجمهور فعلى أنّه مفعول ثان (لتجدوه) ، والضمير (هو) ضمير فصل ، لا محَل له من الإعراب (٥٢).

– وقرأ قوله تعالى : ((أبشرًا منّا واحدًا نتّبعُهُ)) [القمر / ٢٤] برفع (بشر) و(واحد) ، وكذلك قرأ ابن السميفع اليماني(٥٣) .

وقرأ جمهور القرّاء بنصب (بشر) على أنّه مفعول به لفعل محذوف ، يفسره المذكور بعده ، أي (أنتبّعُ

بشراً منا واحداً نتّبِعُهُ) ، و(واحدًا) صفته (٥٤) .
ووجه قراءة الرفع أنّ (بشرًا) مبتدأ، و(واحدًا) صفته، وجملة (نتّبِعُهُ) في محل رفع خبر (٥٥) .

ولقد أجاز النحاة قراءة الرفع في هذا الموضع ، غير أنّهم قالوا عنها : إنّها ضعيفة ، ورجّحوا قراءة النصب ؛ لوجود أداة الاستفهام (الهمزة) قبل الاسم ، والهمزة في الغالب تدخل على الأفعال ، وفي ذلك يقول ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ):((وإنّما ضعف – أي الرفع – في الاستفهام ؛ لأنّ الاستفهام يطلب الفعل، ولو أنّك حذفت حرف الاستفهام من قولك:(أزيداً ضربتهُ)، عمل الابتداء ، وضعف النصب لزوال المقتضى له ، كما يضعف الرفع إذا قلت : أزيدٌ ضربتُهُ))(٥٦). وكان ينتظر من النحويين أنْ يختاروا الرفع على النصب ؛ لأنّه القياس ؛ إذ إنّ المستفهم عنه هنا الاسم لا الفعل ، ولهذا قال ابن طراوة (ت٥٢٨هـ) : ((إنْ كان الاستفهام عن الاسم ، فالرفع واجب نحو (أزيدٌ ضربتُهُ أم عمرٌو)) ؛ لأنّ الضرب محقق ، وإنّما الشك في المفعول ، فالاستفهام عن تعيينه)) (٥٧) .

ونقل ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) عن أبي قعنب قراءة أخرى ، وهي رفع (بشر) ونصب (واحد) ، وخرّج ذلك بأنّ (بشراً) نائب فاعل لفعل محذوف ، يدل عليه قوله تعالى : ((أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عليه من بَيْنِنا)) [القمر/ ٢٥] ، والتقدير : (أيُنَبّأُ أو يُبعَثُ بشرٌ منا) ، وأما انتصاب (واحد) فعلى الحال من الضمير في (منا) ، أو من الضمير في قوله (نتّبعُهُ)(٥٨).

– وقرأ قوله تعالى : ((إنّا كلَّ شيءٍ خلقْناهُ بقدر)) [القمر / ٤٩] برفع (كلّ) (٥٩)على الابتداء ، وجملة (خلقْناهُ) في محل رفع خبر إنّ (٦٠) .

وقراءة العامة (كلّ) بالنصب على أنّه منصوب بفعل محذوف ، يفسره المذكور بعده ، والتقدير : (إنّا خلقْنا كلّ شيء خلقناهُ)(٦١) .

وذكر بعضُ النحويين وجهاً آخر في نصب (كلّ) ، وهو أنْ يكون منصوباً بـ (خلقناه)، على أنْ تكون الهاء ضمير المصدر الذي دل عليه خلقناه ، والتقدير : (إنّا كلّ شيء خلقناهُ خلقًا)(٦٢) .

وخطر لبعض النحويين والمفسّرين في نصب (كلّ) وجه ثالث ، وهو أنْ يكون قوله : (كلّ شيءٍ) منصوباً على البدل من اسم إنّ ، وهو بدل اشتمال ، والتقدير : (إنّ كلّ شيءٍ خلقناهُ بقدرٍ) ، أي مقدر في اللوح المحفوظ(٦٣) .

وقد أجمع البصريون على أنّ رفع (كلّ) هنا أقوى من النصب ، وإنْ كانت قراءة الجمهور بالنصب ؛ لأنّه لم يتقدمه ما يُوجب النصب ، فهو عندهم مثل قولنا : (زيداً ضربتُهُ)(٦٤) .

والاختيار عند الكوفيين النصب فيه ؛ لأنّه تقدمه عامل ناصب ، وهو (إنّ) ، فاقتضى ذلك إضمار (خلقنا) ، وقوله تعالى : (خلقناه) مفسراً للمضمر(٦٥).

يزاد على ذلك أنّ قراءة النصب تدل على عموم خلق الأشياء بقدر ، وهو المقصود(٦٦) ، ثم إنّ في قراءة الرفع قد يتوهم أنّ (خلقناه) صفة لـ (شيء) ، وقوله : (بقدر) متعلق بمحذوف خبر إنّ ، فيكون التقدير: (كلّ شيءٍ مخلوقٌ بقدر) ، وهذا يقضي الخصوص في المخلوقات (٦٧).

– وقرأ قوله تعالى ((والسماءَ رفَعَها)) [الرحمن/ ٧] برفع السماء على الابتداء ، وقرأ العامة بالنصب على الاشتغال(٦٨) . والرفع والنصب عند أكثر النحويين سواء ، ولم يرجّحوا أحد الوجهين على الآخر ؛ ذلك أنّ جملة (السماءَ رفعَها) جملة ذات وجهين ؛ فهي اسمية الصدر، فعلية العجز ، فإذا

قرئت (السماء) بالرفع ، كانت جملة (السماءُ رفعَها) معطوفة على جملة مؤلفة من مبتدأ وخبر ، وهي قوله تعالى : ((النجـمُ والشجرُ يَسْجدان))[الرحمن / ٦]، وإذا قرئت (السماء) بالنصب ، قُدّر إضمار فعل يدل عليه ما بعده ، أي : (رفعَ السماءَ) ، فتكون هذه الجملة معطوفة على جملة مركبة من فعل وفاعل ، وهي (يسجدان) (٦٩) .

وكان أبو الحسن الأخفش (ت٢١٥هـ) والسيرافي (ت ٣٦٨هـ) يرجحان قراءة الرفع، ويستضعفان قراءة النصب ؛ لأنّ الجملة المعطوفة (السماءَ رفعَها) لم تتضمن ضميراً يرجع إلى المبتدأ ، وهو (النجم) في الجملة التي قبلها ، ومعنى هذا أنـّهما لم يجيزا عطف جملة (رفعَ السماءَ) على (يسجدان) ؛ بحجة أنّ (يسجدان) جملة ذات موضع من الأعراب ؛ لكونها خبر مبتدأ، وجملة (رفعَ السماءَ) جملة لا موضع لها من الإعراب(٧٠) .

وقد عـقّب ابن جني على هذا الرأي قائلاً : ((وهـذا ساقط عند سيبويه ؛ وذلـك أنّ ذلك الموضع من الإعراب لمّا لم يخرج من اللفظ سقط حكمه، وجرت الجملة ذات الموضع كغيرها من الجملة غير ذات الموضع ....))(٧١) ، ووصفه ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) بأنـّه رأي ليس بشيء؛ لانّ القرّاء قد أجمعوا على نصب (السماء) من قوله تعالى : (والسماءَ رفعَها) ، مع أنـّه ليس في (رفعَها) ضمير يعود على (النجمُ والشّجرُ)(٧٢).

واتّخذ ابن جني موقفاً وسطاً بين الرأيين ، فرجح قراءة الرفع ، ولكنـّه لم ينكر قراءة النصب (٧٣). وذهب أبو حيان الأندلسي إلى أنّ الأظهر ترجيح النصب ؛ لأنّ الحمل على الصغرى أقرب ، وهم يراعون الجوار ما أمكن ، وعُورض هذا الرأي بأنّ الرفع ترجح بعدم الإضمار ، فكلّ منهما مرجح فتساويا(٧٤) .

– وقرأ قوله تعالى : ((وكلّ إنسان ألزمْناهُ طائرهُ في عُنقِه)) [الإسراء/ ١٣] برفع (كلّ) على الابتداء ، وخبرها جملة (ألزمناه) ، وشاركه ابن أبي عبلة في هذه القراءة(٧٥). وقرأ العامة (كلّ) بالنصب على أنّه مفعول به لفعل محذوف ، يفسره المذكور بعده ، والتقدير : (ألزمْنا كلّ إنسان ألزمْناهُ) (٧٦) . وقد استحسن الفرّاء قراءة الرفع ، فقال عنها : ((والوجه في الكلام العرب رفـع (كلّ) في هذين الحرفين ...))(٧٧) ، أي في هذه الآية ، وقوله تعالى : ((وكلّ شيءٍ أحصيناه)) [يس/ ١٢ والنبأ/ ٢٩] .

وأجاز الزجّاج النصب والرفع في (كلّ) ، ثم قال : ((إلا أنّي لا أعلم أحدًا قرأ بالرفع))(٧٨) ، وعدّ أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ) النصب في (كلّ) أمراً لازماً ، ولا يجوز غيره ؛ لانّ جملة (كلّ إنسان ألزمناه) معطوفة على جملة فعلية ، وهي قوله تعالى : ((وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين)) [الإسراء / ١٢] ، ولولا ذلك لكان الأولى رفعه(٧٩) .

وبيـّن ابن يعيش (ت٦٤٣ هـ) أنّ السّر في ذلك هو أنّ العرب تختار مطابقة الألفاظ ما لم تفسد عليهم المعاني ، فقال ((فإذا جئت بجملة صدّرتها بفعل ، ثم جئت بجملة أخرى معطوفة على الجملة الأولى وفيها فعل ، كان الاختيار ، تقدير الفعل في الجملة الثانية ، وبناء الاسم عليه ، سواء ذكرت في الجملة الأولى منصوباً أم لم تذكره ...إذ الغرض توافق الجمل وتطابقها لا تختلف، وليس الغرض أنْ يكون فيها منصوب))(٨٠).

– وقـرأ قوله تعالى : ((والأرضَ بعدَ ذلكَ دَحاها)) [النازعات / ٣٠] برفع (الأرض) ، وبها قرأ نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) ، والحسن البصري ،

وعمرو بن عبيد (ت ١٤٤هـ) ، وإبراهيم ابن أبي عبلة ، وأبو حيوة (٨١) (ت٢٠٣هـ) .

وغنيٌّ عن البيان أنّ النصب في قراءة الجمهور يجري على وجه الاشتغال في هذا الموضع، وليس للرفع من وجه سوى الابتداء ، وخبره جملة (دحاها)(٨٢). والاختيار عند البصريين نصب (الأرض)(٨٣) ، وعند الفرّاء (٨٤) أنّ النصب والرفع فيها سواء ، وإنْ كان النصب أكثر في قراءة القرّاء ، وأنّه في النصب والرفع مثل قوله تعالى : ((والقمرَ قدّرْناهُ منازلَ)) [يس/ ٣٩] .

وقد ردّ النحّاس هذا الرأي ، وذهب إلى أنّ بين الموضعين فرقًا ؛ ذلك أنّ قوله تعالى: ((والقمرَ قدّرناه منازل)) الرفع فيه حسن ؛ لأنّ التقدير : ((وآيةٌ لهم القمرُ)) ، وأما قوله تعالى: ((والأرضَ بعدَ ذلكَ دَحاها)) ، فإنّ الرفع فيها بعيد ؛ لأنّ قبلها ما عمل فيه الفعل ، ولا يتعلق بشيء مرفوع ، وقال ((ولا نعلم أحداً قرأ (والأرض) بالرفع ، و(القمر) بالرفع قرأ به الأئمة))(٨٥).

ولقد ذكر الزجّاج قراءة الرفع من غير أنْ ينسبها لقارئ ، وذهب إلى أنّ النصب أجود ((لأنّك تعطف بفعل على فعل أحسن ، فيكون على معنى : بناها وفعلَ وفعلَ ودَحا الأرضَ بعد ذلك)) (٨٦) ، وحذا حذوه مكي بن أبي طالب ، فرجح قراءة النصب ، وأجاز قراءة الرفع (٨٧) .

– وقرأ قوله تعالى : ((قُتِلَ أصحابُ الأُخدودِ . النّارِ ذاتِ الوقودِ)) [البروج / ٤-٥] برفع (النار) و (ذات) ، وبها قرأ عيسى بن عمر وابن السميفع اليماني ، وأبو حيوة (٨٨) .

وقراءة (النار) بالجر على البدل من (الأخدود) ، وهو بدل اشتمال ، و(ذات الوقود) وصف لها بأنّها نارٌ عظيمةٌ (٨٩) . وحكى مكي بن أبي طالب عن الكوفيين القول : إنّ (النّار) في قراءة العامة مخفوضة على الجوار(٩٠). وجوّز أبو حيان كونها بدل كلّ من كلّ ، على تقدير محذوف ، أي (أخدود النّار)(٩١) .

وخرّجوا قراءة الرفع على أنّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : (هي النـارُ)(٩٢) .ولقد ذكر الفرّاء قراءة الرفع ، من غير أنْ ينسبها لقارئ ، وقال عنها : ((ولو قرئت ... بالرفع كان صواباً))، وخرّج هذه القراءة على أنّها فاعل لفعل محذوف ، تقديره : (قتلتْهُم النارُ ذاتُ الوقودِ)(٩٣) ، والى هذا الرأي ذهب ابن عطية(٩٤)، ومثله فعل القرطبي (ت٦٧١هـ) ، غير أنّه حملها على معنى : (أحرَقَتْهُم النارُ ذاتُ الوقودِ)(٩٥) .

الكلمات المنصوبة في قراءة قعنب :

يجد المتتبع القراءة المنسوبة إلى قعنب أنّه قرأ طائفة من المفردات القرآنية بالنصب، وجاءت في قراءة العامة بالرفع أو الجر ، وكلّ ذلك جار على ما هو جائز في قياس النحو؛ إذ نُقِلَ عنه أنّه قرأ لفظة (النبّي) في قوله تعالى : ((إنّ أولى النّاسِ بإبراهيمَ للذينَ اتّبَعوهُ وهذا النبيُّ)) [آل عمران / ٦٨] بالنصب(٩٦).

وقراءة قعنب بالنصب جارية على قياس اللغة وظاهر السياق ؛ ولهذا أجازها أبو جعفر النحّاس (٩٧)، ووصفها مكي بن أبي طالب بأنّها حسنة(٩٨) ، وقال عنها القرطبي : ((ولو نصب – أي النبيّ – لكان جائزًا في الكلام))(٩٩).

ووجه النصب فيها أنّها معطوفة على الضمير في (اتّبَعوهُ) الواقع مفعولاً به ، والتقدير: (اتّبعوهُ واتّبعوا هذا النبيّ)(١٠٠) . والرفع في قراءة العامة على النعت لـ (هذا) ، أو على البدل، و (هذا) في موضع رفع عطفاً على الاسم الموصول (الذين) الواقع خبراً لـ (إنّ)(١٠١).

- وقرأ قوله تعالى : ((فإذا نُفِخَ في الصّور نفخةٌ واحدة)) [الحاقة/ ١٣] بنصب (نفخة) و(واحدة) على أنّ (نفخة) مفعول مطلق ، و(واحدة) صفة لها ، وقام الجار والمجرور (في الصّور) مقام الفاعل، وقرأ العامة بالرفع فيهما على أنّ (نفخة) نائب فاعل لما لم يسمّ فاعله ، و(واحدة) صفة لها(١٠٢).

واستحسن أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) ، والنحّاس (ت ٣٣٨هـ) قراءة العامة ، وبيّنا أنّ وجه قبولها هو أنّ المصدر جاء لبيان عدد مرات حدوث الفعل ، ولو أنّ المصدر جاء لمجرد التوكيد ما صحّ أنْ يقوم مقام الفاعل، وقد عبّر أبو عبيدة عن هذا الرأي قائلاً : ((لما جاءت المصادر صفة جرى على مجرى الاسم الذي لم يذكر فاعله ، ولو جاء بغير صفة لقلت : ضُربَ ضَرْباً))(١٠٣) ، وقال أبو جعفر النحاس : ((لما نعت المصدر حَسُنَ رفعه ، ولو كان غير منعوت كان منصوباً لا غير)) (١٠٤) .

وقد أجاز بعض النحاة المتأخرين ، ومنهم أبو حيان الأندلسي نصب المصدر(نفخة)، وإنْ جاء لغير التوكيد ، بحجة أنّ ((نفخة مصدر محدود ونعته ليس بنعت تخصيص ، وإنّما هو نعت توكيد))(١٠٥) ، مخالفين بذلك جمهور النحاة الذين ذهبوا إلى أنّ من شروط قيام المصدر مقام ما لم يسم فاعله هو ألا يكون مسوقاً لمجرد التوكيد (١٠٦) ؛ إذ ((لا فائدة من الإسناد إليه ، وهو ملفوظ به ، فكيف إذا نُويَ، ولم يُلفظ به))(١٠٧).

وقد ذكر الأخفش (نفخة واحدة) بالنصب ، ولم يذكر أقرئ بها أم لا ، وقال عنها: ((وهي في العربية جائزة ... والمعنى : نُفِخَ الصّورُ نفخةً واحدة)) (١٠٨).

ولا يرى البصريون من ضير في رفع (نفخة) أو نصبها ؛ لعلمنا أنّ مذهب البصريين في هذه المسألة هو أنّه إذا اجتمع المصدر والمجرور في الكلام ، فالمتكلم مخيّر في إقامة ما شاء مقام الفاعل(١٠٩) . والمختار عند ابن معطٍ (ت ٦٢٨هـ) إقامة المجرور، في حين أنّ المختار عند ابن عصفور (ت ٦٩٩) إقامة المصدر (١١٠).

- وقرأ لفظة (الحقّ) في قوله تعالى : ((وقُلِ الحقَّ من ربِّكم)) [الكهف/ ٢٩] بالنصب(١١١)، ووجه النصب فيها أنّها صفة لمصدر محذوف، دلّ عليه الفعل (قُلْ) ، والتقدير : (وقُلِ القولَ الحقَّ) (١١٢) .

و(الحقُّ) في قراءة الجمهور يجوز أنْ يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره : (وقُل هو الحقُّ) ، ويجوز أنْ يكون مبتدأ ، وخبره (من ربِّكم)(١١٣) ، واختار الزمخشري الوجه الأول (١١٤).

- وقرأ قوله تعالى : ((هُنالكَ الوَلايةُ للهِ الحقّ)) [الكهف/ ٤٤] بنصب (الحقّ) ، وبها قرأ عمرو ابن عبيد ، وابن أبي عبلة ، وأبو حيوة (١١٥). ولقد نسب ابن عطية هذه القراءة إلى أبي حيوة وحده(١١٦)، في حين نسبها الزمخشري إلى عمرو بن عبيد وحده ، وقال عنها هي ((قراءة حسنة فصيحة))(١١٧) .

ولقد صوّب نحويو المدرستين قراءة النصب ، فعدّها الفرّاء من القراءات التي تجيزها الصيغة النحوية ؛ فقال : ((ولو نصبت (الحقّ) على معنى حقاً كان صواباً))(١١٨) .

وأجاز الزجّاج قراءة النصب أيضاً ، وذكر أنّه لا يعلم أحداً قرأ بها ، وخرّجها على أنّها مفعول مطلق لفعل محذوف ، تقديره : (أَحَقّ الحقّ) ، فقال : ((ونصبه على المصدر في التوكيد ، كما تقول: (هناك الحقّ)، أي : أَحَقّ الحقّ)(١١٩) ، والى مثل هذا الرأي ذهب ابن خالويه(١٢٠) (ت٣٧٠هـ).

وقرأ أبو عمرو بن العلاء والكسائي

بالرفع ، وقرأ بقية القرّاء بالكسر(١٢١). والحجة لمن رفع (الحقّ) جعله نعتاً للولاية (١٢٢)، ويجوز – على رأي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) – أن يكون (الحقّ) خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره : (هو الحقُّ) (١٢٣) ، وفي هذه الحال يكون (هو الحق) في محل جر صفة (لله) عزّ وجل ، أو مبتدأ والخبر محذوف ، والتقدير: (الحقُّ ذلك)، أي ما قلناه(١٢٤). وأمّا من قرأ بالجر ؛ فقد جعله نعتاً لله عزّ وجل ، والتقدير : (لله ذي الحقِّ) (١٢٥).

– وقَرأ لفظة (تنزيل) في قوله تعالى : ((تنزيلٌ من ربّ العالمينَ)) [الحاقة/ ٤٣] بالنصب ، ووجه النصب فيها أنّها مفعول مطلق لفعل محذوف ، تقديره : (نَزّلَ تنزيلاً)(١٢٦)، وقرأ العامة بالرفع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : (هو تنزيلٌ) (١٢٧) .

– وقرأ قوله تعالى : ((واعلموا أنّكم غيرُ مُعْجزي اللهِ)) [التوبة/ ٢] بنصب لفظ الجلالة(١٢٨) ، على أنّه مفعول به لاسم الفاعل ، وقرأ العامة ذلك بالجر على الإضافة (١٢٩) . وقد ذكر ابن جني قراءة قعنب ، وعدّها قراءة غريبة ، ووصفها بأنّها تكاد تكون لحناً ؛ لأنّها ليست جارية على قياس النحو ؛ إذ إنّ (معجزي) لم تقترن بالألف واللام ؛ حتى يُفسر حذف النون فيها ، ونصب لفظ الجلالة بعدها بأنّه جاء لتقصير الصلة (١٣٠) .

ومع أنّ ابن جني رفض هذه القراءة ، فانّه خرّجها على أنّ القارئ قاس غير المقترن بالألف واللام على المقترن بالألف واللام ، فقال: ((غير أنّه شبه معجزي بالمعجزي ، وسوغ له ذلك علمه بأنّ (معجزي) هذه لا تتعرف بإضافتها إلى اسم الله تعالى ... فكما جاز النصب في (الْمُقيمي الصّلاة) (١٣١) كذلك شبه به غير معجزي الله)) ، وبين أنّ هذه القراءة لها ما يماثلها في كلام العرب ، ومن ذلك قول سويد بن أبي كاهل(١٣٢) :

وَمساميحُ بما ضُنّ به حابسو الأنـفـس عن سُوءِ الطّمَع

وذهب أبو البقاء العكبري إلى أنّ النصب في مثل هذه القراءة شاذ وغير صحيح ، وعدّه ((سهو من قارئه ؛ لأن اسم الفاعل تحذف فيه النون ، وينصب إذا كان فيه الألف واللام))(١٣٣) ، وقول العكبري هذا يوحي بأنّ قعنبًا صانع لهذه القراءة، وأنّها من عنده .

وحقاً أنّ أمر هؤلاء النحويين عجيب ؛ فهم أحياناً يجيزون إثبات اللغة اعتماداً على شعر مجهول، في حين نجدهم يقفون موقف الاستهانة والمغالاة في معارضة كثير من القراءات، وبخاصة ما أشكل منها ، ولعل السبب في ذلك هو اعتقادهم بأنّ القراءات آراء تنبثق من أصحابها، وليست سنّة متّبعة(١٣٤) .

وأجاز ابن مالك حذف النون هنا اختياراً ونصب لفظ الجلالة بعدها ، وفسّر ذلك بأنّ هذه النون جاءت قبل لام ساكنة(١٣٥). وكثير من النحويين لا يجيزون حذف النون في مثل هذه القراءة ونصب الاسم بعدها ، وعندهم أنّ مثل هذا الحذف جاء للضرورة ؛ لعلمنا أنّ نون الجمع عندهم تحذف للإضافة، ولشبه الإضافة ، ولتقصير الصلة ، وما عدا ذلك يكون حذفها للضرورة (١٣٦) .

– وقرأ قوله تعالى ((والزّانيةُ والزاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما مائة جَلدة))[النور / ٢]بالنصب، وكذلك قرأ يحيى بن يعمر ، وأبو جعفر المدني (ت ١٣٢هـ) ، وعيسى بن عمر ، وإبراهيم بن أبي عبلة ، وعمرو بن فائد (ت بعد ٢٠٠هـ) ، ورويس(١٣٧) (ت ٢٣٨هـ) ، ولكنّ أكثر النحويين والمفسرين نسبوا هذه القراءة إلى عيسى بن عمر وحده (١٣٨) .

وقد خرّجوا قراءة النصب على أنّها مفعول به لفعل محذوف ، يفسره المذكور بعده ، والتقدير : (اجْلِدوا الزّانيةَ والزّانِي)(١٣٩) ، وفسّروا قراءة العامة بالرفع على أنّ (الزّانية) مبتدأ ، والخبر محذوف ، تقديره : (وفيما يُتلى عليكُم الزّانيةُ والزّانِي) ، وهذا هو مذهب سيبويه(١٤٠) . وذهب الفرّاء والمبرد (ت٢٨٥هـ) والزجّاج إلى أنّ الخبر جملة (فاجْلِدوا)(١٤١) ، وتابعهم على هذا الرأي الزمخشري(١٤٢) . واحتمل ابن عطية أن تكون(سورة) [النور/ ١] مبتدأ، والخبر قوله تعالى : (الزانية) ، وفي هذا التوجيه من البعد ما فيه (١٤٣) .

والقياس عند سيبويه (ت١٨٠هـ) ترجيح النصب على الرفع في لفظة (الزّانية) ؛ لأنـّها وقعت قبل فعل طلب ، جاء في كتاب سيبويه : ((والأمر والنهي يُختار فيهما النصب في الاسم الذي يُبنى عليه الفعل ، ويُبنى على الفعل))(١٤٤) ، وفي موضع آخر من كتابه ذكر قراءة النصب في هذه اللفظة ، وقال : ((وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ، ولكنْ أبت العامة إلا القراءة بالرفع))(١٤٥) ، وهذا هو اختيار الخليل أيضاً (١٤٦) . والاختيار عند الفرّاء والزجّاج ترجيح قراءة الرفع على النصب(١٤٧) ، وعقّب ابن عطية على هذا الرأي قائلاً : ((هذا قول جيد ، وهو قول أكثر النحاة))(١٤٨) .

ما قرأه مجزوماً

نقل عن قعنب العدويّ أنّه قرأ ((إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)) [الأحزاب/ ٣٢] بكسر العين على نية الجزم(١٤٩) عطفاً على محل فعل النهي (تخضعْنَ) على أنّه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيَهُنّ عن الخضوع بالقول ، كأنّه قيل : (فلا تَخْضَعْنَ بالقول فلا يطمعَ الذي في قلبهِ مرضٌ) (١٥٠) .

وبهذه القراءة أيضاً قرأ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت١١٧هـ) ، وابن محيصن وعيسى بن عمر، وأبان بن عثمان(١٥١) (ت القرن الثاني الهجري) ، وقرأ العامة بفتح العين (فيطمع) على أنّه منصوب بأنْ المضمرة وجوباً بعد فاء السببية في جواب النهي (١٥٢) .

وتقبل أبو جعفر النحّاس الوجه الذي قرأ به قعنب ، فوصفه بأنّه جيد حسن(١٥٣)، وأمّا ابن جني فقد خرّجه ، وذكر بيت شعر لامرئ القيس، جاء موافقاً لهذا الوجه ، غير أنّه رجّح الوجه الذي قرأ به الجمهور ، فقال : ((إلا أنّ النصب أقوى معنى ، وأشد إصابة للعذر ، وذلك أنّه إذا نصب كان معناه أنّ طمعه إنّما هو مسبب عن خضوعُهنّ بالقول فالأصل في ذلك منهي عنه ، والمنهي مسبب عن فعلهُنّ ، وإذا عطفه كان نهياً لهنّ وله ، وليس فيه دليل على أنّ الطمع راجع الأصل إليهن، وواقع من أجلهُنّ)) (١٥٤) .

ونسبوا لقعنب قراءة أخرى في الآية، هي كسر الميم وفتح العين (فيَطمِعَ)، وعقّب أبو جعفر النّحّاس على هذه القراءة قائلاً : ((أحسب هذا غلطاً))(١٥٥).

وفي الآية وجه ثالث ، روي عن ابن محيصن ، وهو ضمّ الياء وكسر الميم وفتح العين (فيُطمِعَ)(١٥٦)، بمعنى : فيُطْمِعَ الخضوع أو القول(١٥٧).

اختلاف قراءة الأسماء والأفعال والأدوات

لم تقتصر مخالفة أبي السّمال لقراءة الجمهور على الحركة الإعرابية ، وإنّما نجد أنّ هذه المخالفة تتمثل – في جانب بارز منها – في الأسماء والأفعال والأدوات

: زيادة وحذفاً وتغييراً، مما له مساس بالنحو ؛ لما يترتب عليه من أثر في الموضع الإعرابي للفظ .

اختلاف قراءة الأسماء

اختلفت قـراءة أبي السـمّال عـن قـراءة الجمهور بتغيير الصياغة تقديماً وتأخيراً ، ويمكن أنْ نلحظ ذلك في قراءته قوله تعالى : ((لم يكن له شريكٌ في الملكِ)) [الإسراء / ١١١] ؛ إذ قرأ بتقديم اسم كان (شريك) على الجار والمجرور (له) الواقع خبراً ، وكذلك قـرأ طلحة ابـن مـصـرف(١٥٨) (ت١١٢هـ) . وكلتا القراءتين جائزة في ميزان العربية، غير أنّ تقديم (له) عـلى (الشريك) في قراءة الجمهور جاء لغرض تأكيد نفي وجود من يعاون الله سبحانه وتعالى على تسيير أمور الخلق .

وقـد جـاءت طائفة من أمثلة قـراءة أبي السّمال على نحو آخر من الاختلاف عن قراءة الجمهور، تتمثل بجعل ما هو اسم للحرف فعلاً ، وذلك في قوله تعالى : ((ص والقرآن ذي الذّكر)) [ص / ١] ؛ إذ قرأه (صـادِ) بكسر الدال من غير تنوين وشاركه في هذه القراءة كلّ من أبي ابن كعب (ت٢١هـ)، ونصر بن عاصم ، والحسن البصري ، وابن أبي إسحاق (ت١١٧هـ)، وإبراهيم بن أبي عبلة(١٥٩) .

ووجـه الكسر في قـراءة أبي السّمال أنّه فعل أمر من (صادى – يُصادي)، ومعناه عارضْ القرآنَ بعملك ، وقابلْهُ به ، فاعملْ بأوامره وانتِهِ عن نواهيه(١٦٠)، وهذا الوجه يُروى عن الحسن البصري ، وهو المشهور عند علماء اللغة(١٦١) . ونسب الفـرّاء قراءة الكسر إلى الحسن البصري وحده ، وخـرّج كسرة الـدال على أنّها لاجتماع الساكنين(١٦٢) .

والأجود عند سيبويه (ت١٨٠هـ) القراءة بإسكان الدال ، وعدم تحريكها ؛ لأنّـها من حروف الهجاء ، وحكمها الوقف عليها ، وهي قراءة أكثر القـرّاء (١٦٣) ؛ ولهذا لم يجزْ الأزهري (ت٣٧٠هـ) إلا القراءة بها ، وقال عن القراءة بكسر الدال (صادِ): إنها ليست بجيدة(١٦٤) ، ومثل ذلك نجده عند الطوسي والطبرسي ؛ إذ وصفا قراءة الجمهور بأنّها هي الصحيحة(١٦٥) .

ومن هذا الضرب أيضاً قراءته قوله تعالى : ((نْ والقلمِ)) [القلم/ ١] بكسر النون(١٦٦) ، وكذا قرأ ابن عباس (ت٦٨هـ)، والحسن البصري ، وابن أبي إسحاق (١٦٧) ووجه الكسر فيها على إضمار حرف القسم ، كما تقول : (الله لأفعلنّ) (١٦٨) . وقد وجّهت هذه القراءة توجَيهاً آخر ، فقيل: إنّ كسر النون إنّما هو لالتقاء الساكنين (١٦٩).

وقرأ أكثر القرّاء بسكون النون ، ووجه الإسكان فيها عند سيبويه هو أنّها بعض حروف الأسماء ، فلم يجز إعرابها ، كما لا يُعرَب وسط الاسم(١٧٠) ، وقال الفرّاء : ((لم تُعرَب حروف المعجم ؛ لأنّك إنّما أردت تعليم الهجاء(١٧١) .

وأيّد أبو جعفر النحّاس رأي الفرّاء في إسكان النون ، ووضّحه بقوله : ((لأنّك إذا أردت تعليم الهجاء لم يجز أنْ تزيد الإعراب ، فيزول ذلك عن معنى الهجاء إلا أنْ تنعت أو تعطف فتعرب)) (١٧٢) .

اختلاف قراءة الأفعال

ويتمثل هذا المظهر في طائفة من الأفعال التي قرأ بها أبو السمّال العدوي ؛ إذ قرأ الفعل المضارع (يَبْصُروا) في قوله تعالى : ((بَصُرْتُ بما لم يَبْصُروا بِهِ))[طه / ٩٦] بالتاء وفتح الصاد، ورويت هذه القراءة عن الأعمش أيضًا (١٧٣) .

وخرّجوا القراءة التي قرأ بها أبو السمّال على صرف الخطاب لموسى (ع) وبني إسرائيل ، وفسروا قراءة الجمهور بالتاء على أنّ الفعل مسند إلى ضمير الغائبين ، وهم بنو إسرائيل (١٧٤).

ويرى الشوكانيّ أنّ القراءة بتاء الخطاب بعيدة عن المعنى المقصود من الآية الكريمة ؛ إذ ليس من المعقول أنْ يخاطب السامريّ موسى بذلك ، ويدعى لنفسه أنَّه علِمَ ما لم يعلم به موسى(١٧٥) .

ونُقِلَ عنه أيضًا أنّه قرأ الفعل المضارع الناقص (يكونُ) في قوله تعالى : ((فسوفَ يكونُ لزاماً)) [الفرقان / ٧٧] بالتاء، مسنداً الفعل الناقص إلى ضمير مؤنث ، والتقدير: (فسوف تكونُ العاقبة)(١٧٦). ونسبت هذه القراءة إلى عيسى بن عمر ، وأبان بن تغلب(١٧٧) (ت ١٤١ هـ أو ١٥٣هـ) . وقرأ العامة (يكونُ) بإسناد الفعل إلى الضمير(هو) ، والتقدير (فسوف يكونُ العذابُ لزاماً)(١٧٨) .

ومما يدخل في تغيير صورة الفعل قراءاته بعض الأفعال المبنية للمجهول أو المعلوم على نحو مخالف لقراءة الجمهور ، مما يؤدي إلى اختلاف صورة الإسناد فيها ؛ فقد قرأ الفعل المضارع المبني للمجهول (يُخَيَّلُ) في قوله تعالى: ((يُخَيَّلُ إليه من سِحْرِهـم أنّها تسعى)) [طه/ ٦٦] بالتاء المفتوحة ، وبصيغة المبني للمعلوم (تَـخَـيَّلُ) (١٧٩). و والفعل (تخيَّلُ) في هذه القراءة أصله (تتَـخيلُ) ، على حذف إحدى التاءين ، وهو مسند إلى الضمير العائد على الحبال والعصيّ ، الواقع فاعلاً ، وجملة (أنّها تسعى) في محل رفع بدل اشتمال من ذلك الضمير (١٨٠) ، أو في محل نصب مفعول من أجله ، كما يرى ابن عطية(١٨١) .

ونسبوا لأبي السّمال قراءة أخرى في الآية ، وهي (تُـخَـيِّلُ) بضم التاء وكسر الياء(١٨٢)، ونسب ابن عطية هذه القراءة إلى الحسن البصري ، وعيسى بن عمر (١٨٣) . ووجه هذه القراءة أنّ الضمير المسند إليه الفعل في محل رفع فاعل ، و (أنّها تسعى) في محل نصب مفعول به (١٨٤) .

وقرأ العامة بالياء على التذكير ، وإسناد الفعل إلى المصدر المؤول (أنّها تسعى)، الواقع في محل رفع نائب فاعل ، والتقدير (يُخَيَّلُ إليه سَعْيُها) (١٨٥) ، ويجوز أنْ يكون نائب الفاعل مضمراً، والمصدر المؤول بدل اشتمال من ذلك الضمير(١٨٦) .

ومن هذا الضرب قراءته الفعل (يُحْمَلْ) في قوله تعالى : ((وإنْ تدْعُ مُثقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ منه شيءٌ))[فاطر / ١٨] بفتح التاء وكسر الميم (تَـحْمِلْ) (١٨٧). وتقضي هذه القراءة نصب (شيء) على أنّه مفعول به لـ (يَحْمِلْ)، وفاعله ضمير عائد على مفعول (تَدْعُ) المحذوف ، والتقدير: (وإنْ تَـدْعُ مُثْقَـلَةٌ نفساً إلى حِمْلِها لم تَـحْمِلْ منه شيئاً)(١٨٨).

وقرأ جمهور القرّاء (يُحمَل) بصيغة المبني للمجهول ، وهي قراءة تتطلب رفع (شيء) على أنّه نائب فاعل (١٨٩) .

وجعل أبو السّمال العدوي الفعل الخماسي المبني للفاعل في قوله تعالى : ((تَبَيَّنَ لهـم الحقُّ)) [البقرة/ ١٠٩] بصيغة المبني للمفعول ؛ إذ قرأه (بُيِّن) بحذف التاء ، مسنداً الفعل إلى (الحقّ) على أنّه نائب فاعل ، وهو كذلك من حيث الإسناد في قراءة الجمهور ، ولكنّه وقع موقع الفاعل(١٩٠) .

اختلاف قراءة الأدوات :

تتمثل هذه الخصيصة في قراءة أبي السمّال عبر أدائه بعض الأدوات بصورة مخالفة لقراءة الجمهور . وقد اتخذ هذا المظهر في قراءته عدة صور ، لعلّ أشهرها هي : إثبات أداة مغايرة للأداة

المذكورة في قراءة الجمهور .

ومما جاء من أمثلة قراءته ، وقد استعمل فيها أداة مخالفة لقراءة الجمهور قوله تعالى: ((إنّ ربّهم بهم يومئذٍ لخبيرٌ)) [العاديات/ ١١] ؛ فقد قرأه بفتح الهمزة وإسقاط اللام من (لخبير) (١٩١)، ولا شذوذ في هذه القراءة ؛ إذ ليس فيها مما هو خارج عما اصطلح عليه النحاة من قواعد ، وإنّما قرئت (إنّ) بالكسر في قراءة الجمهور ؛ لاقتران خبرها باللام ، ولولا ذلك لكانت مفتوحة بوقوع العلم عليها (١٩٢) .

وليس من فرق بين القراءتين سوى أنّ الفعل((يعلمُ)) [العاديات/ ٩] قد علق عن عمله في قراءة الجمهور ، وأمّا في قراءة أبي السّمال فقد سدّ المصدر المؤول من (أنّ واسمها وخبرها) مسدّ مفعولي (يعلمُ)(١٩٣) .

ومن هذا الضرب أيضًا قراءته قوله تعالى : ((وأنّ إلى ربّك المنتهى))[النجم / ٤٢] بكسر همزة (إنّ)، على أنّ الجملة التي فيها (إنّ) منقطعة عما قبلها(١٩٤) ، وقرأ جمهور القرّاء بفتح الهمزة ، على أنّ الجملة التي فيها (أنّ) معطوفة على ما قبلها (١٩٥) .

وجاءت قراءته قوله تعالى : ((ألَمْ يأنِ للذين آمنوا)) [الحديد/ ١٦] هكذا : (ألّما يَأْن)، أي باستعمال الأداة (لمّا) بدلاً من (لم) ، وبها قرأ الحسن البصري(١٩٦). ولا فرق بين الأداتين (لم) و(لما) فكلتاهما أداة نفي وجزم وقلب ، غير أنّ المنفي بـ (لمّا) متوقعاً ثبوته ، بخلاف (لم) فلا يكون منفيها متوقعاً (١٩٧).

وقرأ قوله تعالى : ((أوَكلّما عاهدوا عهداً نبذهُ فريقٌ منهم)) [البقرة / ١٠٠] بسكون الواو (١٩٨) ، أي بجعل همزة الاستفهام والواو حرفاً واحدًا ، وهو (أوْ).

وقد خرّج الكوفيون هذه القراءة على أنّ (أو) بمعنى بل ، وشاركهم في هذا الرأي كلّ من أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) ، وابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، وابن برهان(١٩٩) (ت٤٥٦هـ) . والمعنى على هذا التخريج أنّ ((الفاسقين)) [البقرة/ ٩٩] ، بمعنى (الذين فسقوا) ، فكأنّه قيل : (وما يكفرُ بها إلا الذين فسَقوا بل كلّما عاهدوا) (٢٠٠) ، واحتمل أبو حيان الأندلسي أنْ تكون (أو) في هذه القراءة بمعنى الواو(٢٠١) .

وقرأ جمهور القرّاء بفتح الواو (أوَ كلّما) على أنّها حرف عطف ، دخلت عليه همزة الاستفهام ، وهذا هو رأي سيبويه وأكثر النحويين (٢٠٢) . والمعطوف عليه في هذه القراءة – على رأي أكثر النحويين – محذوف ، والتقدير : (أكفروا بالآياتِ البيّناتِ وكلّما عاهدوا)(١٠٣) ، وبعضهم يقدر المعطوف مأخوذاً من كلام السابق، ويقول بتوسط الهمزة بين المعطوف والمعطوف عليه ، لغرض يتعلق بالمعطوف خاصة ، والتقدير عنده : (نقضوا هذا العهدَ وذلك العهدَ أو كلّما عاهدوا) (٢٠٤) .

ورجّح الأخفش الأوسط أنْ تكون الواو زائدة (٢٠٥) ، وهذا الرأي ضعيف جداً ؛ لأنّه لا يحكم على الحرف بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة(٢٠٦) ، وقال الكسائي : هي (أو) التي بمعنى (بل) ، وحُرّكت الواو بالفتح تسهيلاُ(٢٠٧) .

ولقد ذكر ابن عطية هذه الآراء الثلاثة، وعقّب عليها ، قائلاُ :((وهذا كلّه متكلف... والصحيح قول سيبويه))(٢٠٨) ، ومثله فعل الآلوسي واصفاً القولين الآخرين بأنّهما ضعيفان(٢٠٩) .

ورُوي عنه أنّه قرأ قوله تعالى : ((إنّا هَدَيناهُ

السبيلَ إمّا شاكرًا وإمّا كفورًا)) [الإنسان/ ٣] بفتح همزة(إمّا) في الموضعين (٢١٠) ، وكذلك قرأ أبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود(٢١١) (ت٣٢هـ) .

وقد خرّجوا فتح همزة (إمّا) في قراءة أبي السمّال على أنـّها لهجة حكاها أبو زيد عن بعض العرب(٢١٢) ، وذكر السيوطي (ت٩١١هـ) أنّ فتح همزة (إمّا) هي لهجة تميم وقيس وأسد(٢١٣).

ووصف الزمخشري هذه القراءة بأنـّها حسنة ، وفسّرها على أنـّها (أمّا) الشرطية التفصيلية ، وجوابها مقدر على معنى : (أمّا شاكرًا فبتوفيقنا وأمّا كفورًا فبسوء اختياره)(٢١٤)، وقيل انتصب (شاكرًا وكفورًا) بإضمار كان ، والتقدير : (سواء كان شاكرًا أو كان كفورًا)(٢١٥).

وقد علّل الكوفيون قراءة الجمهور بكسرة همزة (إمّا) على أنـّها (إنْ) الشرطية المدغمة في (ما) النافية ، والتقدير عندهم : إنـّا هديناه ُالسبيلَ إنْ شكرٌ وإنْ كفرٌ)(٢١٦) .

وقد أنكر البصريون هذا التخريج ؛ لانّ أداة الشرط لا تدخل على الأسماء ، إلا أنْ يضمر بعدها فعل ، ولا يصح هنا إضمار الفعل ؛ لأنـّه يلزم رفع (شاكرًا) و (كفورًا)(٢١٧) ، وذهبوا إلى أنّ (إمّا) بمعنى (أو) التخييرية ، وانتصاب (شاكرًا) و (كفورًا) على الحال(٢١٨)، والتقدير :(إنـّا خلقْنا الإنسانَ شاكرًا أو كفورًا)(٢١٩) .

وقد ردّ ابن الشجري هذا الرأي ، وذهب إلى أنّ المضمر هنا هو كان ، والتقدير : (هديناهُ السبيلَ إنْ كانَ شاكرًا وإنْ كانَ كفورًا)(٢٢٠) .

ومن المفيد أنْ أشير هنا إلى أنّ هناك آية واحدة قرأها قعنب العدويّ بفتح اللام الجارة، الداخلة على الفعل المضارع ، وذلك في قوله تعالى : ((ما كانَ اللهُ لِيُعذبَهم وأنتَ فيهم)) [الأنفال/ ٣٣] ، وهذه اللام هي لام الجحود ، والمشهور فيها أنْ تكون مكسورة ، وفتحها لهجة عكل وبني العنبر من تميم(٢٢١) .

ووردت في قراءة قعنب آية واحدة ، قرأها بزيادة تاء التأنيث على الحرف الشبيه بالزائد (ربّ)(٢٢٢) ، وذلك في قوله تعالى : ((رُبَما يودّ الذينَ كفَروا لو كانوا مسلمينَ))[الحجر/ ٢]؛ إذ قرأه هكذا : (رُبّتما) بتشديد الباء وزيادة التاء ، والقراءة التي قرأ بها قعنب هي إحدى اللهجات الستة عشر التي قيلت في(ربّ)(٢٢٣).

الخاتمة

كان صاحبنا قعنب بن هلال بن أبي قعنب البصري العدوي يكنّى بأبي السمّال، وبعض المؤلفات التي ترجمت له قد أخطأت في كنيته ، فكانت تكنيه بأبي السمّاك . والمعلومات التي وصلت إلينا عن حياته كانت قليلة جداً ومحدودة ، ولا تكاد تشفي الغليل . ويعد الذهبي أفضل من ترجم له ؛ إذ ذكر معلومات تتصل بحياته ، لم تكن موجودة في الكتب الأخرى التي ترجمت له .

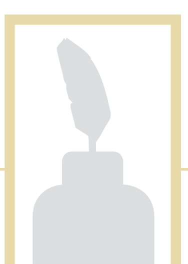
وكان له مذهب في قراءة القرآن الكريم ، خالف فيه جمهور القرّاء ، رواه عنه أبو زيد الأنصاري ، وأرجعوا سند قراءاته إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب .

عاصر قعنب بعض الأسماء اللامعة في مجالي : النحو ، والقراءة . وكان على معرفة جيدة بمسائل النحو المتداولة في عصره، وتوفي في حدود سنة ١٦٠هـ .

وقد وافقت قراءته قراءة الجمهور – في جانب بارز منها – في الصياغة ، واقتصر الخلاف بينهما على الحركة الإعرابية . ونظرة سريعة في القراءتين ، تبين لي أنّ هذه المخالفة تنحصر في حركتين ، هما : الرفع ، والنصب . ولم أجد لأبي السمّال قراءة بالكسر ، لها حركة مخالفة في قراءة الجمهور ، بيد أنّ هناك كلمة واحدة في سورة الأحزاب قرأها أبو السمّال بالكسر على نية الجزم ، وجاءت في قراءة الجمهور بالفتح .

ولم تقصر مخالفة قراءته لقراءة الجمهور على الحركة الإعرابية، وانّما نجد هذه المخالفة تتمثل في جانب بارز منها في الأسماء والأفعال والأدوات . وقد انحصر الخلاف بين القراءتين في الأسماء على شيئين ، هما : تغيير الصياغة تقديماً وتأخيراً ، وجعل ما هو اسم للحرف فعلاً .

ومما يدخل في تغيير صورة الفعل في قراءته : قراءته بعض الأفعال المبنية للمجهول أو المعلوم على نحو مخالف لقراءة الجمهور ، مما أدّى إلى اختلاف صورة الإسناد فيها . وأمّا اختلاف قراءة الأدوات فواضح كلّ الوضوح في قراءته ، واتخذ عنده هذا المظهر ثلاث صور ، هي : إثبات أداة مغايرة للأداة المذكورة في قراءة الجمهور ، وتحريك الأداة بحركة مخالفة لقراءة الجمهور ، فضلاً عن زيـادة حرف على الأداة لم تشتمل عليه القراءة الأخرى.



الهوامش

(١) ينظر معرفة القـرّاء الكبّار على الطبقات والمصادر ، للذهبي : ١/ ٢٦٦، ٣٠٧، ٣٥٢ .

(٢) ينظر لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني : ٤/ ٥٥٧.

(٣) ينظر دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدي : ٧/ ٨٩٧.

(٤) ينظر معرفة القرّاء الكبّار : ١/ ٢١٤- ٢٩٦.

(٥) ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري: ٢/ ٢٧.

(٦) معرفة القرّاء الكبّار : ١/ ٣٠٧.

(٧) ينظر غاية النهاية في طبقات القرّاء : ٢/ ٢٧.

(٨) معرفة القرّاء الكبّار : ١/ ٣٠٧

(٩) المصدر نفسه : ١/ ٢٦٦.

(١٠) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(١١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي : ٢/ ٢٧١.

(١٢) معرفة القرّاء الكبّار : ١/ ٣٥٢.

(١٣) ينظر قراءة أبي بن كعب ، للدكتورة خولة الدليمي : ٢٧.

(١٤) ينظر شرح الأشموني : ١/ ١٥٤.

(١٥) ينظر المحرّر الوجيز ، لابن عطية : ١/ ١١١ ، شرح الأشموني : ١/ ١٥٤.

(١٦) معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج : ١/ ٨٧.

(١٧) مجمع البيان ، للطبرسي : ١/ ٣٣.

(١٨) المحتسب ، لابن جني : ١/ ١٤٥.

(١٩) ينظر شرح التسهيل ، لابن مالك : ١/ ٢٠٣ ، شرح التصريح ، للشيخ خالد الأزهـري :١/ ١٧٣.

(٢٠) ينظر مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب : ١/ ٨٣.

(٢١) ينظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة : ١/ ٣٥، معاني القرآن ، للأخفش الأوسط : ١/ ٢١٥.

(٢٢) ينظر أمالي ابن الشجري : ١/ ١١٢، شرح المفصل ،لابن بعيش : ٢/ ٦٥، ٣٩١-٣٩٢.

(٢٣) البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي : ١/ ٢٦٧.

(٢٤) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

(٢٥) الكشاف ، للزّمخشري : ١/ ١١٩.

(٢٦) روح المعاني ، للآلوسي: ١/ ٢٠٩.

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن ،للقرطبي: ١/ ١٦٨- ١٦٩ ، البحر المحيط : ١/ ٢٦٦- ٢٢٧ ، روح المعاني : ١/ ٢٠٨- ٢٠٩.

(٢٨) المحرّر الوجيز: ١/ ١١٠، فتح القدير ، للشوكاني : ١/ ٦٩.

(٢٩) إعراب القرآن ، للنحّاس : ١/ ٤٠.

(٣٠) المحرّر الوجيز: ١/ ١٠٠

(٣١) فتح القدير : ١/ ٦٩.

(٣٢) معاني القرآن ، للفرّاء : ١/ ٢٢

(٣٣) ينظر مجمع البيان : ١/ ١٣٣.

(٣٤) ينظر همع الهوامع ، للسيوطي : ١/ ٤٨٥.

(٣٥) ينظر مجمع البيان : ١/ ١٣٣-١٣٤.

(٣٦) إعراب القرآن المنسوب للزجّاج : ١/ ٩٣٥ ، شواذ القراءات ، للكرماني : ٤٠٩.

(٣٧) زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج جمال الدين الجوزي : ٧/ ٥

(٣٨) الكتاب: ١/ ١٠١ ، التبيان للعكبري : ٢/ ١٩٠٧ ، روح المعاني : ١٢/ ١٥٧.

(٣٩) التبيان للعكبري: ٢/ ١٩٠٧، الجامع

لأحكام القرآن : ١٥/ ٩٧ ، شرح الأشموني : ١/ ٢٧١.

(٤٠) ينظر إعراب القرآن ، للنحّاس : ٤/ ٣٤ ، شرح المفصل :١/ ٢٦٩.

(٤١) ينظر مغني اللبيب : ٢٤٨ ، روح المعاني : ١٢/ ١٥٧.

(٤٢) شرح التصريح : ١/ ٢٦٩.

(٤٣) البحر المحيط : ٨/ ١٣٩.

(٤٤) معاني القرآن، للفرّاء : ٣/ ٨٨– ٨٩ ، التبيان للطوسي : ٩/ ٣٩٤.

(٤٥) معاني القرآن ، للفرّاء :٣/ ٨٩.

(٤٦) ينظر معاني القراءات للأزهري: ٤٦٣ ، الحجة للقرّاء السبعة لأبي علي الفارسي : ٣/ ٤٢٣ ، زاد المسير : ٧/ ٢٥٧.

(٤٧) ينظر الكشّاف : ٤/ ٦٣١ ، شواذ القراءات للكرماني : ٤٩١.

(٤٨) ينظر المحرّر الوجيز: ٥/ ٣٩١ ، فتح القدير : ٥/ ٤٠١.

(٤٩) معاني القرآن ، للفرّاء : ٢/ ١١٦.

(٥٠) ينظر البحر المحيط : ٨/ ٣٥٩ ، روح المعاني : ١٥/ ١٢٦.

(٥١) الكتاب : ٢/ ٤١٣.

(٥٢) مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٧٧ ، الكشّاف : ٤/ ٦٣١ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ٣٩.

(٥٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ٩٠ ، فتح القدير : ٥/ ١٥٦.

(٥٤) ينظر إعراب القرآن للنحّاس ، ٤/ ٢٥٩ ، مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٧٠٠ ، زاد المسير : ٧/ ٢٩٦.

(٥٥) ينظر الكشّاف : ٤/ ٤٢٦ ، البحر المحيط : ٨/ ١٨٩.

(٥٦) أمالي ابن الشجري : ٢/ ٨٠.

(٥٧) شرح التصريح : ١/ ٤٤٨.

(٥٨) المحتسب: ٢/ ٣٤٩.

(٥٩) شواذ القراءات : ٤٥٦ ، فتح القدير : ٥/ ١٦٠.

(٦٠) شرح الأشموني : ١/ ٤٣٤ ، روح المعاني : ١٤/ ٩٣.

(٦١) الكشّاف :٤/ ٤٣٠ ، البحر المحيط : ٨/ ١٨٢.

(٦٢) ينظر أمالي ابن الشجري : ٢/ ٩١–٩٢.

(٦٣) المصدر السابق : ١/ ٩٣ ، التبيان للطوسي : ٩/ ٤٦٠.

(٦٤) ينظر الكتاب : ١/ ٢٠١ ، المحتسب : ٢/ ٣٥٠ ، المغني : ٥٥٦.

(٦٥) مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٧٠٢.

(٦٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها ، شرح الأشموني : ١/ ٤٣٤.

(٦٧) شرح التسهيل : ١/ ٧٤ ، شرح التصريح : ١/ ٤٠١ ، همع الهوامع :١/ ١٠٦.

(٦٨) الجامع لأحكام القرآن :١٧/ ١٠ ، البحر المحيط :٨ / ١٨٨، فتح القدير : ٥/ ٦٤.

(٦٩) ينظر شرح التسهيل : ٢/ ٧٤، شرح التصريح : ١/ ٤٥٥.

(٧٠) ينظر شرح جمل الزجّاجي لابن عصفور : ١/ ٣٦٧ ، شرح التسهيل : ٢/ ٧٥ .

(٧١) المحتسب : ٢/ ٣٥٢–٣٥٣.

(٧٢) شرح جمل الزجّاجي : ١/ ٣٦٧.

(٧٣) المحتسب : ٢/ ٣٥٢.

(٧٤) ينظر شرح التصريح : ١/ ٤٥٥.

(٧٥) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه : ٧٥ ، شواذ القراءات : ٥٧٨.

(٧٦) التبيان للطوسي : ٦/ ٤٥٥.

(٧٧) معاني القرآن ، للفرّاء : ٢/ ٣٧٣.

(٧٨) معاني القرآن، للزجّاج: ٢/ ٩٨.
(٧٩) التبيان للعكبري: ٢/ ٨١٥.
(٨٠) شرح المفصل: ١/ ٤٠٤.
(٨١) البحر المحيط: ٨/ ٤١٥، فتح القدير: ٥/ ٤٧١.
(٨٢) معاني القرآن للزجّاج: ٤/ ٣١١، الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٣٢.
(٨٣) ينظر مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٧٩٩.
(٨٤) معاني القرآن، للفرّاء: ٣/ ٢٣٣.
(٨٥) إعراب القرآن، للنحّاس: ٥/ ١٨١.
(٨٦) معاني القرآن، للزجّاج: ٤/ ٣١١.
(٨٧) مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٧٩٩.
(٨٨) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٨٩، فتح القدير: ٥/ ٥١٤.
(٨٩) التبيان للطوسي: ١٠/ ٣١٧، الكشّاف: ٤/ ٧١٨.
(٩٠) مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٨٠٩، فتح القدير: ٥/ ٥١٤.
(٩١) البحر المحيط: ٨/ ٤٤٤.
(٩٢) فتح القدير: ٥/ ٥١٤، روح المعاني: ١٥/ ٢٩٩.
(٩٣) معاني القرآن، للفرّاء: ٣/ ٢٥٣.
(٩٤) المحرّر الوجيز: ٥/ ٤٦٢.
(٩٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٨٩.
(٩٦) شواذ القراءات: ١١٥.
(٩٧) إعراب القرآن، للنحّاس: ١/ ١٦٨.
(٩٨) مشكل إعراب القرآن: ١/ ١٦٢.
(٩٩) الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٧١.
(١٠٠) الكشاف: ١/ ٣٦٤، أمالي ابن الشجري .
(١٠١) مشكل إعراب القرآن: ١/ ١٦٢، البحر المحيط: ٢/ ٥١٢.
(١٠٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ١٧٢، فتح القدير: ٥/ ٣٤٩، روح المعاني: ١٥/ ٥٠.
(١٠٣) مجاز القرآن: ٢/ ٢٦٧.
(١٠٤) إعراب القرآن، للنحّاس: ٥/ ١٠٤.
(١٠٥) البحر المحيط: ٨/ ٣٠٧.
(١٠٦) شرح التسهيل: ٢/ ٥٥٨، شرح التصريح: ١/ ٤٢٦.
(١٠٧) شرح التسهيل: ٢/ ٥٩.
(١٠٨) معاني القرآن، للزجّاج: ٤/ ٢٦٩.
(١٠٩) همع الهوامع: ١/ ٥٢٣.
(١١٠) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .
(١١١) شواذ القراءات: ٢٨٧، الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢٥٥.
(١١٢) البحر المحيط: ٦/ ١١٥، روح المعاني: ٨/ ٢٥٣.
(١١٣)
(١١٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٢٥٥، البحر المحيط: ٦/ ١١٥.
الكشّاف: ٢/ ٦٩١
(١١٥) البحر المحيط: ٦/ ١٢٤، روح المعاني: ٨/ ٢٧٠.
(١١٦) المحرّر الوجيز: ٣/ ٥١٩.
(١١٧) الكشّاف: ٢/ ٦٩٦.
(١١٨) معاني القرآن، للفرّاء: ٢/ ١٤٦.
(١١٩) معاني القرآن، للزجّاج: ٣/ ١٣٤.
(١٢٠) ينظر الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه: ١٣٢.
(١٢١) معاني القراءات للأزهري: ٢٦٨، التبيان للطوسي: ٧/ ٤٨.
(١٢٢) مشكل إعراب القرآن: ١/ ٤٤٢، مجمع البيان: ٦/ ٣٤٤.
(١٢٣) ينظر زاد المسير: ٢٥/ ١٠٨.

(١٢٤) المغني في القراءات العشر المتواترة أ للدكتور محمد سالم محيسن: ٢/ ٣٧٠.
(١٢٥) الحجة في القراءات السبع : ١٢٣، الحجة للقراء السبعة : ٣/ ٨٩ ، التبيان للعكبري: ٢/ ٨٤٩.
(١٢٦) الكشّاف : ٤/ ٥٩٤ ، فتح القدير : ٥/ ٣٥٤.
(١٢٧) معاني القر
آن للزجّاج : ٤/ ٢٧٠ ، زاد المسير : ٨/ ١١٣.
(١٢٨) سر صناعة الإعراب ، لابن جني : ٢/ ١٩٢.
(١٢٩) إعراب القرآن ، للنحّاس : ٢/ ١٧٩.
(١٣٠) المحتسب : ٢/ ١٢٣.
(١٣١) الحج / ٣٥.
(١٣٢) المحتسب : ٢/ ١٢٣.
(١٣٣) التبيان للعكبري : ٢/ ١٠٨٩.
(١٣٤) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ، للدكتور محمد سمير اللّبدي:٣٢١.
(١٣٥) شرح التسهيل : ١/ ٧٦.
(١٣٦) ينظر همع الهوامع: ١/ ١٦٢-١٦٤، حاشية الصبّان :١/ ١٣٣.
(١٣٧) زاد المسير : ٥/ ٣٦٢ ، البحر المحيط : ٦/ ٣٩٣ ، روح المعاني : ٩/ ٢٧٤.
(١٣٨) ينظر إعراب القرآن للنحّاس: ٣/ ٩٣٧- ٩٣٨ .، المحرّر الوجيز: ٤/ ١٦٠ ، مجمع البيان : ١٧/ ٢١٧.
(١٣٩) المحتسب : ٢/ ١٤٣، الكشّاف : ٣/ ٢٠٤.
(١٤٠) ينظر شرح الأشموني : ١/ ٤٣١ ، همع الهوامع: ١/ ٣٤٨ ، فتح القدير :٤/ ٤
(١٤١) الجامع لأحكام القرآن :١٢/ ١٠٧.
(١٤٢) الكشّاف : ٣/ ٢٠٣.
(١٤٣) روح المعاني : ٩/ ٢٤٧.
(١٤٤) الكتاب : ١/ ١٩٢.
(١٤٥) المصدر السابق : ١/ ١٩٧.
(١٤٦) ينظر إعراب القرآن ، للنحّاس : ٣/ ١٠٤، زاد المسير : ٥/ ٣٦٢.
(١٤٧) ينظر معاني القرآن للفرّاء : ٢/ ٢٤٤ ، معاني القرآن للزجّاج:٣/ ٢٤٨.
(١٤٨) المحرّر الوجيز : ٤/ ١٦٠.
(١٤٩) مختصر شواذ القراءات : ١١٩، فتح القدير : ٤/ ٣٤٧.
(١٥٠) الكشّاف: ٣/ ٥٢١ ، روح المعاني : ١١/ ١٨٧.
(١٥١) مجمع البيان : ٨/ ١٥٤، فتح القدير : ٤/ ٣٤٧.
(١٥٢) التبيان للعكبري : ٢/ ١٥٠٦، البحر المحيط : ٧/ ٢٢٢.
(١٥٣) إعراب القرآن ، للنحّاس : ٣/ ٢٤٨.
(١٥٤) المحتسب : ٢/ ٢٢٣.
(١٥٥ إعراب القرآن ، للنحّاس : ٣/ ٢٤٨.
(١٥٦) الكشّاف : ٣/ ٥٢١.
(١٥٧) الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ١١٥.
(١٥٨) مختصر شواذ القراءات :٧٨.
(١٥٩) البحر المحيط : ٧/ ٦٦ ، فتح القدير : ٤/ ٢٥٣ ، روح المعاني:١٢/ ١٥٤.
(١٦٠) مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٦٢٢ ، الكشّاف:٤/ ٦٧ ، الجامع لأحكام القرآن:١٥/ ٩٤.
(١٦١) ينظر معاني القرآن للنحّاس: ٦/ ٧٣، إعراب القرآن للنحّاس: ٤/ ٣٣.
(١٦٢) ينظر معاني القرآن للفرّاء: ٢/ ٣٩٦.
(١٦٣) معاني القرآن للنحّاس: ٦/ ٧٣ ، إعراب القرآن للنحّاس : ٤/ ٣٣.

(١٦٤) معاني القراءات، للأزهري:٤١٤.
(١٦٥) التبيان للطوسي : ٨/ ٥٤، مجمع البيان : ٨/ ٣٤١.
(١٦٦) البحر المحيط : ٨/ ٣٠٢.
(١٦٧) المحرّر الوجيز: ٥/ ٣٤٥.
(١٦٨) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها ، الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ١٤٦.
(١٦٩) البحر المحيط : ٨/ ٣٠٢.
(١٧٠) إعراب القرآن ، للنحّاس : ٥/ ٩٣.
(١٧١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(١٧٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(١٧٣) البحر المحيط : ٦/ ٢٥٤.
(١٧٤) الحجة للقرّاء السبعة : ٣/ ١٥٤، المحرّر الوجيز: ٤/ ٦١ ، زاد المسير : ٥/ ٢٣٤.
(١٧٥) فتح القدير : ٣/ ٤٧٤.
(١٧٦) مختصر شواذ القراءات : ١٠٥.
(١٧٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها ، معجم القراءات القرآنية : ٦/ ٣٩٠.
(١٧٨) البحر المحيط : ٦/ ٤٧٥.
(١٧٩) المصدر نفسه : ٦/ ٢٤١ ، روح المعاني : ٨/ ٥٣٩.
(١٨٠) روح المعاني :٨/ ٥٣٩.
(١٨١) المحرّر الوجيز : ٤/ ٥١.
(١٨٢) البحر المحيط : ٦/ ٢٤١.
(١٨٣) المحرّر الوجيز: ٤/ ٥١.
(١٨٤) معاني القرآن للفرّاء : ٢/ ١٨٦ ، روح المعاني : ٨/ ٥٣٩.
(١٨٥) إعراب القرآن للنحّاس : ٣/ ٣٩٠ ، مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٤٦٨ ، معاني القراءات : ٢٩٧.
(١٨٦) إعراب القرآن المنسوب للزجّاج : ٢/ ٥٨٥ ، التبيان للعكبري : ٢/ ٨٩٦.
(١٨٧) البحر المحيط : ٧/ ٢٩٣.
(١٨٨) روح المعاني : ١١/ ٣٥٨.
(١٨٩) البحر المحيط : ٧/ ٢٩٣.
(١٩٠) ينظر معجم القراءات القرآنية : ١/ ١٧٦.
(١٩١) الكشاف:٤/ ٧٨١ ، فتح القدير : ٥/ ٦٠٩.
(١٩٢) زاد المسير : ٨/ ٣١٠ ، الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١١١.
(١٩٣) البحر المحيط : ٨/ ٥٠٢ ، روح المعاني : ١٥/ ٤٤٦.
(١٩٤) المحرّر الوجيز : ٥/ ٢٠٦ ، روح المعاني : ١٤/ ٦٢.
(١٩٥) مشكل إعراب القرآن :٢/ ٦٩٥ ، البحر المحيط : ٨/ ١٦٥.
(١٩٦) المحرّر الوجيز : ٥/ ٢٦٤ ، شواذ القراءات : ٤٦٥.
(١٩٧) ينظر همع الهوامع : ٢/ ٤٤٦ – ٤٤٨ .
(١٩٨) المحتسب :١/ ١٨٣ ، الكشّاف : ١/ ١٧١، شرح الأشموني : ٢/ ٣٧٩ .
(١٩٩) ينظر المغني : ٧٠ ، شرح الأشموني : ٢/ ٣٧٨- ٣٧٩.
(٢٠٠) الكشّاف : ١/ ١٧١ ، روح المعاني : ١/ ٣٣٥.
(٢٠١) البحر المحيط : ١/ ٤٩٢.
(٢٠٢) مجمع البيان : ١/ ٣١٧ ، البحر المحيط : ١/ ٤٩٢.
(٢٠٣) الكشّاف : ١/ ١٧١.
(٢٠٤) روح المعاني : ١/ ٣٣٤.
(٢٠٥) ينظر معاني القرآن ، للأخفش الأوسط : ١/ ٣٢٦.
(٢٠٦) التبيان للطوسي : ١/ ٣٦٦.
(٢٠٧) مشكل إعراب القرآن: ١/ ١٠٥، الجامع

لأحكام القرآن :٢/ ٢٨.

(٢٠٨) المحرّر الوجيز : ١/ ١٨٥.

(٢٠٩) روح المعاني : ١/ ٣٣٥.

(٢١٠) الكشّاف : ٤/ ٦٥٤ ، فتح القدير : ٥/ ٤٢٩.

(٢١١) شواذ القراءات : ٤٩٥

(٢١٢) روح المعاني : ١٥/ ١٦٩.

(٢١٣) همع الهوامع : ٣/ ١٧٨.

(٢١٤) الكشّاف : ٤/ ٦٥٤.

(٢١٥) فتح القدير : ٥/ ٤٢٩

(٢١٦) ينظر معاني القرآن للفرّاء : ٣/ ٢١٤ ، الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ٨٠.

(٢١٧) إعراب القرآن للنحّاس : ٥/ ١٥٢، المغني : ٦٦.

(٢١٨) أمالي ابن الشجري : ٣/ ١٢٨.

(٢١٩) إعراب القرآن ، للنحّاس : ٥/ ١٥٢.

(٢٢٠) ينظر أمالي ابن الشجري : ٣/ ١٢٩- ١٣٠ ، المغني : ٦٦.

(٢٢١) ينظر البحر المحيط : ٤/ ٤٨٣ ، معجم القراءات القرآنية : ٣/ ٢٨٧.

(٢٢٢) معجم القراءات القرآنية : ٤/ ٥٣٢.

(٢٢٣) المغني : ١٣٩.

روافـد البحث

١- القرآن الكريم

٢- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ، للدكتور محمد سمير نجيب اللبّدي، ط١، دار الكتب الثقافية – الكويت ١٩٧٨م.

٣- إعراب القرآن ، المنسوب للزجّاج (ت٣١١هـ) ، تحقيق إبراهيم الابياري ، ط٣، مطبعة إسماعيليان – قم ١٤١٦هـ .

٤- إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحّاس (ت٣٣٨هـ) ، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠٥م.

٥- الامالي ، لابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي ، ط١، مطبعة المدني – مصر ١٩٩٢م.

٦- البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، والدكتور زكريا عبد الحميد النواي ، والدكتور أحمد النجولي الجمل ، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت ٢٠٠٧م.

٧- بغية الوعاة في الطبقات اللغويين والنحاة ،لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٤م.

٨- التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى الحلبي – مصر ١٩٧٦م.

٩- التبيان في تفسير القرآن ، للطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة النّعمان – النجف ١٩٥٧-١٩٦٣م.
١٠- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق سالم مصطفى البدري ، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٤م.
١١- حاشية الصّبان على شرح الأشموني ، لمحمد بن علي الصبّان(ت١٢٠٦هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت١٩٩٧م.
١٢- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٩م.
١٣- الحجة للقرّاء السبعة ، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠١م.
١٤- دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدي ، ط٣، دار المعرفة – بيروت ، د.ت .
١٥- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، للآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٥م.
١٦- زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط٢،دار الكتب العلمية –بيروت ٢٠٠٢م.
١٧- سر صناعة الإعراب ، لابن جني (ت٣٩٢هـ) ، ط٢، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، وأحمد رشدي شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٧م.
١٨- شرح الأشموني ، لأبي الحسن نور الدين الأشموني (ت٩٠٠هـ)، تحقيق حسن حمد ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨م.
١٩- شرح التسهيل ، لابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق محمد عبد القادرعطا، وطارق فتحي السيد ، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت٢٠٠١م.
٢٠- شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري(ت٩٠٥هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السّود ،ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت٢٠٠٦م.
٢١- شرح الجمل (الجزء الأول) لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٩٩هـ)، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، مؤسسة دار الكتب – جامعة الموصل ١٩٨٠م.
٢٢- شرح المفصل لابن يعيش(ت٦٤٣هـ)،تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط١،دار الكتب العلمية – بيروت٢٠٠١م.
٢٣- شواذ القراءات ، لرضي الدين الكرماني (من علماء القرن السادس الهجري)، تحقيق الدكتور شمران العجلي، ط١، مؤسسة البلاغ- بيروت ٢٠٠١م.
٢٤- غاية النهاية في طبقات القرّاء ، لابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، نشر ج. برجشتراسر، مطبعة السعادة – مصر١٩٣٣م.
٢٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، تحقيق

أحمد عبد السلام ، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٦م.

٢٦- قراءة أبي بن كعب ، للدكتورة خولة عبيد خلف الدليمي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ٢٠٠٧م.

٢٧- الكتاب ، لسيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٩م.

٢٨- الكشاف، لجار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، ط٣، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٣م.

٢٩- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط٢، دار الفكر – بيروت ٢٠٠٣م.

٣٠- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ)، تحقيق الدكتور فؤاد سزكين ، ط١، مطبعة السعادة – مصر ١٩٥٤-١٩٦٢م.

٣١- مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي(من علماء القرن السادس للهجري) ، تحقيق لجنة من العلماء، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ١٩٩٥م.

٣٢- المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨م.

٣٣- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠١م.

٣٤- مختصر شواذ القراءات من كتاب البديع ، لا بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، نشر برحشتراسر ، تقديم آثر جفري ، دار الهجرة – مصر ١٩٣٤م.

٣٥- مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، دار الحرية – بغداد ١٩٧٥م.

٣٦- معاني القراءات ، للأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٩م.

٣٧- معاني القرآن ، للفرّاء(ت٢٠٧هـ) ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبي ، ط٢، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢م.

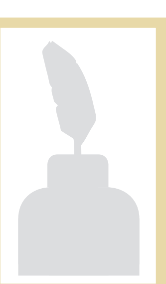
٣٨- معاني القرآن ، للأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الأمير الورد، ط١، مكتبة النهضة العربية – بيروت ١٩٨٥م.

٣٩- معاني القرآن، للزجّاج (ت٣١١هـ) ، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٧م.

٤٠- معاني القرآن الكريم ، لأبي جعفر النحّاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، ط١، مطابع الندوة- مكة المكرمة ١٩٨٩م .

٤١ معجم القراءات القرآنية، للدكتور عبد اللطيف الخطيب ، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر

- دمشق ٢٠٠٢م.
٤٢- معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والامصار ، للذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور طيّار آلتي قولاج ، ط١، منشورات مركز البحوث الاسلامية ، التابع لوقف الديانة التركي - استنبول ١٩٩٠م.
٤٣- المغني في القراءات العشر المتواترة ، للدكتور محمد سالم محيسن ، ط٢، دار الجيل - بيروت ١٩٨٨م.
٤٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، ط١، دار الفكر - بيروت ٢٠٠٥م.
٤٥- همع هوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٨م.



القرآنيـة
في طفيّات الشيخ صالح الكوَّاز الحلي

أ. م. د. علي كاظم المصلاوي
أ. م.د. كريمة نوماس المدني
جامعة كربلاء – كلية التربية
قسم اللغة العربية

ملخص البحث

القرآنية :- هي آلية من ألآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى و الأنساق ، بنية و إيقاعا" ، بحسب سياق القرآن الكريم.

و مثلت (طفيات) الشيخ صالح الكواز الحلي و هي قصائده في رثاء الحسين بن علي و بقية الشهداء عليهم السلام منعطفا" مهما" في توظيف الشاعر لآي القرآن الكريم، فهو يربط بين النصوص القرآنية إحداثا" و شخوصا و قصصا" و بين ما جرى في واقعة ألطف الأليمة بصورة تدعو الى العجاب و التأمل من لدن المتلقي.

و أخرج البحث على تمهيد و مبحثين. تضمن التمهيد نقطتين الولي، تعريف بالشاعر و منزلته الأدبية، إما الثانية فتناولت مفهوم القرآنية و أسباب اجتراحه و تبنيه.

إما المبحث الأول معنون ب (البنائية القرآنية في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي) و أوضحنا في طبيعة توظيف الشاعر للقرآنية و اثر ذلك في بناء القصيدة عنده.

أما المبحث الثاني فتناولنا فيه التقنيات القرآنية في الطفيات و كانت تقنيتين الأولى:- القرآنية المباشرة الغير محورة، و الثانية:- القرآنية المباشرة المحورة. و اشفع المبحثان بخاتمة ضمت ابرز النتائج التي توصل إليها البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي نزَّل القرآن على عبده هدىً ورحمةً للعالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث والمخصوص بذلك الهدى ، وبتلك الرحمة ؛ محمد الصادق الأمين ، وعلى من تركهم حملة لذلك الهدى ولتلك الرحمة ؛ أهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى المستقبلين لذلك الهدى ولتلك الرحمة ؛ صحبه الأبرار المنتجبين ، ومن تبعهم إلى يوم الدين ... وبعد:

يعدُّ القرآن الكريم مرجعاً مهماً من مرجعيات الشاعر بصورة عامة ، يلجأ إليه ليتزوَّد منه كثيراً من تقنيات الأسلوب والصورة والألفاظ ، ومن ثمَّ فإنَّ ظهور القرآن في النصوص الإبداعيَّة ، وتغلغله فيها أمرٌ يكاد لا يستثنى منه أي ديوان شعر عربي ، منذ نزوله حتى الآن مع اختلاف نسبة تكثيفه في هذا الديوان أو ذاك .

وهذا الأمر ساعد المتلقي على تفهّم خلفيَّة النص المرسَل ؛ بوصف القرآن مرجعاً عاماً للمسلمين ، وأتاح للشاعر تشكيل صورة منه بما يتوافق وتلك الخلفيَّة ، مع احترازه من تجاوز المتلقي أو المرجع نفسه ، وبما يحقق الإبداع وإشراك المتلقي في اتساع أبعاد النص المنتج .

ومثَّلت (طفيات)(١) الشيخ صالح الكواز الحلي ، وهي قصائده في رثاء الحسين بن علي ، وبقيَّة الشهداء (عليهم السلام)(٢) منعطفاً مهماً في توظيف الشاعر لآي القرآن الكريم بما يجلب انتباه المتلقي ، ويثير فيه الإعجاب والتأمل ، فقد كانت القرآنية مهيمنة على نصوصه ، مستغلاً إياها في تشكيل صوره ، وتحريكها بفعالية عالية ، فهو يربط بين النصوص القرآنية أحداثاً وشخوصاً وقصصاً ، وما جرى في واقعة الطف الأليمة ، وهذه السمة وما شابهها من التضمينات الأخرى رصدها جامع ديوانه الشيخ محمد علي اليعقوبي ، حين وصفه بقوله : « نجده يمتاز على شعر غيره ممن عاصره أو تقدَّم عليه أو تأخر عنه فيما أودعه من التلميح بل التصريح على الأغلب إلى حوادث تاريخية وقصص نبويَّة وأمثال سائرة ليتخلَّص منها إلى فاجعة الطف مما يحوج القارئ إلى الإلمام بكثير من القضايا والوقائع ومراجعة الكتب التاريخية ،..»(٣) .

وكان الاتكاء على القرآن الكريم أحداثاً وشخوصاً وقصصاً هو الأبرز من حيث التوظيف ، والأوضح الذي عمد إليه الشاعر في طفياته ، وجاء البحث ليكشف عن أبعاد هذه الظاهرة في ضوء خطة كانت ثوابتها متكونة من تمهيد تناولنا فيه نقطتين ، الأولى : تعريف موجز بحياة الشاعر صالح الكواز الحلي ومنزلته الأدبية ، والثانية : تناولنا فيها مفهوم القرآنية وأسباب تبنيه دون غيره من الاصطلاحات القريبة إليه كـ(أثر القرآن) أو (التناص القرآني) ، وأعقب التمهيد مبحثان ، تضمن المبحث الأول البنائية القرآنية في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي ، وأوضحنا فيه طبيعة توظيف الشاعر القرآنية على مستوى القصيدة وأثرها في بنائها الفني .

أما الثاني فتناولنا فيه التقنيات القرآنية في الطفيات ، وكانت تقنيتين ، الأولى : القرآنية المباشرة غير المحورة ، والثانية : القرآنية المباشرة المحورة(٤) .

وأشفع المبحثان بخاتمة ضمَّت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

وأخيراً نحمد الله على توفيقه لاختيار هذا البحث ، وإعانتنا لإتمامه على خير وجهة ارتأيناها ، واستطعنا إنجازها ، وحسبنا اننا بشر قاصرون (وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم) .

التمهيد :

١ - شيء من حياة الشيخ صالح الكواز الحلي ومنزلته الأدبية :

الكواز هو أبو المهدي صالح بن مهدي بن حمزة آل نوح من قبيلة الخضيرات إحدى عشائر شمَّر المعروفة في نجد والعراق(٥) ، وشهرته بالكواز لأنها كانت مهنة أبيه ، إذ كان يعتاش على بيع الكيزان والجرار والأواني الخزفية(٦) ، وكانت ولادته في الحلة سنة ١٢٣٣هـ الموافق ١٨٤٦ م(٧) ، ونشأ فيها وترعرع لذلك لقب بالحلي .

اشتهر صالح الكواز بتدينه ، وما تبع ذلك من ورع وتقوى وعبادة ، حتى إنه كان يقيم الجماعة في أحد مساجد الحلة مع وثوق الناس بالائتمام به(٨) ، مما يعني ذلك السمعة الطيبة والأخلاق الإسلامية التي تمتع بها أهَّلته لأن يكون رجل دين بارز فضلاً عن كونه شاعراً ملتزماً بخطه الإسلامي .

أما ثقافته فتخبرنا المصادر أنه على جانب عظيم من الفضل والتضلع في علمي النحو والأدب(٩) ، فقد درس علوم العربية والشريعة الإسلامية على يد الشيخ علي العذاري والشيخ حسن الفلوجي والسيد مهدي داود(١٠) ، ومن أشهر أساتذته أيضاً السيد مهدي القزويني الذي له مدائح فيه(١١) ، وفضلاً عن ذلك فإن المطالع في ديوانه يلمس ثقافة واضطلاعا غير قليل على علوم العربية والتاريخ والمنطق والفقه والعقائد بشكل واضح ، ولعلَّ هذه العلوم كانت من مستكملات رجل الدين والأدب وبخاصة إذا عرفنا عنه الضيق المادي الذي نعزوه ليس فقط إلى نفسه الأبيَّة وتعففه عما في أيدي الناس(١٢) وإنما إلى انشغاله بالتعلم وربما التعليم أيضاً وهذا واقع عقلاً ومقبول منطقاً من حيث استعمال المساجد للتدريس وتعليم وهو أمر معروف في تلك الحقبة التي عاشها الشاعر ، ومن ثمَّ فإنَّ ما ذهب إليه صاحب كتاب أعيان الشيعة من أن الشيخ صالح كأخيه الشيخ حمادي سليقي النظم يقول فيعرب ولا معرفة له بالنحو(١٣) لا أساس لها من الصحة ، وربما اختلط عليه الأمر فوصف الأخوين بوصف واحد(١٤) .

وإذا ما نظرنا إلى ما قاله معاصره السيد حيدر الحلي رجل الدين والأدب في حقه لتبين لنا منزلة شاعرنا وما كان يتمتع به من مواهب وإبداع، فقد قال عنه في تصديره إحدى قصائد المترجم في كتابه (دمية القصر) المخطوط ما نصه : " أطول الشعراء باعاً في الشعر وأثقبهم فكراً في انتقاء لئالي النظم والنثر خطيب مجمعة الأدباء والمشار إليه بالتفضيل على سائر الشعراء " ، وقال عنه أيضاً في الكتاب المذكور وهو في صدر التقديم لإحدى قصائده : " فريد الدهر وواحد العصر الذي سجدت لعظيم بلاغته جباه أقلامه واعترفت بفصاحته فضلاء عصره وأيامه وفاق بترصيع نظامه وتطريز كلامه أرباب الأدب من ذوي الرتب ومن راية في النظم على كل راي أديب راجح الشيخ صالح الحلي "(١٥) .

والذي نستشفه من هذا الإطراء الكبير أموراً عدَّة أهمها تقدم الشيخ صالح الكواز الحلي على شعراء زمانه بما امتلك من إمكانيات فنية ولغوية تمتع بها شعره مما أهله لأن يكون فريد دهره وواحد عصره ، والأمر الآخر هو اعتراف أهل زمانه ليس بشاعريته فحسب وإنما بخطابته وفصاحته وتقدمه

في هذا المضمار أيضاً ، ولعلَّ هذه الأمور أو الأوصاف لا تنطبق على شخصيَّة أميَّة بقدر ما تنطبق على شخصيَّة لامعة بالشعر والخطابة ومشهورة بالعلم والفضل .

ومهما يكن من أمر فإن للمترجم صلات مع باقي شعراء عصره البارزين من أمثال السيد حيدر الحلي وعبد الباقي العمري وعبد الغفار الأخرس فضلاً عن اشتهار قصائده وبخاصة (الطفيات) في المحافل الحسينية وإنشاد الخطباء لها في المناسبات الدينية ، وكانت منابر بغداد والحلة والنجف وكربلاء والبصرة تصدح بها(١٦) .

وكان الشاعر معدوداً من المكثرين ، إلا أنَّ ديوانه لم يصل إلينا ، والذي بقي منه جمعه الشيخ محمد علي اليعقوبي وأصدره في ديوان وسمه بـ (ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي) ، وقد وقع في ألف وخمسمائة بيت شعري ، فضلاً عن قيامه بترجمة وافية له(١٧) .

أما وفاته – رحمه الله – فأشارت المصادر إلى أنها في سنة ١٢٩١هـ وقيل ١٢٩٠ هـ الموافق ١٩٠٣ م في الحلة ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن هناك(١٨) ، وأقيم له مجلس عزاء مهيب يليق بهذه الشخصية الحسينية ورثاه جمع من شعراء عصره كان في مقدمتهم السيد حيدر الحلي الذي رثاه بقصيدة طويلة ملؤها الأسى والتأسف لفقده ، وأشاد فيها بالسيرة الحسنة والأخلاق الحميدة مع إشادته بحسن شعره واشتهاره فنراه يقول(١٩) :

ثكل أم القريض فيك عظيم	ولأم الصلاح أعظم ثكلا
قد لعمري أفنيت عمرك نسكاً	وشحنت الزمان فرضاً ونفلاً
إن تعش عاطلاً فكم لك نظم	بات جيد الزمان فيه محلى
ولك السائرات شرقاً وغرباً	جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا
كم قرعن الأسماع بيتاً فبيتاً	فأفضن العيون سجلاً فسجلا

وهكذا نتبين منزلة الشيخ صالح الكواز الحلي الأخلاقية والدينية والمنزلة الشعرية المرموقة التي نالها في عصره ، وأشاد بها معاصروه ، فكان بحق " رجل المبدأ والعقيدة في حياته وشعره "(٢٠) .

٢- مفهوم القرآنيـــة :

من المفاهيم الإجرائية الجديدة على الساحة النقدية مفهوم (القرآنية) ، وقد اجترحه أحد الباحثين الأجلاء(٢١) ، وعرَّفه بقوله : " آلية من الآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى والأنساق ، بنية وإيقاعاً ، بحسب سياق القرآن الكريم "(٢٢)

وجاء اجتراحه هذا بعد أن وجد فيه دلالة أوفى من غيره من المصطلحات النقدية المستعملة التي من أبرزها وأشهرها (أثر القرآن) ، وكذلك مصطلح (التناص القرآني) ، فقد اعترض على الأول بقوله : " سعى نقادنا القدامى وجملة من النقاد المحدثين إلى تمييز الأخذ من القرآن الكريم والإفادة منه

بمصطلحات تدل عليه ، كما اختلف القدامى في تلك الاصطلاحات ، فبعضهم ميَّزه بـ (الاقتباس) أو (التضمين) في حين أدخله بعضهم في خانة (السرقة) كـ (أبي محمد عبد الله بن يحيى المعروف بابن كناسة ت ٢٠٧ هـ) الذي ألَّف كتاباً بعنوان (سرقات الكميت من القرآن وغيره)(٢٣) ، وجرياً على ذاتية التمييز تلك سعينا لاجتراح مصطلح (القرآنية) لتمييز عملية الأخذ والإفادة من القرآن من سواها "(٢٤) .

وهذا الأمر واضح من تعريف البلاغيين ، فقولهم في الاقتباس بأنه " تضمين الكلام نظماً كان أم نثراً شيئاً من القرآن والحديث لا على أنه منه ، أي على طريقة أن ذلك الشيء من القرآن والحديث ، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه ، كما يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا "(٢٥) .

ومن خلال التعريف يتضح تداخل أمرين ، الأول : الاقتباس والتضمين ، والثاني : جعل الحديث النبوي اقتباساً أو تضميناً متداخلاً مع القرآن الكريم ، وهذا ما حاول الباحث الابتعاد عنه باجتراحه مصطلح القرآنية ذي الخصوصية الواضحة من لفظ المصطلح .

أما فيما يتعلق بابن كناسة ، وجعله الأخذ من القرآن سرقة يعاب عليها الشاعر ، فهذه مسألة نادرة في هذا الباب ، ولعلَّ مرجعها موقف فقهي ديني ، فإننا نجد من العلماء أو الفقهاء من أباحه (أي الاقتباس) ، وقيَّده بعض منهم ، وكرَّهه ثالث ، وحرمه آخر ، وقد " اشتهر عن المالكيَّة تحريمه وتشديد النكير على فاعله "(٢٦) ، ولعلَّ هذا الأمر وراء تسمية ابن كناسة الاقتباس والتضمين القرآني بالسرقة ، فالسرقة تعني الأخذ على اختلاف وجوهه من القبول أو الرفض أو الاستهجان أو الطعن وغيرها .

أما اعتراضه على المصطلح الآخر وهو (التناص القرآني) فعلله بقوله : " يدل مصطلح (التناص) على ثنائية مفاهيمية من جهة (الآخذ والمأخوذ) ، الأمر الذي يحدث لبساً عند بعض المتلقين لو أضفناه إلى القرآن ، إذ يدلل على أن المأخوذ هو القرآن ، كما يصح أن يكون الآخذ أيضاً ، ولاستحالة الاتفاق مع الفرض الثاني ، أعرضنا عن هذا الاصطلاح ، وأن نستبدل به مصطلحاً جديداً "(٢٧) .

إنَّ هذه الفروق الدقيقة في استعمال المصطلح أو ذاك هي بلا شك وليدة العلمية الصارمة والبحث المعمق في فهم تلك الاصطلاحات ، وبيان الفوارق الدلالية فيما بينها ، نعم إنَّ إطلاق المصطلح مهم ، ولكن الأهم منه التطابق الفعلي والحقيقي مع الظاهرة التي أطلق عليها أكثر من غيره ، والأهم من ذلك كله استعمال المصطلح في حقله الذي انطلق منه ليأخذ مكانه الطبيعي في الحياة والانتشار ، والا تعرض للإهمال والنسيان .

ومن هنا جاء استعمالنا لهذا المصطلح ، فضلاً عن آليات تناوله البنائية والتقنية وكيفياتها التي عززها مجترح المصطلح بأنموذج تطبيقي على ما ذهب إليه ، ونحن بدورنا انتقينا أنموذجاً آخر يختلف عصراً ، ومن ثمَّ يختلف بناء وتقنية ، لنعزز به حياة المصطلح وانتشاره من جهة ، ويحقق كشفاً جديداً مضافاً لأنموذجنا التطبيقي عليه من جهة أخرى .

المبحث الأول

بنائية (القرآنية) في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي:

لا ريب في أن أي نص إبداعي يحمل في جذوره كثيراً من النصوص الأدبية والمعرفية التي سبقته ، أو التي عاصرته مع اختلاف هيمنة أو سيادة هذا النص أو ذاك على نتاجه ، مما يعني تأثير ذلك النص على الشاعر واستحضاره في شعوره أكبر وأقوى من النصوص الأخرى.

إنَّ هذه التأثرية تتم عند الشاعر بقصد أو من دون قصد للإفادة مما هو متوافر لديه من مصادر ثقافية متنوعة ، تعينه على تشكيل نصه الإبداعي باللغة .

ويعد القرآن الكريم واحداً من أكبر وأهم تلك المصادر التي يتوسل الشاعر بها في صياغة نصه الإبداعي ، وإخراجه ، مستفيداً منه في الأسلوب والبناء والموضوع والفكرة ، ولا ننكر اختلاف الشعراء في طرائق ذلك التوسل فضلاً عن مدى كثافته في النصوص الشعرية .

وإذا ما دققنا النظر في (طفيات) الشيخ صالح الكواز الحلي ، فإننا نجدها مترعة بالقرآنية ، فقد وظَّف الشاعر القرآن في خدمة قضيته الحسينية ، وكان ينظر إلى القرآن من خلال قضيته تلك ، لذا كانت القرآنية مهيمنة على نصوصه ، ومن ثمَّ لم تتنافس معها نصوص إبداعية أخرى ، ويبدو أنَّ الشاعر وجد في الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وما جرى عليهم في تلك الواقعة أمراً لا يماثله أو يقارنه إلا ما وجد في القرآن وحواه من نماذج سامية يمكن التمثل بها ، وإنَّ هذه القصدية والإلحاح الواضحين عند قراءة الطفيات تدفعنا الى القول بان الشاعر كان يرى في الحسين القرآن ، وفي القرآن الحسين ، ولا غرو ان آمن الشاعر بهذا الاعتقاد وترسخ في ضميره ووجدانه ، وبخاصة إذا علمنا مقولة الإمام علي (عليه السلام) : (أنا القرآن الناطق)(٢٨) ، فيتضح لنا أبعاد تعامل الشاعر مع النص القرآني ، فالحسين (عليه السلام) يمثل الامتداد الحقيقي ليس فقط لأبيه ، بل لجده أيضاً(٢٩) ، ومن ثمَّ فهو الامتداد الحقيقي أيضاً لرسالة السماء ؛ وكذلك آمن الشيعة بأئمتهم الاثني عشر من حيث تمثلهم بالحجج الإلهية على الخلق أجمعين ، والقرآن حجة على الخلق أيضاً .

إنَّ رؤية الشيعة والشاعر أحدهم في الحسين (عليه السلام) وموقفه يوم عاشوراء على أنه موقف قلَّ نظيره إن لم ينعدم في تاريخ الإنسانية، فالذي قدمه الحسين (عليه السلام) باستشهاده أحيى سنن الإله وشرائعه التي أنزلها على أنبيائه جميعاً ، ومن ثمَّ كان الحسين (عليه السلام) ملخصاً لفحوى ما جاؤوا به ، وبعثوا من أجله .

إنَّ هذا الفهم لطبيعة الاعتقاد عند الشاعر تجعلنا لا نستغرب او نتعجب مما جاء في أشعاره،

فالشاعر ينطلق من اعتقاد من أول القصيدة ليعود إلى اعتقاد آخر في نهايتها ليستكمل حلقة الالتزام الفكري والعقائدي بصورة شعرية .

وتراوحت تبعاً لذلك كثافة القرآنية من أول القصيدة إلى وسطها ومن ثمَّ نهايتها ، ومن تلك الطفيات المشحونة بالقرآنية في بدايتها ووسطها وخاتمتها قصيدته التي يبدؤها بقوله (٣٠) :

لي حزن يعقـوب لا ينفك ذا لهـب	لصرع نصب عيني لا الـدم الكـذبِ
وغلمة من بني عدنـان أرسلهـا	للجد والدهـا في الحـرب لا اللعب
ومعشـر راودتهم عن نفوسهـم	بيض الضبا غير بيض الخـرد العرب
فانعموا بنفـوس لا عديـل لهـا	حتى أسيلت على الخرصـان والقضب
فانظر لأجسادهـم قد قدَّ من قبـل	أعضاؤها لا إلى القمصان والأهـب

لقد استقطب الشاعر انتباه المتلقي منذ انطلاقته النصية حين عمد إلى أخذ عينات موضوعية من سورة يوسف (عليه السلام) وربطها بصور موضوعية أخرى حدثت في واقعة الطف ، وبدأ بتشبيه حزنه بحزن يعقوب على يوسف (عليهما السلام) ، حين جاء أخوته إلى أبيهم على قميصه بدم كذب ليأكدوا مصرعه على يد الذئب ، وهذا واضح في قوله تعالى : ((وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)) (٣١) ، وهذا المقطع القصصي وظفه الشاعر بصورة لطيفة حين قرنه بنفسه ، فحزنه ذو لهب متجدد ، وسببه مصرع سالت به دماء حقيقية وليس كالذي حدث مع يعقوب (عليه السلام) والجامع بين الصورتين (الحزن) ، وعمد في البيت الثاني إلى أخذ عينة أخرى من سورة يوسف ، إذ قال :

وغلمة من بني عدنـان أرسلهـا   للجد والدهـا في الحرب لا اللعـب

وأشار بلفظة (الغلمة) إلى ريعان شبابهم وقوتهم وقد أرسلهم والدهم كناية عن الحسين (عليه السلام) إلى الحرب لا اللعب ، وهذا الحدث قابل إرسال يعقوب (عليه السلام) ولده يوسف مع إخوته ليرتع ويلعب ، وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنية على لسان إخوة يوسف مخاطبين أباهم بشأنه : ((أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (٣٢) .

والمفارقة بين الموقفين ، موقف الحسين (عليه السلام) وإرساله أولاده وإخوانه إلى الحرب ، وبين إرسال يعقوب (عليه السلام) ليوسف وإخوته ليلعبوا ويصطادوا ، وشتان ما بين اللعب والحرب ، والجامع بين الصورتين (الإرسال) .

ثم يعمد في البيت الثالث إلى أخذ عينة أخرى ، فقال :

ومعشـر راودتهم عن نفوسهـم   بيض الضبا غير بيض الخرد العرب

وهنا يقابل بين أصحاب الحسين (عليه السلام) ومراودتهم السيوف يوم الطف ، وبين مراودة زليخا امرأة العزيز ليوسف عليه السلام ، وكادت أن تهمَّ به ويهمَّ بها كما أشارت إليه الآية الكريمة : ((وَرَاوَدَتْهُ

الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ...))(٣٣) والجامع بين الصورتين (المراودة) .

ثم يقول (٣٤):

فانعموا بنفـوس لا عديـل لهـا	**حتى أسيلت على الخرصـان والقضب**
فانظر لأجسادهـم قد قدَّ من قبـل	**أعضاؤها لا إلى القمصان و الأهـب**

فهو يشير في البيت الثاني إلى الآية القرآنية من سورة يوسف : ((.... إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ))(٣٥) ، وهذه الصورة وظفها الشاعر لإظهار شجاعة أصحاب الحسين (عليه السلام) حين جعل قدَّ أعضائهم ولم يقل قمصانهم أو أهبهم من الإمام مما يدلل على المقابلة الحقيقية للموت وعدم مهابتهم له حتى صرعوا على أرض كربلاء ، أما في قصة يوسف (عليه السلام) فكان قد القميص قضية تعلقت بها براءة يوسف من عدمها، والجامع بين الصورتين (القد) .

إنَّ هذا التوظيف للعينات المنتقاة من سورة يوسف (عليه السلام) من لدن الشاعر كان وراءه أمران :

الأول : استغلال معرفة شريحة كبيرة من المتلقين لهذه القصة بتفاصيلها مما يسهل عملية انتقاء بعض تلك التفاصيل وبخاصة البارز منها .

الثاني : إدراك الشاعر المفارقة الكبيرة بين هذه العينات وما يقابلها من أحداث وقعت في الطف ، مما يثير مشاعر المتلقين وأذهانهم ، ويخلف صدمة المفارقة بإنتاجه معنى جديداً يمكن أن نطلق عليه المعنى المعكوس الموازي للنص القرآني ، وسواء أكان المتلقي اعتيادي الثقافة أو على قدر كبير منها فإن الشاعر حقق مبتغاه باستعماله ذلك الأسلوب .

ومهما يكن من أمر فإنَّ الشاعر يتبع أبياته المتقدمة بقوله(٣٦) :

كل رأى ضرَّ أيـوب فما ركضت　　رجل له غير حوض الكوثر العـذب

فهو يلجأ إلى أخذ عينة من قصة أيوب (عليه السلام) المبثوثة في القرآن ليوظفها في تجسيد مشاعره تجاه الحسين (عليه السلام) وأصحابه وما جرى لهم في واقعة الطف ، فموقف أيوب (عليه السلام) الذي ذكره الله تعالى بقوله :((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ . ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ))(٣٧) ، فأيوب حين مسَّه الشيطان بضر دعا ربَّه ليذهب عنه هذا الضرّ فاستجاب لدعائه الله تعالى فوفر له مغتسلاً بارداً وشراباً ، إن هذا الموقف الحميم لم يكن مع الحسين (عليه السلام) وأصحابه ، فلما أصابهم الضرّ لم يدعوا كما دعا أيوب ليكشف عنهم الضر ، وإنما وجدوا في ضرهم هذا تقرباً من الله ، وفي سبيله .

ولا ريب في أن هذه العينة المنتقاة من قصة أيوب لربما لم يطَّلع عليها كثير من المتلقين مما يثير في

أذهانهم مجموعة من التساؤلات أكثر مما يثار في أنفسهم الإعجاب والتأمل ، وبهذا فالنص سيكون بحاجة إلى قارئ متفحص للقصص القرآني الديني ليتمكن من فهم النص والاستمتاع في قراءته .

ثمَّ يأخذ الشاعر عينات قرآنية أخرى ، وهذه المرَّة من قصَّة موسى (عليه السلام) فيوظفها في أحوال الحسين (عليه السلام) في يوم الطف ، فهو يقول (٣٨):

وأنسين من الهيجاء نار وغى	في جانب الطف ترمي الشهب بالشهب
فيمموها وفي الإيمان بيض ضبا	وما لهم غير نصر الله من إرب
تهش فيها على آساد معركة	هشَّ الكليم على الأغنام للعشب

فالمقابلة واضحة في البيت الأول مع الآية القرآنية في قوله تعالى : ((فَلَمَّا قَضَى مُوسَىالْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ))(٣٩) ، وشتان ما بين النارين من الاستئناس والتقرب ، وشتّان أيضاً بين هش الكليم على أغنامه وذلك في قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام) : ((قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى))(٤٠) ، وبين هش الحسين وأصحابه في واقعة الطف بسيوفهم المشهورة على أعدائهم .

ويتبع هذه القرآنية بقرآنية أخرى ، فنجده يقول بعد هذه الأبيات (٤١):

ومبتليــــن بنهر ما لوارده	من الشهادة غير البعد والحجب
فلن تُبَل ولا في غرفة أبداً	منه غليل فواد بالظما عطب
حتى قضوا فغدا كل بمصرعه	سكينة وسط تابوت من الكثب
فليبك طالوت حزناً للبقية من	قد نال داود فيه أعظم الغلب

فالشاعر يشير إلى قصة طالوت وأصحابه عندما ابتلاهم الله تعالى بنهر ، فقال تعالى : ((فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ))(٤٢) .

فهذه القصة تشابهت أحداثها مع أحداث واقعة الطف من حيث ابتلاء الله للحسين (عليه السلام) وأصحابه بنهر ، والنهر هنا الثبات على العقيدة والتضحية من أجل الدين ونصرة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا ريب في انهم نصروه وقضوا صرعى وكان كل منهم سكينة وسط تابوت من الكثب ، وهذا التشبيه أيضاً كان إحدى علامات طالوت وقدومه ، وذلك في قوله تعالى : (({وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))(٤٣) ، ثمَّ يدعو الشاعر (طالوت) إلى الحزن على البقية

من آل محمد والعترة الطاهرة إشارة إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) ، وراح ينظر إلى عماته وأخواته وهنَّ على تلك الحالة بعد قتل الحسين (عليه السلام) ومن معه ، وقد صوَّر الشاعر هذا الأمر بطريقة قرآنية فقال (٤٤) :

يرنو إلى (الناشرات) الدمع طاوية	أضلاعهن على جمر من النوب
و (العاديات) من الفسطاط ضابحة	و (الموريات) زناد الحزن في لهب
و (المرسلات) من الأجفان عبرتها	و (النازعات) برودا في يد السلب
و (الذاريات) ترابا فوق أرؤسها	حزناً لكل صريع بالعرا ترب

فالألفاظ (العاديات ، المرسلات ، النازعات ، الذاريات) هي أسماء سور قرآنية فضلاً عن (الناشرات ، الموريات)(٤٥) التي جاءت في سياق السور ذاتها ، وقد جاءت كلها في إطار القسم الإلهي الذي يؤكد أنَّ وعد الله واقع لا محالة في يوم ترجف فيه الراجفة ، ولكن الإنسان كنود كافر بنعم الله وبذلك اليوم ، ومن هنا نلمح التقارب الدلالي في البنية المعمقة للنص وهو أنَّ الذي حدث مع نساء الوحي والرسالة في واقعة الطف على يد هؤلاء الظالمين لا يمر دون عقاب إلهي ، ويوم العقاب الذي ترجف الراجفة فيه واقع بهم لا محالة . على أن من الواضح في البنية السطحية للنص تعامل الشاعر مع هذه الألفاظ بمعناها الظاهري من دون مرجعياتها القرآنية ، ولكننا نميل إلى البنية المعمقة ، لأنَّ تقنيات الشاعر في الأداء ، وبخاصة في تعامله مع المرجعية القرآنية تجعلنا قول ذلك .

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ الشاعر ينتقي أنموذجاً نسائياً من واقعة الطف وهو (أم الرضيع) ليقابله بأنموذجين نسائيين من القرآن الكريم ؛ وورد الأنموذج الأول إشارياً في القرآن وهو (أم إسماعيل)(٤٦) ، أما تفاصيله التي اعتمدها الشاعر فكانت مرجعياتها سنيَّة متمثلة بأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)(٤٧) ، أما الثاني الذي وردت تفاصيله في القرآن الكريم فكان (أم الكليم)(٤٨) كناية عن (أم موسى) ، فنراه يقول(٤٩) :

وربَّ مرضعة منهنَّ قد نظرت	رضيعها فاحص الرجلين في الترب
تشوط عنه وتأتيه مكابدة	من حاله و ظماها أعظم الكرب
فقل (بهاجر) (إسماعيل) أحزنها	متى تشط عنه من حر الظما تؤب
وما حكتها ولا (أم الكليم) أسى	غداة في اليم ألقته من الطلب

فالشاعر يصف حال النساء الثلاث ، وموقفهنَّ من أولادهنَّ ومشاعرهنَّ الحزينة عليهم ، ولكن الأحداث تختلف مع كل واحدة منهنَّ ، فهو يقول :

هذي إليها ابنها قد عاد مرتضعاً	وهذه قد سقي بالبارد العذب

فهو يصور النهاية السعيدة للنبيين الوليدين ، ولكن الأحداث مع أم الرضيع لم تكن كذلك ،

فقال مبيناً ذلك :

فأين هاتان ممن قد قضى عطشاً	**رضيعها ونأى عنها ولم يؤب**
بل آبَ مذ آبَ مقتولاً ومنتهلاً	**من نحره بدم كالغيث منسكب**

ثمَّ يوضح طبيعة المشاركة بينها وبين تلك النساء يقول :

شاركنها بعموم الجنس وانفردت	**عنهنَّ فيما تخص النوع من نسب**

فالشاعر يحاول من بداية القصيدة أن يجعل هوَّة دلاليَّة معكوسة بين القرآنية وما جرى في واقعة الطف ، وقد نجح في ذلك ، وأثار المتلقي فكراً وشعوراً ، وأحدث في نفسه صدمة المعنى المعكوس بصورة ملفتة .

ويتخذ صالح الكواز الحلي من الطرح القرآني رمزاً امتدادياً للمعادين لرسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المتمثل بـ (حمالة الحطب) ، فنراه يقول(٥٠) :

وصبية من بني الزهراء مربقة	**بالحبل بين بني حمالة الحطب**

فهؤلاء المعادون للامتداد الرسالي المتمثل بالصبية من بني الزهراء (عليهم السلام) هم الامتداد لبني حمالة الحطب المشار إليهم في قوله تعالى : ((وامرأته حمّالةَ الحَطَبِ . في جِيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ))(٥١) .

ثمَّ يشير إلى عمق امتداد الرسالي لبني الزهراء في القرآن الكريم ، فنراه يسترسل قائلاً :

ليت الألى أطعموا المسكين قوتهم	**وتاليه و هم في غاية السغب**
حتى أتى (هل أتى) في مدح فضلهم	**من الإله لهم في أشرف الكتب**

فسورة (الإنسان) التي ابتدأها الله تعالى بقوله : ((هَلْ أَتَىْ عَلَىْ الإِنْسَانِ ...))(٥٢) قد نزلت في البيت العلوي ، وفيها يطعمون المسكين وتاليه اليتيم والأسير ولم يدخل في جوفهم طعام قط مدة ثلاثة أيام ، فأثابهم الله تعالى على ذلك بإنزاله سورة (الإنسان) أو (هل أتى) في حقهم وبيان إكرامه لهم ، فاستغل الشاعر هذا الأمر في بيان ما حلَّ بأولادهم وأحفادهم على يد أعدائهم المتمثلين ببني حمالة الحطب ، وبيَّن الفرق الامتدادي بصورة قرآنية ، وهذه الصورة المصطنعة بأسلوب المقارنة تبعث المتلقي على الحزن والبكاء وأيضاً تبعثه على الغضب والثورة على من فعل مثل هذه الأفعال الشنيعة بأهل بيت الرسالة ، وقبيل نهاية قصيدته يوضح سبب قتل الحسين (عليه السلام) ومن معه في واقعة الطف بضرب مثالين قرآنيين ، فنراه يقول(٥٣) :

والقاتلين لساداتٍ لهم حسداً	على علا الشرف الوضاح و الحسب
والفضل آفة أهليَّة ويوسف في	غيابة الجب لولا الفضل لم يغب
وصفوة الله لم يسجد له حسداً	إبليس لمّا رأى من أشرف الرتب

فالسبب الحسد الذي أضمره هؤلاء للحسين (عليه السلام) لما امتلك من فضل منَّ الله به عليه كما منَّ على يوسف (عليه السلام) وصفوة الله كناية عن آدم (عليه السلام) ، فكان دليله دامغاً وحجة منطقية مستوحاة من القرآن الكريم ، ولا ريب في ان هذين المثالين معروفان لدى المتلقي ، فاستغلَّ الشاعر هذا الأمر في إتيانه دليلاً على ما ذهب إليه ؛ وفي ختام قصيدته يخاطب سادته من بني الهادي متوسلاً بهم بقوله(٥٤) :

يا سادتي يا بني الهـادي ومن لهم　　　بثي وحـزني إذا مـا ضـاق دهـري بـي

ثمَّ يتسلسل في دعائه وتوسله وبيان منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى ، وهذه الرؤى ذات مرجعيات سنيَّة (أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله) فضلاً عمّا أثر من أحاديث الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) وتؤكد علو شأنهم ومنزلتهم السامية عند الله تعالى ، وكلامه المتقدم مستوحى من قوله تعالى على لسان يعقوب (عليه السلام) : ((قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهّ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهّ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))(٥٥) .

وهكذا يتضح اعتماد الشاعر في بناء قصيدته على القرآنية من بداية قصيدته حتى نهايتها مما ينبيء عن وعي وقصدية بهذه البنائية ، فضلاً عن تنوع استثماره القرآني فوجدنا النص الموازي المعاكس للنص القرآني ، ووجدنا الرمز ، وضرب المثال ، وأيضاً الدعاء ، وهذه الآليات اعتمدها الشاعر في صياغة قصيدة تختلف بناءً وموضوعاً ولغة عن القصيدة العربية المعروفة بمكونات بنائها الفني ، مما ينبئ عن اتجاه جديد في تطور القصيدة العمودية وإن كنا لا نعدم اعتماد كثير من القصائد على القرآنية ولكن ليس بهذا الكيف وكذلك النوع والأداء ، وهذا ما يحسب للشاعر صالح الكواز الحلـي .

ومهما يكن من أمر فقد استغلَّ شاعرنا قرآنية مرجعها قصة موسى (عليه السلام) ، وقد مرَّ أنموذج منها ، ومن تلك النماذج قوله في إحدى مقدمات طفياته وتحديداً البيت الثالث منها قوله(٥٦) :

فتخال موسى في انبجاس محاجري　　　مستسقياً للقـوم مـاء جفونـــي

فالقرآن الكريم يؤكد هذه القصة بالقول : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً))(٥٧) ، ولا ريب في انَّ اتكاء الشاعر على القرآنية في تشكيل صورة جديدة متلونة الأبعاد عميقة الرؤى تجلب نظر المتلقي وتثير فيه لذة الإبداع هي آلية أخرى يعتمدها الشاعر . ويعيد الشاعر إنتاج الصورة القرآنية المتقدمة ولكن بأبعاد جديدة وذلك في قوله مبيناً أثر قتل الحسين في موسى (عليهما السلام)(٥٨) :

كلمت قلب (كليـم الله) فانبجست　　　عيناه دمعاً دماً كالغيـث منهمعـا

وكذلك نراه في قوله مشبهاً وقوع الحسين على أرض معركة الطف ، ورفع رأسه على الرمح بصورة قرآنية تدعو إلى ألإعجاب والاندهاش ، كقوله(٥٩) :

فصدر البيت يرجع بنا إلى قوله تعالى : ((وَخَرَّ موسَى صَعِقاً))(٦٠) أما العجز فمرجعه إلى قوله تعالى في عيسى (عليه السلام) : ((وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً . بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ))(٦١) ، على أن مثل هكذا صور دقيقة الأبعاد تحتاج إلى متأمل ومتفحص حتى يدرك طبيعة التقارب والتشابه بين طرفي التشبيه ومدى التباعد المعمق في هذا التقارب الظاهري ، وعليه فمتلقي هذه الصورة يعجب بها ومن ثمَّ يذهب ذهنه ليرصد طبيعة تحركها في داخله وما يثيره هذا التحرك من انفعال وما يجسده من شعور .

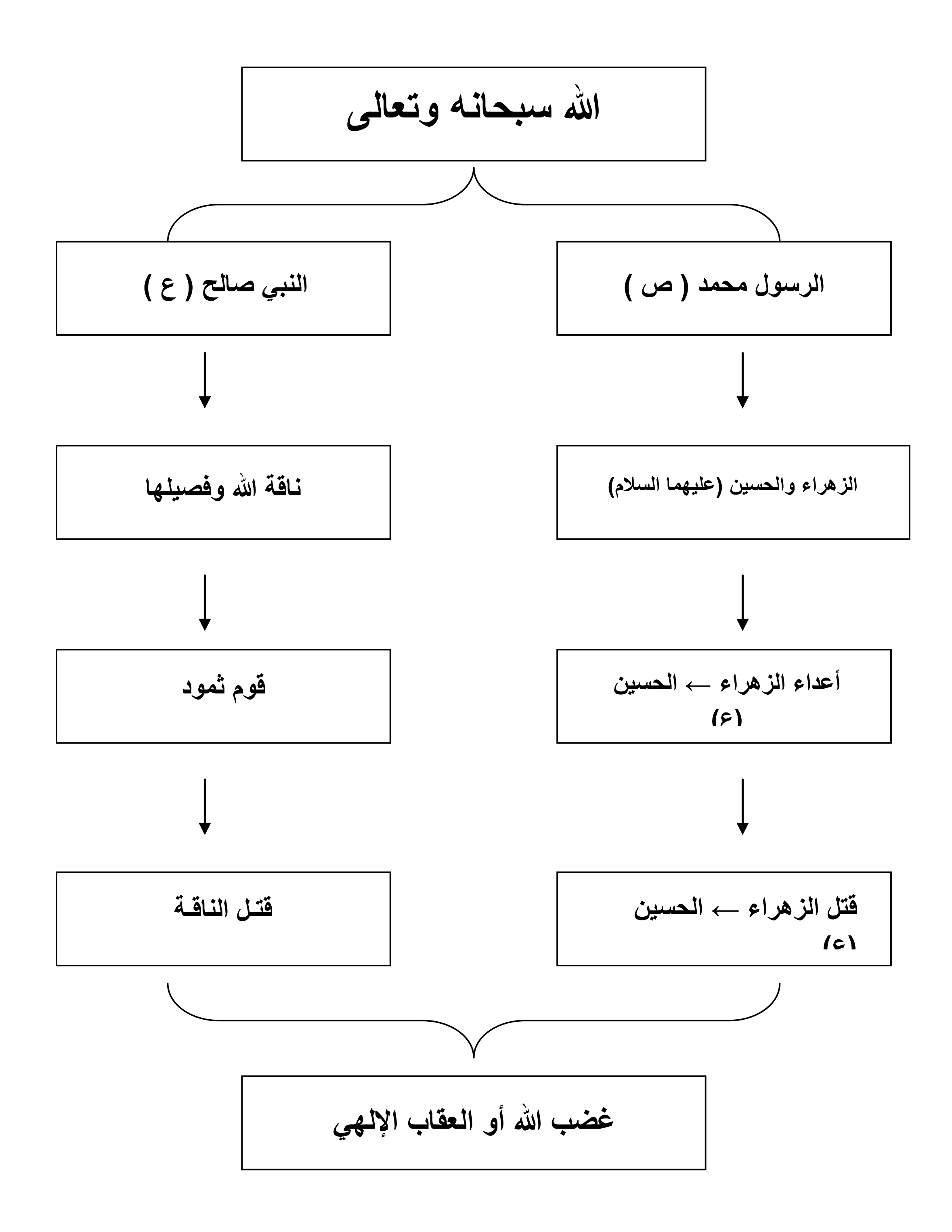
ويعمد الشاعر إلى ذكر أقوام ضرب بهم المثل في القرآن وهم قوم (ثمود) وقوم (تبع) فجعلهم امتداداً رمزياً للذين قتلوا الحسين (عليه السلام) وذلك في قوله(٦٢) :

وتتبعت أشقى ثمود وتبعٍ   وبنت على تأسيس كل لعين

ويتبع هذا القول بمثال قرآني على عظم فضل الزهراء (عليها السلام) ووليدها الحسين (عليه السلام) بعد أن ذكر أشقى ثمود ومهَّد للمستمع بقوله(٦٣) :

ما كان ناقة صالح وفصيلها   بالفضل عند الله إلا دوني

فتعامل الشاعر مع النص القرآني على أساس الرمزية وضرب المثال ، فقدسية ناقة صالح وفصيلها الوارد ذكره في قوله تعالى : ((كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا .إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا . فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهَّ نَاقَةَ اللهَّ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا . وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا))(٦٤) لَم يكن بأَفضل من الزهراء (عليها السلام) ووليدها الحسين الذي قتلوه ولم يراعوا حرمة انتسابه إلى الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويمكن توضيح البنية المعمقة التي نستوضحها من أبيات الشاعر بمخطط دلالي :



وتجدر الإشارة إلى استعمال الأسماء (ثمود ، تبع ، عاد ...) من لدن بعض الشعراء القدامى(٦٥) ليضرب بهم المثل في عدم البقاء وحتمية الموت على بني الإنسان مهما شادوا أو عمَّروا فلا بدَّ أن يأتي اليوم الذي لا مهرب منه ولا محيص ، ولكننا نجد شاعرنا صالح الكواز الحلي قد تعامل مع هذه المسميات تعاملاً جديداً اختلف عمّا تعاور الشعراء عليه ، وهذا الأمر يبدو لنا جديداً بعض الشيء ، مما يمكن أن نحسبه خصيصة تميَّز بها الشاعر الحلي .

المبحث الثاني

تقنيات القرآنية في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي:

مما لا شك فيه هو اختلاف سبل الإفادة والتعامل مع القرآنية على صعيد احتلالها جزءاً ما في بنية النص ، فهي أيضاً تمثل لبنة من لبناته المهمة التي لا يمكن تجاوزها ، وتبعاً لذلك يمكن تحديد تقنيات القرآنية في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي بتقنيتين هما :

أولاً : القرآنية المباشرة غير المحوَّرة :

ويمكن تعريفها بأنها أخذ مباشر من القرآن الكريم من دون أن يحور الشاعر لفظاً أو دلالة منه ، وهو ما عرف بـ (الاقتباس المباشر)(٦٦) ، يلجأ إليه الشاعر – في الغالب – ليدعم ما ذهب إليه ، وليقرّب ما ابتعد ، وليوضح ما أغمض من صوره .

على أنَّ هذه التقنية مما يسهل رصدها في النصوص الشعرية واكتشاف مرجعيتها ، وبخاصة على " المتلقين ذوي الثقافة المحدودة فضلاً على تهوين عملية فك الشفرة النصية وإجراء المقاربة الدلالية بين النص الجديد (الآخذ) والنص القديم (المأخوذ) لتكون عملية إبلاغ النص واستقباله هينة لينة على المتلقين "(٦٧) .

من الشواهد الإجرائية في الطفيات قوله تعالى : ((عمَّ يتسَاْءَلُوْنَ عَنِ النَبَأ العَظِيْم))(٦٨) ، فقد وظَّف الشاعر (النبأ العظيم) في شعره مخاطباً فيه الإمام علي (عليه السلام) وهو ما عرف عند الشيعة خاصة هذا اللقب(٦٩) ، فقال (٧٠) :

يـا أيهـا النـبأ العظيـم إليـك فـــي ابنـاك مني أعظــم الأنبـــاءِ

ومن الاقتباس النصي يختار الشاعر الآية الكريمة لقوله تعالى : ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ))(٧١) ، فيقول متأثراً بواقعة الحسين (عليه السلام) في العاشر من المحرَّم (٧٢) :

ولتذهـل اليوم منكم كل مرضعـة فطفلـه من دمـا أوداجه رضعـا

فيشبه يوم استشهاد الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه بيوم القيامة الذي أشار إليه القرآن الكريم لهوله وعظمته تذهل كل مرضعة عن رضيعها .

ومن القرآنية النصيَّة المباشرة قوله عز وجل في سورة يوسف : ((فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً))(٧٣) ، وظف الشاعر (خلصوا نجياً) في قوله(٧٤) :

وقـفـوا معي حتى إذا مـا اسـتـيـأســوا خلصوا نجياً بعد مـا تركـوني

ومن التقنية المباشرة غير المحورة تتضح في قوله (عز وجل) : ((هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً))(٧٥) في قول الشاعر(٧٦):

حتى أتـى (هل أتـى) في مدح فضلهـم من الإلـه لهــم في أشـرف الكتـب

ومن الشواهد الأخرى على هذه التقنية ما ورد في قوله تعالى : ((كلاّ إِنَّ كتَاْبَ الفُجَّارِ لَفِيْ سِجِّيْن))(٧٧) ، فاستعار الشاعر لفظة (سجّين) ووظفها في قوله(٧٨) :

تلك الـرزايــا الباعثات لمهجتـي مـا ليس يبعثـه لظى سجِّيــنِ

وفيما يأتي جدول بمواضع القرآنية المباشرة غير المحورة في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي :

جدول القرآنية المباشرة غير المحورة في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي

النص المأخوذ (القرآن الكريم)	النص الآخذ (البيت الشعري)	رقم الصفحة في الديوان	تسلسل البيت في الصفحة
((ولَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ)) (القصص ٢٣)	لم أنس إذ ترك المدينة وارداً لا ماء مدين بل نجيع دماء	١٧	٤
((عمَّ يتساءلون عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)) (النبأ ١ – ٢)	يا أيها النبأ العظيم إليك في ابناك مني أعظم الأنباء	١٧	٨
((قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) (يوسف ٢٦)	فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل عضاؤها لا إلى القمصان والأهب	٢٤	٧
((فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً . فَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً)) (المرسلات٢ – ٣)	يرنو إلى الناشرات الدمع طاوية أضلاعهنَّ على جمر من النوب	٢٥	٧
((والعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قدحاً)) (العاديات ١ – ٢)	والعاديات من الفسطاط ضابحة و الموريات زناد الحزن في لهب	٢٥	٨
((والمرسلاتِ عرفاً)) (المرسلات ١) ((والنازعاتِ غرقاً)) (النازعات ١)	والمرسلات من الأجفان عبرتها والنازعات بروداً في يد السلب	٢٥	٩

((والذاريات ذرواً)) (الذاريات ١)	والذاريات تراباً فوق أرؤسها حزناً لكل صريع بالعرا ترب	٢٥	١٠
((امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)) (المسد ٤ – ٥)	وصبية من بني الزهراء مربقة بالحبل بين بني حمالة الحطب	٢٦	٣
((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ)) (الإنسان ١)	حتى أتى (هل أتى) في مدح فضلهم من الإله لهم في أشرف الكتب	٢٦	٦
((قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ)) (يوسف ١٠)	والفضل آفة أهليَّة ويوسف في غيابة الجب لولا الفضل لم يغب	٢٧	٣
((قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ)) (يوسف ١٢)	يا سادتي يا بني الهادي ومن لهم بثي وحزني إذا ما ضاق دهري بي	٢٧	٦
((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)) (الحج ٢)	ولتذهل اليوم منكم كل مرضعة فطفله من دما أوداجه رضعا	٣٢	١٥
((فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا)) (يوسف ٨٠)	وقفوا معي حتى إذا ما استيأسوا خلصوا نجياً بعد ما تركوني	٤٦	٤
((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)) (المطففين ٧)	تلك الرزايا الباعثات لمهجتي ما ليس يبعثه لظى سجين	٤٦	١١

ثانياً : القرآنية المباشرة المحوَّرة :

يمكن تعريف هذه التقنية بأنها أخذ من القرآن الكريم مع تحويره لفظياً أو دلالياً تبعاً لحاجة الشاعر ، وهو ما عرف بـ (الاقتباس غير المباشر ، أو الإشاري)(٧٩) وفي هذه التقنية مجال أرحب للشاعر في صوغ أفكاره ومشاعره ومقاربتها بالقرآنية ، فضلاً عن إمكانية التحرك إيقاعياً بصورة أكبر مما في القرآنية المباشرة غير المحوَّرة، وتبعاً لطريقة التحوير وصياغتها يكمن إبداع الشاعر أو إخفاقه .

ومن الشواهد على القرآنية المباشرة المحوَّرة في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي قوله تعالى : ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً))(٨٠) ، فأخذ الشاعر (شرعة ومنهاجاً) ووظفها في قوله (٨١) :

إن لم تسدوا الفضا نقعا فلم تجدوا إلى العلا لكم من منهج شرعا

ويستعير الشاعر أسماء بعض السور ، ويحورها لتتلاءم مع ما يطرحه من تصوير ، فنراه يأخذ اسم (المدثر) و (المزمل) وهما اسمان لسورتين قرآنيتين معروفتين ، ويوظفهما بصورة لا تخلو من إبداع ، فهو يقول واصفاً شهداء الطف (عليهم السلام) (٨٢) :

(مدَّثرين) بكربلا سلب القنا (مزملين) على الربى بدماء

ونراه يحور قوله تعالى : ((واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا))(٨٣) بصورة لطيفة عندما قال :

وإن سراج العيش حال انطفاؤها فقد أشعلت نار المشيب ذبالها

ونرى الشاعر يوظف مجموعة من الآيات متمثلة بقصة النبي يونس (عليه السلام) الواردة في قوله تعالى : ((وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ))(٨٥) فهو يعمد إلى هذه القصة ويقوم بتحوير النص القرآني بما يتلاءم والصورة التي رسمها لشهداء الطف وهم على أرضها مجدَّلين ، واستغرقت منه أربعة أبيات ، فنراه يقول فيها(٨٦) :

ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا نصباً بيوم بالردى مقرون
حتى إذا التقمتهم حوت القضا وهي الأماني دون خير أمين
نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها كالنون ينبذ بالعرا ذا النون
فتخال كلاً ثمَّ يونس فوقه شجر القنا بدلاً عن اليقطين

وهذا التصوير لا ريب في أنَّه يدل على إمكانية فنية ، وكذلك لغوية مكنته من هذا التصوير الذي يعجب المتلقي بتقابلاته المصطنعة .

ونجد له نصاً آخر لم يبتعد عن النص القرآني كثيراً ، ولربما اضطره الوزن إلى ذلك ، وهو قوله تعالى في قصة موسى (عليه السلام) : ((فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء))(٨٧) فأخذه أخذاً لا يخلو من طرافة ، إذ قال(٨٨):

قـد كــان مـوسـى والـمـنـيَّـة إذ دنـــــــت   جــاءتـه مـاشـيـة عـلى استحيــاء

وفيها يأتي جدول بمواضع القرآنية المباشرة المحورة في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي :

جدول القرآنية المباشرة المحورة في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي

النص المأخوذ (القرآن الكريم)	النص الآخذ (البيت الشعري)	رقم الصفحة في الديوان	تسلسل البيت في الصفحة
((فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء)) (القصص ٢٤)	قد كان موسى والمنيَّة إذ دنــت جاءته ماشية على استحيــاء	١٧	٥
((وخرَّ مُوْسَى صَعِقاً)) (الأعراف ١٤٣)	فهناك خرَّ وكل عضوٍ قد غدا منه الكليم مكلم الأحشاء	١٧	٧
((يَا أَيُّهَا المدَّثِر . قُـمْ فَأَنْذِرْ)) (المدّثر ١ – ٢) ((يَا أَيُّهَا المزَّمِّلُ . قُـمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيْلاً)) (المزمل ١ – ٢)	مدثرين بكربـلاء سلب القنا مزملين على الربى بدمـاء	١٨	٣
((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ)) (النساء ١٥٧)	كأنَّ عليه ألقي الشبح الذي تشكل فيه شبه عيسى لصالب	٢٣	٣
((وَجَـآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)) (يوسف ١٨)	لي حزن يعقوب لا ينفك ذا لهب لصرع نصب عيني لا الدم الكذب	٢٤	٣
((أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (يوسف ١٢)	وغلمة من بني عدنان أرسلها للجد والدها في الحرب لا اللعب	٢٤	٤

((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ)) (يوسف ٢٣)	ومعشر راودتهم عن نفوسهم بيض الضبا غير بيض الخرد العرب	٢٤	٥
((ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)) (ص ٤٢)	كل رأى ضرَّ أيوب فما ركضت رجل له غير حوض الكوثر العذب	٢٤	٨
((قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)) (طه ١٨)	تهش فيها على آساد معركة هش الكليم على الأغنام للعشب	٢٤	١٢
((فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ)) (البقرة ٢٤٩)	ومبتلين بنهر ما لوارده من الشهادة غير البعد والحجب	٢٥	٢
((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)) (البقرة ٢٤٨)	حتى قضوا فغدا كل بمصرعه سكينة وسط تابوت من الكثب	٢٥	٤
((فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي)) (القصص ٧)	وما حكتها ولا (أم الكليم) أسى غداة في اليم ألقته من الطلب	٢٥	١٤
((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)) (الإسراء ٦١)	وصفوة الله لم يسجد له حسداً إبليس لما رأى من أشرف الرتب	٢٧	٤
((وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) (التوبة ٩٣)	وتلكم شبهة قامت بها عصب على قلوبهم الشيطان قد طبعا	٣٠	٩

الآية	البيت	رقم القصيدة	رقم البيت
((وخرَّ موسى صَعِقاً)) (الأعراف ١٤٣) ((وَمَا قتَلُوهُ يقيناً . بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ)) (النساء ١٥٧ – ١٥٨)	كأنَّ جسمك موسى مذ هوى صعقا وإنَّ رأسك روح الله مذ رفعا	٣١	٨
((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)) (الأنبياء ٦٩)	ونار فقدك في قلب الخليل بها نيران نمرود عنه الله قد دفعا	٣١	١٢
((فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)) (الأعراف ١٦٠)	كلمت قلب كليم الله فانبجست عيناه دمعاً دما كالغيث منهمعا	٣١	١٣
((بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)) (النساء ١٥٨)	ولو رآك بأرض الطف منفرداً عيسى لما اختار أو ينجو ويرتفعا	٣١	١٤
((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)) (المائدة ٥)	إن لم تسدوا الفضا نقعاً فلم تجدوا إلى العلا لكم من منهج شرعا	٣٢	١٢
((واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً)) (مريم ٤)	وإن سراج العيش حان انطفاؤها فقد أشعلت نار المشيب ذبالها	٣٨	٨
((قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)) (يوسف ١٨)	وقوض بالصبر الجميل فتى به فقدن حسان المكرمات جمالها	٤٠	٣
((فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)) (القارعة ٦ – ٩)	وما ضرَّ ميزاني ثقال جرائمي إذا كنت فيها مستخفاً ثقالها	٤١	١٧

((وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)) (الحاقة ٦)	فكأنَّ الرياح منه استعارت يوم عاد عدوا فأضحت رماما	٤٣	١١
((أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)) الأعراف ١٦٠)	فتخال موسى في انبجاس محاجري مستسقياً للقوم ماء جفوني	٤٥	٩
((قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ)) (يوسف ٧٢)	فكان يوسف في الديار محكم وكأنني بصواعه اتهموني	٤٦	٥
((وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ)) (الصافات ١٣٩ – ١٤٦)	ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا نصباً بيوم بالردى مقرون حتى إذا التقمتهم حوت القضا وهي الأماني دون خير أمين نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها كالنون ينبذ بالعرا ذا النون فتخال كلاً ثمَّ يونس فوقه شجر القنا بدلاً عن اليقطين	٤٧	٦ ٧ ٨ ٩
((كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا . إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا)) (الشمس ١١ – ١٢) ((وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ)) (ق ١٤)	وتتبعت أشقى ثمود وتبع وبنت على تأسيس كل لعين	٤٧	١٥
((فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)) (الشمس ١٣)	ما كان ناقة صالح وفصيلها بالفضل عند الله إلا دوني	٤٨	٨

الخاتمة :

وفي نهاية المطاف نذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وهي على النحو الآتي :

١ . القرآنية من المفاهيم الإجرائية الجديدة على الساحة النقدية ، ولعلَّ مكمن الجدة فيه رصد تحرك القرآنية على مستوى بناء القصيدة الفني ، أو الرؤى والأنساق، وهذا الأمر ما لم يلتفت إليه كثير ممن خاضوا في هذا المضمار .

٢ . كانت البنائية القرآنية في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي واضحة بينة كشفت عن استثمار أمثل من لدن الشاعر .

٣. استطاع الشاعر أن ينشئ نصاً موازياً للقرآنية يقوم عليها ، ولكنه يجري بعكس اتجاهها مما ينبئ عن قصدية في تشكيل القصيدة على هذا النحو ، فيتعدى ذلك مجرد الاقتباس إلى ما هو أبعد منه ، وهو ما اصطلحنا عليه (النص الموازي المعاكس) .

٤ . تنوعت الآليات القرآنية في الطفيات على مستوى البناء ، فمنها النص الموازي المعاكس الذي ألمحنا إليه ، ومنها الرمز ، وضرب المثل ، والدعاء ، وابتكار الصورة ، مما يشير إلى إمكانيات فنية كبيرة للشاعر في استثمار تلك القرآنية في تصوير واقعة الطف أحداثاً وشخوصاً ومواقفاً .

٥ . كان لتنوع الآليات القرآنية واستثمارها في بناء القصيدة أثره في تشكيل جديد للقصيدة اختلف عمّا هو معروف في بنائها المعتاد ، الأمر الذي نعده ملمحاً أو اتجاهاً تفرَّد به الشاعر الحلي .

٦ . كان ضرب المثل بالأقوام البائدة كـ (عاد ، وثمود ، وتبع) في موضوع الرثاء طريقاً اتخذه الشعراء القدامى ، أما شاعرنا فقد تعامل معها تعاملاً اختلف عما تعاوروا عليه ، إذ ضخَّ فيه روحاً جديدة ، مكنه منها ما طرحه القرآن الكريم وما طرحته واقعة الطف من تجليات شعورية وفكرية عند الشاعر .

٧ . كانت القرآنية المباشرة غير المحورة في الطفيات أقل من القرآنية المباشرة المحورة مما يكشف عن تعامل الشاعر مع القرآن على أساس حركي أكثر مما هو سكوني ، وهذا يتقابل مع ما حركته في داخله واقعة الطف فكراً وشعوراً وأنتج لنا هذه القرآنية التي يمكن أن نطلق عليها أنها قرآنية طفيَّة أو حسينيَّة .

وأخيراً ، نحمد الله العلي القدير على حسن معونته لإتمام هذا البحث ، الذي قصدنا به القربة منه ، وإظهاراً لإمكانيات شاعر حسيني غيَّبته الأيام عن ذاكرة البحث والدراسة ، فوجدنا أنفسنا مدينين له بالوفاء وحسن الذكر .

هوامش البحث :

(١) نعت جامع ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي الشيخ محمد علي اليعقوبي هذه القصائد بـ (العلويات) وكان لنا في هذا المصطلح رأي أثبتناه في البحث الموسوم : (طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي دراسة موضوعية تحليلية)

(٢) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ١٦ .

(٣) م . ن : ٨ .

(٤) أشار الدكتور مشتاق عباس معن مجترح مصطلح (القرآنية) إلى تقنية ثالثة وهي القرآنية غير المباشرة المحوَّرة ، وهو ما لم يتوافر في أنموذجه التطبيقي ، وكذلك لم يتواجد في أنموذجنا (الطفيات) . ينظر : تأصيل النص : ١٨٣ .

(٥) البابليات : ٢ / ٨٧ ، و ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤ .

(٦) أدب الطف : ٧ / ٢١٤ – ٢١٥ ،وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي:٥.

(٧) البابليات : ٢ / ٨٧ ، ومشاهير شعراء الشيعة : ٢ / ٣١٦ ، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤ .

(٨) ينظر : مثير الأحزان : ٢٨٠ ، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٦ .

(٩) ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤ .

(١٠) معجم الشعراء العراقيين : ١٨٠ .

(١١) ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٥١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٨ .

(١٢) م . ن : ٥ .

(١٣) ينظر : أعيان الشيعة : ١١/ ٤٠٤.

(١٤) ينظر : ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤ .

(١٥) م . ن : ٧ – ٨ .

(١٦) ينظر م . ن : ٨ ، ١٢ – ١٣ .

(١٧) م . ن : ١٣ – ١٤ .

(١٨) البابليات : ٢ / ٨٧ ، وشعراء الحلة : ٣ / ١٦١ ، ومعارف الرجال : ٣٧٦ ، ومشاهير شعراء الشيعة : ٢ / ٣١٦ ، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤ .

(١٩) ديوان السيد حيدر الحلي : ٢ / ١٣٧ .

(٢٠) طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي ؛ دراسة موضوعية تحليلية : ٨ .

(٢١) هو الدكتور مشتاق عباس معن في كتابه : تأصيل النص : ١٦٨ – ١٨٨ .

(٢٢) تأصيل النص : ١٧٠ .

(٢٣) ابن كناسة هو ابو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي من أهل الكوفة انتقل إلى بغداد وأقام بها؛ اخذ عن جلة الكوفيين ، ولقي رواة الشعراء و فصحاء بني أسد ، وكان شاعرا وله من الكتب : الأنواء ،ومعاني الشعر ، و سرقات الكميت من القرآن وغيره .ولد سنة ١٢٣ هـ وتوفي ٢٠٧هـ .تنظر ترجمته في : الفهرست :١/ ١٠٥ .

(٢٤) تأصيل النص : ١٦٩ .

(٢٥) مختصر المعاني : ٤٥٠ ، والإيضاح : ٦ / ١٣٧ .

(٢٦) الإتقان في علوم القرآن : ١ / ١١ .

(٢٧) تأصيل النص : ١٦٩ .

(٢٨) ينابيع المودة لذوي القربى : ١ / ٢١٤ .

(٢٩) تنظر الأحاديث النبوية في : ينابيع المودة لذوي القربى : ١ / ١١ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، و ٢ / ٣٨ .

(٣٠) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٤ .

(٣١) يوسف : ١٨ .

(٣٢) يوسف : ١٢ .

(٣٣) يوسف ٢٣ .

(٣٤) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٤ .

(٣٥) يوسف : ٢٦ .

(٣٦) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٤ .

(٣٧) ص : ٤١ ، ٤٢ .

(٣٨) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٤ .

(٣٩) القصص : ٢٩ .

(٤٠) ص : ١٨ .

(٤١) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٥ .

(٤٢) البقرة : ٢٤٩ .

(٤٣) البقرة : ٢٤٨ .

(٤٤) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٥ .

(٤٥) الناشرات في قوله تعالى من سورة المرسلات (الآية ٣) : ((فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً . وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً)) ، أما الموريات ففي قوله تعالى من سورة العاديات الآية ٢ : ((وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً)) .

(٤٦) قال تعالى في سورة إبراهيم الآية ٣٧ على لسان إبراهيم (عليه السلام) : ((رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)) .

(٤٧) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : قصص الأنبياء : ٢٠٣ – ٢٠٥ .

(٤٨) القصص ١٠ – ١٣ .

(٤٩) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٥ .

(٥٠) م . ن : ٢٦ .

(٥١) المسد: ٤ – ٥ .

(٥٢) الإنسان: ١ .

(٥٣) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٧ .

(٥٤) م . ن : ٢٧ .

(٥٥) يوسف : ١٢٤ .

(٥٦) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤٥ .

(٥٧) الأعراف : ١٦٠ .

(٥٨) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٣١ .

(٥٩) م . ن : ٣١ .

(٦٠) الأعراف : ١٤٣ .

(٦١) النساء : ١٥٧ – ١٥٨ .

(٦٢) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤٧ .

(٦٣) م . ن : ٤٨ .

(٦٤) الشمس : ١١ – ١٥ .

(٦٥) من القدماء ممن نجد عنده هذه الطريقة وهي معروفة في الرثاء الأسود بن يعفر النهشلي في قصيدته التي مطلعها :

نام الخلي وما أحس رقادي والهم محتضر لدي وسادي

ينظر : ديوانه : ٢٥ .

ونجدها أيضاً عند عدي بن زيد العبادي في قصيدته التي يبدؤها :

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود

ينظر : ديوانه : ١٢٢ .

ونجدها عند أبي العتاهية في قصيدته التي يبدؤها :

المنايا تجوس كل البلاد والمنايا تفني جميع العباد

ينظر : أبو العتاهية أشعاره وأخباره : ١١٢ .

(٦٦) ينظر : الأدب الأندلسي من الفتح حتى

سقوط غرناطة : ١٠٨ .

(٦٧) تأصيل النص : ١٨٢ .

(٦٨) النبأ : ٢٠١ .

(٦٩) الميزان في تفسير القرآن : ٢٠/ ١٦٣.

(٧٠) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ١٧ .

(٧١) الحج : ٢٢ .

(٧٢) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي :

(٧٣) يوسف : ٨٠ .

(٧٤) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤٦ .

(٧٥) الإنسان : ١ .

(٧٦) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٢٦ .

(٧٧) المطففين : ٧ .

(٧٨) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤٦ .

(٧٩) ينظر : الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ١٠٨ .

(٨٠) المائدة : ٥ .

(٨١) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٣٢ .

(٨٢) م . ن : ١٨ .

(٨٣) مريم : ٤ .

(٨٤) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٣٨ .

(٨٥) الصافات : ١٣٩ – ١٤٦ .

(٨٦) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٤٧ .

(٨٧) القصص : ٢٤ .

(٨٨) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ١٨ .

ثبت المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.
- الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٩٥١م .
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د. منجد مصطفى بهجت، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – بغداد، ١٩٨٨م. د.ط.
- أدب الطف ، أو شعراء الحسين (عليه السلام) من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر ، جواد شبر ، ط١ ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
- أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين العاملي ، تح : حسن الأمين ، ط٥ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (تـ٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل – بيروت، د. ت.
- البابليات ، محمد علي اليعقوبي ، ط٢ ، دار البيان ، مصر ، ١٩٥١ م .
- تأصيل النص قراءة في ايديولوجيا التناص، د. مشتاق عباس معن ،ط١،دار الكتب ، صنعاء ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

- ديوان الأسود بن يعفر، صنعه د. نوري حمودي القيسي، مطبعة الجمهورية – بغداد، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.
- ديوان السيد حيدر الحلي ، تحـ: علي الخاقاني ، ط٤ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي ، عني بجمعه وشرحه وترجمة أعلامه وسرد الحوادث التاريخية المذكورة فيه: محمد علي اليعقوبي ، ط١، منشورات مكتبة ومطبعة الحيدرية، النجف،١٣٨٤ هـ .
- ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م.
- شعراء الحلة ،علي الخاقاني ، ط٢ ، دار البيان ، بغداد ،١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
- طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي دراسة موضوعية تحليلية ،د. علي كاظم محمد علي المصلاوي ، مجلة جامعة كربلاء ـ المجلد الخامس ـ العدد الرابع ـ إنساني ـ كانون الأول ـ٢٠٠٧م.
- الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم تـ ٣٨٥هـ ، دار المعرفة ، بيروت ،١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، د.ط .
- قصص الأنبياء ، لابي الفداء اسماعيل بن كثير ٧٠١ـ ٧٧٤هـ ، تحقيق:مصطفى عبد الواحد ،ط١، دار التاليف ، مصر ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .
- مثير الأحزان، الشيخ شريف الجواهري ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .
- مختصر المعاني ، سعد الدين التفتازاني ،مطبعة عبد الله أفندي ، القاهرة ، ١٣٠٧هـ ، د.ط .
- مشاهير شعراء الشيعة ، عبد الحسين الشيشتري ، ط١ ، ستارة ، قم ، ١٤٢١ هـ .
- معارف الرجال في تراجم العلماء و الأدباء، الشيخ محمد حرز الدين، تعليق حسين حرز الدين، مطبعة الولاية، قم، د.ت.ط .
- معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع ، جعفر صادق حمودي التميمي ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩١ م .
- الميزان في تفسير القرآن ٔ محمد حسين الطباطبائي، ط٣ ، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت ،١٩٨٤.
- ينابيع المودة لذوي القربى ، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي تـ ١٢٩٤هـ ،تح : سيد علي جمال اشرف الحسيني ، ط٢،دار الاسوة للطباعة و النشر ، ١٤١٦ هـ .



من معجم الفصيح الدارج في اللهجة العراقية المحكية في محافظة كربلاء

أ.م.د.خالد عباس حسين

جامعة كربلاء –كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

إنَّ البحث يكرر التأكيدعلى دراسة اللهجات العربية الحديثةعلى المستويات الصوتية،والصرفية ،والنحوية، والدلالية،والمعجمية،كلاً أوبعضاً،إذ لامانع علمياً من ذلك،ثم إن الواقع اللغوي المعاصرلاسيما المنطوق منه يتطلبها ويفتقرإليها فالعامية فيه الوسيلة الأساس تفاهماً وتخاطباً،ولم يبقَ للفصيحة إلا طيّات القراطيس،وإلاالكلام المكتوب،وهو لعمري تضييق لها وتحجيم يؤسف له و لا يرتضيه احدفهي لغة القرآن الكريم،ووعاءالتراث العربي المجيد،مما يستدعي شحذ الهمم،وبري القلم من المحبين لها،والمعتزين بها،وهم كثر،للذود عنها ذوداً حقيقياً ينحو منحى علمياً أصيلاً يأخذ بها،ويحببها لأهلها ولمريديها بدراستها درساً حيوياً،متجدداً،مرنا من جهة،ثم النظر إلى مستواها المنطوق الآن،اعني : لهجتها،أو لهجاتها الحديثة،تقريباً،وإيضاحاً وتبييناً،وتهذيباً من جهة أخرى،لأنه اللغة واحدة بوجهين : فصيح مكتوب،وآخر منطوق .

وهذا ماأدعو إليه في هذه الدراسة،إنها خطوة في طريق كان بدأه باحثون اجلاء عراقيون،وعرب،عسى أن يكتب لها النجاح من اجل إدامة الصلة بين الفصيحة ولهجاتها الحديثة وتقليلا لفجوة بينهما برفع اللهجة والسمو بها نحو أمها الفصحى .

لقد قامت الدراسة على أساس إيراد ألفاظ منتخبة من الواقع اللهجي العراقي المحكي في محافظة كربلاء بطريقة معجمية ثم كشف النقاب عن فصاحتها،وقد بيّنت صلتها بالفصيحة وعرّفت بنسبها العربي الفصيح،وكنت أوضحت هذا المنهج في مقدمتها،ودلّلت عليه في متنها.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والثناء والتكريم على أصحابه المخلصين .

أما بعد، فهذا البحث الموسوم (من معجم الفصيح الدارج في اللهجة العراقية المحكية في محافظة كربلاء)، يعنى بناحية من نواحي درس هذه اللهجة، ناحية تأصيل المعنى وتفصيح اللفظ الدارج، فما أخذه المحدثون على منهج القدماء في درس العربية الفصحى بمستوياتها المختلفة، إهمالهم البحث في لهجاتها التي كانت سائدة معها مكاناً وزماناً ونطقاً، وتجافيهم عن الخوض فيها، ذلك أن النظر في هذه اللهجة أو تلك ربما يكون عاملاً مساعداً للكشف عن كثير مما خفي من قضايا اللغة المشتركة ومسائلها أو أحكامها . واعتقد بأن الرجوع إلى لهجاتنا الحديثة لدراستها ما زال ضرورياً، ونحن ندرس لغتنا الفصيحة، اعني : جعل اللهجة الحديثة محطة من محطات النظر والدرس لا من أجل ترسيخها، أو الدعوة إليها، ولكن لجعلها وسيلة من وسائل الوصول إلى فهم ما نحن بحاجة إليه، أو إلى استكمال معرفته من تراثنا اللغوي الفصيح القديم والمعاصر على حد سواء .

إن الشيء الأساس في المنهج اللغوي الحديث هو الواقع المنطوق، ولغة التخاطب الحية والفعلية، فبالنطق نعرف الحدث الكلامي صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالةً ومعنى، فإذا عرفنا كل ذلك أو بعضه، رجعنا إلى لغتنا ندرسها رجوع الموازنة، أو المقارنة، أو التأمل، أو النظر الفاحص، إذ لا يمكن تصور أن اللهجات الحديثة مقطوعة الصلة بالفصيحة، فالأمر المنطقي أن تكون منبثقة عنها انبثاق الغصن من شجرته، أما ترك القول – على إطلاقه – إنها لاسيما مفرداتها ترتد إلى لغات الأعاجم الذين دخلوا البلاد العربية من

تتار، ومغول، وفرس، وأتراك، وانكليز، وفرنسيين وغيرهم، ففينا حاجة إلى التدقيق فيه، وإلى تهذيبه، ودراسته، فلعله يفتقر إلى النظرة العلمية الموضوعية، وربما فيه أثر من خيال، أو شيء من عاطفة وهوى، فإن وردت كلمات أعجمية إلى الواقع اللهجي العربي الحديث فقد دخلت قبلُ لغتنا الفصحى وقَبلَها مبدأ الأثر والتأثير، وأصبحت بعدُ جزءاً من واقعها الفصيح .

وقد اتخذ البحث لموضوعه ترتيباً معجمياً يقوم على ذكر المادة اللغوية ذات الجذر الثلاثي وغير الثلاثي، ومن ثم إيراد اللفظ الدارج الذي ينتمي إليها سبقته مقدمة فتمهيد وفيه تناولت بشيء من الاختصار محافظة كربلاء من النواحي : الإدارية والجغرافية والبيئية والسكانية، وتعرضت إلى محاولات دراسة اللهجات العربية الحديثة التي صدرت عن أفراد أو عن مؤسسات لغوية رسمية، وانتهى البحث بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج التي توصل إليها، ثم قائمة استعرضت فيها مصادره ومراجعه، فملخص له باللغة الانكليزية .

إن منهج هذا البحث يقوم على إيراد الكلمة بحسب نطقها العاميّ، وتوضيح دلالتها بحسب الاستعمال الدارج مراعياً المقام التي تقال فيه، وحال المتكلم والسامع على السواء مما له صلة بتوضيح القصد أو المراد، ومن ثم تبدأ رحلة البحث عن الكلمة في المعاجم للعثور على صلة معنوية تجمعها بها من اجل ردّها إلى نسبها الفصيح، وهو رد يستدعي غالباً تحليلاً، وتوجيهاً، وتقريباً، وتوضيحاً تطلّب من الباحث الاعتماد على الواقع اللهجي المحلي في كربلاء، المحافظة التي ينتمي إليها أصالة، ولادة، ونشأة، وسكنا،ولهجة، والاستعانة بمصادر اللغة، في مقدمتها المعجم العربي الذي استند إليه في توجيه المعاني العامية، كمعجم (العين) للفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، ومقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) وصحاح الجوهري (ت٣٩٨هـ)، وغريب الحديث لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) وغيرها .

أما المراجع فمن أهمها :الاصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، والعربية تاريخ وتطور لإبراهيم السامرائي، ودراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر، واللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، وحركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث لمحمد ضاري حمادي، ومشكلات اللغة العربية لمحمود تيمور، وغيرها .

إن التأليف في اللهجة العراقية ليس جديداً، فمن الذين ألّفوا فيها الأب انستانس ماري الكرملي، وإبراهيم السامرائي، وجلال الحنفي، وجميل صدقي الزهاوي، ومصطفى جواد، ومعروف الرصافي، ونوري حمودي القيسي، وثمة دراسة أكاديمية حديثة تناولت لهجة محافظة (واسط) العراقية موسومة بـ (الفصيح الذي حفظته العامية العراقية بين الدراسة والتطبيق، لهجة محافظة واسط أنموذجاً) للباحث محمد مزعل خلاطي، وقد رأيت حاجة إلى دراسة بعض الألفاظ الدارجة المحكية في محافظة كربلاء، لما يتوافر في هذه البيئة من العراق من غنى ديني، وثقافي، وسياحي، واجتماعي، غير خاف على احد، فكان هذا البحث .

الباحث

التمهيد

– كربلاء: تقسيمها الإداري، بيئتها، خصائصها، وطبيعتها السكانية

كربلاءبالمد،اسمموضع، فيه ضريح الحسين بن علي عليهما السلام(١) ، ويذكر البلدانيون واللغويون القدماء لهذه الكلمة ثلاثة معانٍ، فالكربلة : رخاوة في القدمين، يقال : جاء يمشي مكربلاً، فيحتمل أن تكون ارض هذا الموضع رخوة، فسميّت بذلك . وكربلت الحنطة أو الطعام، إذا هزته وغربلته، فكأن هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل، فسميّت بذلك . وكربل : اسم نبت حامض، فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبات يكثر نبته في هذا الموضع فسميّ به(٢) .

ومن المحدثين من ذهب إلى أن الكلمة منحوتة من (كور) و(بابل)، أي : مجموعة قرى بابلية(٣)، وقال الأب انستانس الكرملي : إنها منحوتة من (كرب) و(إل)، أي : حرم الله، أو مقدس الله(٤) .

يرى مصطفى جواد أن محاولة ((رد (كربلاء) إلى الأصول العربية غير مجدية، ولا يصح الاعتماد عليها، لأنها من باب الظن والتخمين والرغبة الجامحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدراً لسائر الأمكنة والبقاع، مع أن موضع كربلاء خارج عن جزيرة العرب، وان في العراق كثيراً من البلدان ليست أسماؤها عربية كبغداد، وصرورا، وجوخا، وبابل، وكوش، وبعقوبا، وان التاريخ لم ينص على عروبة اسم كربلاء، فقد كانت معروفة قبل الفتح العربي للعراق، وقبل سكنى العرب هناك .... أما قول الأب اللغوي انستانس ما معناه أن كربلاء منحوتة من (كرب) و(إل)، فهو داخل في الإمكان، لأن هذه البقاع قد سكنها الساميّون، وإذا فسرنا (كرب) بالعربية أيضاً دلّ على معنى (القرب) .... وإذا فسرنا (إل) كان معناه (الإله) عند الساميين أيضاً .... وعلى حسبان (كربلا) من الأسماء السامية الآرامية أو البابلية تكون القرية من القرى القديمة الزمان، كبابل واربيل))(٥) ، ويرى أيضاً أن وزن (كربلاء) الحق بالأوزان العربية ونقل من القصر (فعللا) إلى المد (فعللاء) في الشعر حسب(٦) .

تعد هذه المدينة مركز منطقة تقع وسط العراق اصطلح عليها (الفرات الأوسط)، ويقصد بها البقعة الواقعة على ضفتي نهر الفرات في القسم الأوسط منه، وتمتد من محافظة الانبار التاريخية شمالاً إلى حدود منطقة (أور) الآثارية جنوباً، وهي تشمل فضلاً على كربلاء محافظات : الحلة، والديوانية، والنجف(٧) .

تقع في جنوب غربي بغداد العاصمة بمسافة (١٠٥) كم، وهي من المدن المقدسة لدى المسلمين لوجود مرقد إمامنا الحسين وأخيه العباس ابني الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فيها، وتبلغ مساحتها (٥٢٨٥٦) كم مربعاً(٨) .

تتألف المحافظة الآن من ثلاثة أقضية وعدة نواحٍ (ينظر : الخريطة) : قضاء مركز كربلاء، وتتبعه ناحيتا (الحر) و(الحسينية)، وقضاء الهندية، وتتبعه ناحيتا (الخيرات) و(الجدول الغربي)، وسميّ بهذا الاسم لوقوعه على جانبي نهر الهندية الذي حفره الأمير الهندي (آصف الدولة) قبل أكثر من (١٢٠) سنة، من اجل إيصال الماء إلى محافظة

النجف الاشرف، ويسميه العامة قضاء (طويريج) (٩). وقضاء عين التمر، ويقع وسط الصحراء بالقرب من هور (أبو دبس)، وسميّ بهذا الاسم لكثرة نخيله وتنوعها، ويطلق عليه تسمية أخرى هي (شفاثا)(١٠)، وربما أبدل العامة (الفاء)(ثاء) فيقولون : (شثاثا) .

تتألف مدينة كربلاء القديمة من عدة مناطق، أو محلات معروفة تحتضن الحرمين الشريفين من أهمها : محلتا باب السلالمة، وباب بغداد، وتقعان في شمال المدينة، ومحلات باب الطاق، والمخيم، والعباسية الغربية، وكلها تقع إلى الجنوب الغربي منها، ومحلة باب الخان الكائنة في شرقيها وباب النجف، وتقع في وسطها بين الروضتين الحسينية والعباسية وكانت تعرف قبل بابُ المشهد، والى الجنوب الشرقي من المدينة تقع محلة العباسية الشرقية(١١) .

تمتاز المحافظة بمكانة سياحية على المستويين الديني والآثاري، ففضلاً على العتبتين المقدستين، ثمة مراقد ومزارات ومقامات لشخصيات تاريخية ودينية، من أهمها : مرقد الحر بن يزيد الرياحي، وهو احد شهداء واقعة الطف المعروفة، يبعد عن كربلاء (٥) كيلومترات، وتعد منطقته احد المتنزهات التي يرتادها الناس لجمال بساتينها واتساعها، ومنها : مقام عون بن عبد الله الحسني وهو من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، ويقع على الطريق بين كربلاء وبغداد، ومقام محمد بن علي بن حمزة الطوسي احد أعلام الامامية في القرن الخامس الهجري، ويقع مرقده إلى جانب الطريق المؤدي إلى قضاء الهندية، ومقام ابن فهد الحلي ويقع في شارع الحسين عليه السلام، ومقام المهدي (عجل الله فرجه) الكائن في الضفة اليسرى من نهر الحسينية، إذ يروى انه صلى في هذا المكان وانصرف(١٢) .

أما من ناحية السياحة الآثارية، فالمحافظة تحتضن عدة مواقع آثارية وسياحية مشهورة لعل من أهمها : حصن الاخيضر الذي يبعد عنها (٣٥) كم من جهة الغرب، والراجح انه اثر عربي إسلامي يرجع تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، تؤيد ذلك محاريبه، وطرز بنائه، ومحل إقامته على طريق البادية حيث ملتقى الطرق الرئيسة، وخان العطشان الذي يبعد مسافة (٣٠) كم جنوبي غربي المحافظة وهو بناء قديم مبني من الآجر، وبحيرة الرزازة التي تقع على بعد (١١) كم إلى الغرب منها وتمتد حتى محافظة الانبار بطول (٦٠) كم وعرض (٣٠) كم(١٣) .

وفضلاً على ما سبق فإن كربلاء تمتاز بأهميتها التجارية والصناعية والزراعية لموقعها الديني وتوسطها المناطق الغنية بالحاصلات والمنتوجات، ومن أمثلة الصناعات الشعبية فيها : الوشي، والتطريز، والنقش، والحفر على المعادن، والصياغة، والترصيع، وتلبيس الخشب بالخشب الاثمن والأنفس على أشكال هندسية، ورسوم عربية وإسلامية، وهندية وفارسية، وثمة أسباب وعوامل أخرى ساعدت على تنمية اقتصادها، وتطوره، فالأراضي خصبة، والمياه وفيرة، والمناخ مناسب، فزراعة النخيل، والحمضيات، والفواكه، والخضروات الشتوية منها والصيفية زد على ذلك زراعة الحبوب كالحنطة والشعير مما اشتهرت به المحافظة، الأمر الذي شجع على تربية المواشي على اختلافها، ودفع بالكثير من أهالي المحافظات الأخرى لاسيما من منطقة الفرات الأوسط للهجرة إليها والسكن فيها طلباً للرزق والإقامة، ((ومما لا

يختلف فيه اثنان ان مدينة كربلاء المقدسة يقصدها مختلف الأجناس والشعوب من مسلمين وغير مسلمين للتبرك بالعتبات المقدسة فيها، والاطلاع على الأماكن السياحية والأثرية، ومنهم من آثر السكن مجاورة لقبري الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام))(١٤) .

إن هذا الاختلاط الواضح بين من سكن كربلاء أصالة وبين من نزح إليها أو هاجر من أبناء المحافظات الأخرى ترك ثقافة متنوعة، وغنية وعميقة، ليس على المستوى الاجتماعي فحسب، بل شمل الواقع اللهجي أيضاً، ذلك أن اللغة، واللهجة مظهر من مظاهرها، كائن حي يؤثر ويتأثر، وهذا ما خلّف تجانساً لهجياً بارزاً في الكلام الدارج لأبناء هذه المحافظة .

اللهجات العربية الحديثة

اللهجة، لغة : العين ((لهج فلان بكذا وكذا : أي : أولع به . . . واللهجة : طرف اللسان، ويقال : جرس الكلام ويقال : فصيح اللهجة، واللهجة، وهي لغته التي جبل عليها، فاعتادها، ونشأ عليها))(١٥) وفي مقاييس اللغة ((اللام والهاء والجيم اصل صحيح يدل على المثابرة على الشيء وملازمته ... يقال : لهج بالشيء إذا أغري به وثابر عليه ... وقولهم : هو فصيح اللهجة، واللهجة، اللسان بما ينطق به من الكلام، وسميت لهجة، لان كلا يلهج بلغته وكلامه))(١٦).

ومما يتضح من كلا النصين اللذين يبينان معنى اللهجة توافر لفظة (اللغة) فيها ذلك ان الترادف بين (لهجة) و (لغة) معروف عند القدماء . والعلاقة بينهما عند المحدثين كالصلة بين الخاص والعام ((فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات)) (١٧) . فاللهجة بيئة خاصة تنتمي اليها مجموعة من الصفات اللغوية يشترك فيها جميع افراد هذه البيئة(١٨) واللغة هي بيئة اوسع واشمل لانها تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض(١٩) .

وقد بدا للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ان يعرّف باللهجة العربية العامية الحديثة فقال : ((هي لغة فصيحة موضوعة في عصور مختلفة للتعبير عن الافكار بقوالب كثيرة اصطلح عليها ابناؤها في كل قطر وبكل وقت فلاكتها الألسن وتلاعبت بها التصرفات، فتغيرت أساليبها وتلونت ألفاظها بين فصيحة محرفة، أو مصحفة وأجنبية دخيلة ومرتجلة غريبة، ولحن شائع، وتصرف شائن، حتى بعدت في بعض الوجوه والاساليب عن اصلها الفصيح ومؤداها البليغ، فكادت من هذه الوجوه تكون لغة قائمة بذاتها))(٢٠)، وهذا التعريف ينسجم في النتيجة مع ما تقدم من ايضاح لمصطلحي اللهجة واللغة بحسب الفهم الحديث، ولكن يلاحظ فيه بعد عاطفي يظهر بالمنحى الايجابي في النظرة إلى اللغة الفصيحة من جهة، والنظرة السلبية إلى اللهجة العامية الحديثة من خلال عبارات يفهم منها وصفها بالإنحراف عن الاصل الفصيح من جهة اخرى .

أولى الدرس اللغوي الحديث عناية واضحة باللهجات الحديثة دراسة ووصفا ومقارنة، يدل على ذلك ان اعلى سلطة لغوية عربية وهي المجامع اللغوية وضعت من اولوياتها الاهتمام

بدراسة اللهجات الحديثة، فممّا نص عليه مرسوم انشاء مجمع اللغة العربية في مصر، تنظيم دراسة علمية للهجات الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية، وقد شكلت على إثر ذلك لجنة مهمتها متابعة تلك الدراسة التي تتضمن التقريب بين الفصحى ولهجاتها، والدعوة إلى ازالة الفوارق بين لهجات البلاد العربية، والسمو بها جميعاً إلى اللغة الفصحى، ودراسات في العامي والفصيح وغيرها من الموضوعات المهمة(٢١) .

ان النظر العلمي في اللهجات الحديثة المنطوقة في البلاد العربية، أو التي تنتمي إلى طبقة اجتماعية معينة من طبقات المجتمع، قد يفتح آفاقا واسعة للبحث في طرائق تطور اللغة وتأثرها بالبيئة الجغرافية، وبالمظاهر الاجتماعية، فضلا على أن ذلك ربما يساعد على توضيح الصلة بين اللهجات العربية الحديثة واللهجات العربية القديمة، وطريقة تحول الاصوات من مجهورة إلى مهموسة، أو العكس، وطريقة انقلاب الاصوات من شديدة إلى رخوة وغير ذلك، مما تعرض له النظريات الصوتية وقوانينها(٢٢) .

أما علاقة العامية المحكية بالفصحى فما زالت في جميع البلاد العربية قوية وملاحظة فهي ((أدنى إلى الفصحى منها قبل جيل مضى . وقد مرنت الألسنة على ضرب من النطق الصحيح، ومرد ذلك إلى عوامل في مقدمتها : ازدياد عدد المتعلمين وتقلص ظل الامية، واقبال الناس على المطالعة والقراءة)) (٢٣)، وما ((العامية إلا الفصحى نفسها محرفة، أو ملحونة، وفي لهجات التخاطب ألوف من الكلمات يمكن رد الاعتبار اليها واجازة استعمالها بشيء من التخريج))(٢٤) .

ولعل هذا الفهم هو ما دعا بعض الدارسين لتداول بعض العبارات التي تكاد تصل إلى مستوى المصطلح في دراسة اللهجات الحديثة مثل (العامية الفصيحة) أو (الفصيح العامي) أو(العامية الجديدة)(٢٥)، أي أن العامي كان فصيحا في عربية ما غبر من قرون، لكنه تدنى مستوى ودرجة في اللسان الدارج، فصار عاميا لا يلتزم به المعربون في كلامهم وكتابتهم(٢٦)، وكان يرى ان من اسباب هذا التدنّي، أو التحول : أن دلالة الكلمة الفصيحة قلت الحاجة اليها، وزالت عن حيز المستوى الفصيح فانكفأت في العامية، وقد سد غيرها مسدها فبعدت عن اهتمام المتكلمين، أو أنها كانت تنتمي إلى لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكتب لها الشيوع واتساع الاستعمال، وهي فصيحة، فنزلت بسبب ذلك إلى العامية، ثم ان اكتسابها صيغة جديدة، أو تعرضها لشيء من القلب والابدال، أو الزيادة والنقصان مما يزيد من ابتعادها عن سمتها الفصيحة(٢٧) .

إن السعي لتوثيق فصاحة بعض الالفاظ الدارجة وسيلة مهمة من وسائل التقريب بين اللغة المكتوبة ولغة التخاطب(٢٨) وصولا إلى التوحيد اللغوي من جهة وقضاء على الازدواج اللغوي الذي ينظر إلى اللغة على انها شطران : عامي وفصيح من جهة اخرى(٢٩) .

وحينئذ تتحول ازدواجية اللغة إلى شيء وهمي على حد تعبير الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، وذلك عندما يكون البحث بصدق عن اصل الالفاظ التي نستعملها وحقيقتها(٣٠) .

ومن جانب آخر بدا لبعض الباحثين(٣١) ان دراسة اللهجات الحديثة يعد جزءا من حركة التصحيح اللغوي التي شملت الفصحى لاسيما الجانب المكتوب منها، وذلك بتنقية لغة الكتابة من

اللحن والانحراف وطالت لغة التخاطب المتمثلة باللهجات الدارجة .

وهذا منهج سليم ينبني على ((ان التغييرات التي تحدث في العربية ولهجاتها ليست اكثر من ادوار يحدث اولها في الفصحى، ثم تحدث ادوارها اللاحقة في اللهجات الحديثة))(٣٢) إذ إن ((معظم كلماتها عربي لحما ودما، فالحروف عربية ، والصيغة عربية ، وطريق الاشتقاق عربي، والمنحى في الانتقال من المعنى الاصيل إلى المعنى الدارج عربي))(٣٣) .

البحث في اللهجة، إذن، بحث في ((ظاهرة لغوية لابد ان نقف عليها وقفة خاصة، ثم ان فينا حاجة إلى ان نعود اليها لانها تحمل الضيم على فصيحتنا التي نجتهد ان تكون لغة العصر ، ولغة الحضارة الجديدة، وان نعيد لها شيء مما كان لها من المكانة، والقوة، والسعة، طوال عصور مضت))(٣٤) .

انتهى بعض الدارسين للهجة العراقية إلى توزيعها توزيعا جغرافيا على ثلاثة انماط هي ((النمط الجنوبي، والنمط الاوسط، والنمط الشمالي، وفي كل واحد من هذه نتبين انه يشتمل على لون حضري، وهو ما يعرف به اهل الحواضر، ونمط ريفي قروي، ولا نغفل ان يكون في النمط الجنوبي لون بدوي يتبين في البادية الجنوبية التي هي لصق بمشارف القرى، والأرياف الجنوبية، ومثل هذا واضح كل الوضوح في النمط الاوسط، والنمط الشمالي.ولعل من العسير علينا ان نصل إلى خرائط واضحة في الاطلس اللغوي الذي يبرز هذا التوزيع الجغرافي،وذلك لتداخل هذه المواد من حيث الخصائص اللغوية اصواتاً ودلالات))(٣٥) .

ثم إنه قسمها تقسيما اخر يقوم على البيئة والنوع : المدنية، والقروية، والبدوية(٣٦)، وخلص إلى أن لهجة بغداد مثلا ((شيء لا يمكن وصفه وضبطه لان هذه المدينة الواسعة قد ألتقت فيها عناصر شتّى من حضريين من الحواضر العراقية المختلفة، وقرويين، وبدو، وعناصر اخرى غير عربية)) (٣٧) وهي نتيجة تنطبق تماما على اللهجة المحكية في محافظة كربلاء، فالتشابه واضح بين المدينتين أو البيئتين لاسيما في الناحية السكانيةً ولهذا وسمت الالفاظ الدارجة المدروسة في البحث بانها عراقية أولاً، ومن ثم انها منطوقة في كربلاء ثانياً، لان كثيرا منها متداول ومسموع في محافظات عراقية اخرى، وان كنا لا نعدم ان نجد الفاظا اخرى تمّيز بها ناطقوها من سكان كربلاء الاصليين عشائر أو بيوتات .

المعجم

أزا :

من هذه الالفاظ الدارجة المحكية قولهم مثلا : (وازانِي)، أي : ضيق عليّ . وتستعمل حقيقة بمعنى التضييق المكاني في الجلوس غالبا، وفي غيره احيانا، ومجازا ايضا، كأن يقول احدهم : (وازاني) فلان لاسترجاع الدين الذي عليّ له، أو الحاجة التي استعرتها منه، أي ألح عليّ على سبيل الاجهاد والإصرار .

وفي الفصيحة ((الأزو : الضيق . . . وتآزى القوم ، دنا بعضهم إلى بعض .قال اللحياني: هوفي الجلوس خاصة ... وأزوت الرجل وآزيته، فهو مأزوو، ومؤزي، أي : جهدته فهو مجهود . قال الطرماح(٣٨)من(الطويل):

* وقد بات يأزوه ندى وصقيع

أي : يجهده))(٣٩).

فالنسب الفصيح للاستعمال الـدارج ملاحظ، وصلته باستعمال اللغة الاصيل قريبة، وفي كلا المستويين الحقيقي والمجازي . وقد تحولت الهمزة إلى واو في الـدارجـة (وازاني)، والابـدال بين هذين الصوتين كثير في الفصيحة، لكن الغالب فيها انقلاب الواو إلى همزة مثل : (وحد-أحد) و (ورث-إرث)، وفي هذه اللهجة حدث العكس، إذ انقلبت الهمزة إلى واو .

وقد انكر الجوهري ان يقال : وازيته، بالواو ((وقد آزيته، إذا حاذيته، ولا تقل : وازيته))(٤٠)، على اني وجدت في معجم العين هذا المعنى في مادة (وزي) بالواو ففيها : ((الإزاء: المحاذاة، تقول : هو بإزاء فلان، أي بحذائه))(٤١)، لا في مادة (أزا) الذي جعلها صاحب العين بالياء، هكذا (أزي) . (٤٢)

أني :

ومن هذا الـدارج قولهم مثلا : (اتْـنـانِي)، أي : انتظرني . وهذا المعنى ينتسب إلى الفصيحة : ((الأناة، الحلم، والفعل : أني وتأنى واستأنى . أي : تثبت . . . ويقال للمتمكث في الامر : المتأني . . . واستأينت في الطعام، أي : انتظرت ادراكه))(٤٣)، و ((تأنى في الامـر، أي ترفق وتنظر، واستأنى به أي انتظر به))(٤٤)، وقال ابن الاثير : ((في حديث غزوة حنين « اختاروا إحدى الطائفتين إما المال، وإما السبي، وقد كنت استأنيت بكم »، أي انتظرت وتربّصت، يقال :: أنيت، وأنيت وتأنيت واستأنيت . ومنه الحديث أنه قال لرجل جاء يوم الجمعة يتخطى رقاب الناس : آذيت وآنيت أي : آذيت الناس بتخطيك ، وأخرت المجيء فأبطأت))(٤٥) .

وقال الحطيئة (٤٦) في (آنيت) من (الوافر):

وآنيت العشاء إلى سهيل أو الشعرى فطال بي الاناء .

وقد حدث تغيير واضح في الصيغة الدارجة (اتْنانِي) قياسا إلى البناء الفصيح المزيد .

بزع :

يقولون بحسب هذه اللهجة مثلا : هذا الوضع (ايبزع)، والقائل يقصد انه فقد القدرة على الصبر على امر مكروه، لا يرجى زواله في اجل قريب .

وفي الفصيحة ، يـقـال : بـزع الـشرع : تفاقم وهاج(٤٧)، قال العجاج(٤٨) من (الرجز):

* إني إذا أمر العِدا تبزعا

ومما يلاحظ، ان الفعل (تبزع) مسند إلى الامر المكروه في الفصيحة، لكنه في هذه اللهجة متعلق بالمتحدث .

بول :

. قال الخليل : ((البال : بال النفس، وهو الاكتراث))(٤٩)، وقال ابن فارس : ((ما خطر ببالي، أي : ما ألقي في روعي . فان قال قائل : فان الخليل ذكر : ان بال النفس، هو : الاكتراث ومنه اشتق ما باليت، ولم يخطر ببالي، قيل : هو المعنى الذي ذكرناه، ومعنى الاكتراث : ان يكرثه ما وقع في نفسه، فهو راجع إلى ما قلناه))(٥٠)، وفي لسان العرب : البال : هو الخاطر(٥١) .

وما يتصل بهذا اللفظ قول العامة في هذه اللهجة (حسبالي – ما حسبالي)، و (لبالي – ما لبالي)، و (عبالي – ما عبالي) بالاثبات والنفي، إذ يوصلون هذه الكلمات بكلمة (بال)، يريدون بها : ان هذا

الامر لم يكن يدور في خلدي، أو في خاطري، أو في ذهني، أو في نفسي، ولم افكر فيه . ويبدو انهم صاغوا من لفظتين لفظة واحدة بطريقة ما يعرف في الفصيحة (النحت)، وهو ان ((تنحت من كلمتين، كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار))(٥٢)، ومنه قول الشاعر(٥٣) من (الوافر):

أقول لها ودمع العين جار
ألم تحزنك حيعلة المنادي

فـ(حيعلة) منحوتة من : حي على (٥٤) .

و (حسبالي – ما حسبالي) تتكون من (حس) و (بال)، ومعنى (حسْ) عندهم، هو المعنى الذي تؤديه الفصيحة ، إذ إن ((الحِسّ : بكسر الحاء، من : أحسست بالشيء . . . وأحس به، واحسه : شعر به)) (٥٥) .

أما (لبالي – ما لبالي)، فتتكون من (أل) الموصولة التي بمعنى (الذي)، والتقدير : الذي ببالي، أو ليس الذي ببالي، ثم ارتبطت على طريقة النحت بكلمة (بال) بوساطة حرف الجر (الباء)، الذي افاد معنى الظرفية، ثم حدث هذا الادغام، فكان التشديد (لبالي) .

وهذا ما حدث في كلمة (عبالي)، بتشديد الباء، فالاصل : عنّ ببالي، أو : ما عنّ ببالي، حذفت أحدى النونين من (عنّ) وارتبطت مع (ببالي)، فصارا كلمة واحدة، وتعني في هذه اللهجة : ظهر في بالي، أو عرض له، ومرادهم هذا يتفق مع الفصيحة فـ ((عنّ الشيء يعِن، ويعن عننا، وعنونا : ظهر امامك، وعنّ . . . واعتن : اعترض وعرض، ومنه قول امرئ القيس(٥٦) من (الطويل):

* فعن لنا سرب كأن نعاجه))(٥٧)

تفل :

ويطلقون في هذه اللهجة على (اللعاب) أو (الريّق) : (اتْفالْ)، وفي اللغة :التفال، والتفل : الزبد، والبصاق ونحوهما(٥٨)، و ((تفلت بالشيء : إذا رميت به من فمك متكرها له))(٥٩) .

وواضح ان دلالة (اتفالْ) في الاستعمال الدارج فصيحة .

جخخ :

ومنها قولهم : (چخ)، يقصدون زجر الكلب خاصة . وفي الفصيحة :جـخ: كلمة تـدل على زجر الكبش(٦٠)، والجخجخة الصياح والنداء .والجخجخة : صوت تكثير الماء وجريانه(٦١)، والاصل من : جخجخ، مثل قولك : بخبخ، عند ارادت كتفضيل الشيء(٦٢)، ثمان : جخ الرجل يـجخ تحول أو انتقل مكانيا إلى آخر(٦٣) .

ويبدو ان (جخ) كانت في الاصل متصرفة مبنى ومعنى، ثـم استعملت بعد لزجر (الكبش) لدلالتها على النداء والصياح اللذين يستدعيان (التصويت)، فضلاً على طلب التحول عن المكان والانتقال منه، فحفظها الاستعمال الدارج، لكنه ضيق تصرفها ، فأصابها الجمود ، وانتهت فيه إلى حكاية صوت زجر الكلب لا الكبش، ثم انه اختصر كل دلالاتـها الفصيحة، أعني : النداء، والصياح، والصوت، والتحول، أو الانتقال .

ان اللهجة قـادت (جـخ) إلى الانحدار من جهة الاستعمال عندما اقتصرت على حكاية الصوت، بعدما تسامت بها الفصيحة ، من جهة توسيع تصرفها على مستويي اللفظ والـدلالـة، ولكن الاستعمال الدارج ظل مرتبطا بسبب إلى النسب الفصيح .

و (چ) في (يچخ)، صوت ، يقول عنه سيبويه : انه بين الجيم والكاف(٦٤)، ولم يمثل له، كذلك فعل شارح الكتاب، السيرافي، فاكتفى بالقول عن هذا الصوت، أعني : الذي بين الجيم والكاف ((هما جميعا شيء واحد الا ان أصل احدهما (الجيم) والأصل الآخر (الكاف)، ثم يقلبونه إلى هذا الحرف الذي بينهما))(٦٥) . يقول تمام حسان : ((وهذا الصوت هو الذي يصفه النحاة باصطلاح (الكشكشة)(٦٦)، وهو شبيه لما في نطق العراقيين لكلمة (كيف)))(٦٧)، فالعراقيون ينطقون في بعض المناطق (كيف) هكذا : (چيف)، ومثل ذلك (كان) مثلاً، إذ تنطق (چان) .

جمعر :

يقولون مثلاً : فلان (امْجَعْمَرْ) وفلانة (امْجَعْمرَة)، أي هيأته، أو هيأتها - جسماً ووجهاً - فيها غلظة وخشونة يفتقدان إلى النعومة والرشاقة والوسامة . والاصل الفصيح هو (الجمعرة) : الأرض المرتفعة الغليظة، وجمعر : الحجارة المجموعة، وجمعر، غليظة، يابسة(٦٨) .

وهذا يعني : ان الصيغة الدارجة ، اصابها قلب مكاني(٦٩)، وذلك بتقديم العين على الميم (امْجَعْمَرْ)، ولا مسوغ لهذا القلب إلا إذا عد من ((أخطاء العوام في الكلمات الاجنبية أو الفصيحة ومن امثلة ذلك قولهم : أنارب في أرانب، ومعالق في ملاعق وأهبل في أبله، وهلتر في هتلر، ومرسح في مسرح))(٧٠) .

أما في الفصيحة، فالقلب المكاني قد يدخل غالبا في باب الاثراء اللغوي والاتساع في الكلام، وربما اضطر اليه احيانا، ودليله الاستقراء، وهو اوسع واكثر من باب الشذوذ، ولكنه لم يصل إلى حد القياس عليه(٧١) .

خبص :

من ذلك (خَبْصَه)، وهي : اختلاط الشيء، أو الامر، وتشابكه، واللغة الفصيحة تزيد نونا على هذه الكلمة . ففيها (الخنبصة)، وهي : اختلاط الامر، والنون زائدة، فهي من خبص(٧٢) وخبص الشيء خلطه (٧٣)

خرط :

وفيها (خَـرُط) كقولهم واصفين الكلام السيء التافه : هذا كلام (خَرُط)، وقد يجنون الثمر من اغصان شجرة (النبق) مثلاً، بطريقة (الخَرُط) طلبا للسرعة، الامر الذي يجعل الثمر المجني مختلطا بشيء من الاوراق والاغصان الصغيرة الغضة، وإذا انحل - عندهم - ازار الرجل المتعري الخارج من الحمام للتو يقولون له محذرين : (راح يُنْخُرُط) ازارك .

وفي الفصيحة : الرجل الخروط : هو المتهور الذي يركب رأسه، وانخرط علينا فلان، إذا تكلم مبادرا بالقول السيء(٧٤)، ورجل خروط، ينخرط في الامور بالجهل(٧٥)، وخرط اللبن هو الذي يختلط به الدم ويشوبه، والناقة المخرط هي التي يختلط الدم بلبنها(٧٦)، و ((الخرط : قشرك الورق عن الشجرة اجتذاباً، بكفك، ومنه : خرط القتاد)) (٧٧)، و((خرطت الورق : حتته، وهو ان تقبض على اعلاه ثم تمر يدك عليه إلى اسفله))(٧٨) .

ولعل (راح يُنْخُرُط) الازار في العامية مأخوذ اصله من قول العرب : ((اخترط الانسان المشيّ، فانخرط بطنه ، وخرطه الدوار أي:مشّاه... وحمار خارط، وهو الذي لايستقرالعلف في

بطنه))(٧٩) .

أقول : ان الرجل عندما (يمشي بطنه) بسبب داء أو دواء هو المعنى الذي ربما استعارته العامية للتعبير عن احتمال الانخراط (السقوط) المفاجئ، لازاره .

إذن (انخرط علينا الرجل) و (رجل خروط) و (خرط اللبن) و (خرط القتاد) و (انخرط بطن الرجل) في الفصيحة، و (كلام خرط) و (خرط الثمر) و (راح ينخرط) الازار في العامية، يجمعها معنى يدل على التداخل، واختلاط الاشياء، وازاحتها، وسقوطها، اعتباطاً أو قصداً أو جبراً .

خطم :

ومنها :(خطّم)، يقولون مثلا : (فلان خطم لفلان)، أي : منعه واعترض مروره . وهذه الدلالة اصلها مأخوذ من (خطام البعير)، وهو حبل يكون في انفه ، من اجل التحكم به وقياده(٨٠)، ثم يقال توسعا ((خطمه بالكلام . إذا قهره ، ومنعه حتى لا ينبس ولا يحير))(٨١)، وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((انه وعد رجلا ان يخرج اليه فأبطأ عليه ، فلما خرج قال له : شغلني عنك خطم))(٨٢) أي خطب جليل . . . قال ابن الأثير : ((يحتمل ان يراد به : امر خطمه ، أي منعه من الخروج))(٨٣) .

ان ارتباط (المنع) و (السيطرة) بالانف (المخطم) مما تواضع عليه العرف الاجتماعي العربي، فهو رمز للكبرياء ، ومنه اشتقت (الانفة)(٨٤) وصدر عنهم قولهم المأثور: (رغم أنفه)، أي : الزقه بالرغام، وهو التراب(٨٥) .

دمك :

ويصفون العظم الضخم، عظم الحيوان المنحور بأنه (دُمِكْ) .

ومن معاني (دمك) الفصيحة : الشدة، والشيء العظيم، والمدماك، الخشبة الكبيرة(٨٦) و ((كان بناء الكعبة في الجاهلية مدماك حجارة ومدماك عيدان من سفينة انكسرت))(٨٧) .

والذي يبدو انهم استعاروا اسم الخشبة الكبيرة ، والحجارة الصلبة إلى وصف العظم الذي يتصف بالصلابة في استعمالهم الدارج .

ربخ :

ومنها (امْرَبِّخْ) و (رُباخَة) . يقولون مثلاً : (فلان امْرَبِّخْ)، وحياته كلها (رُباخَة)، والمراد : وصف الحياة الهادئة الوادعة ، والعيش الرغيد فضلا على وصف من يتسم بذلك ،لاسيما من كان صحيح الجسم ممتلئة .

وفي العين : ((رجل ربيخ ، أي : ضخم))(٨٨)، و ((مربخ : رمل بالبادية وربخت الابل في المربخ أي : فترت في ذلك الرمل من الكلال))(٨٩)، والراء والباء والخاء عند ابن فارس تدل ((على فترة واسترخاء ، قالوا : مشى حتى تربخ، أي : استرخى، ويقولون للكثير اللحم الربيخ))(٩٠) .

ردم :

وفيها قولهم مثلا : فلان (ارْدِمْتَه) سيارة، فهو (مَرْدومْ)، بمعنى، دهسته، واصل هذه الدلالة الدارجة تؤديه مادة (لدم) باللام، لا (ردم) بالراء، وهذا يعني، ان العامة قلبوا اللام راء، فقالوا : ردم، وهم يقصدون لدم، وفي اللغة : ((اللدم : ضرب المرأة صدرها، وعضديها في النياحة))(٩١)، واللام والدال والميم اصل يدل على الصاق شيء بشيء، ضربا أو غيره، فاللدم : ضرب

الحجر بالحجر، والتدم النساء، ضربن وجوههن، وصدورهن في المناحة))(٩٢)، و ((اللدم : اللطم ، والضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه))(٩٣) .

ان الالتقاء بين الدارجة والفصيحة، التقاء في المعنى العام الذي تدل عليه مادة (لدم)، فالصاق الشيء بالشيء، ضرباً، أو غيره تطور في الدارجة إلى المعنى الذي اشرت إليه، ففيه تضييق للاستعمال الفصيح .

اما انقلاب (اللام) إلى (الراء)، فهو ضرب من التطور الصوتي في النطق الدارج يسوغه تقارب هذين الصوتين مخرجا وصفة ، فهما من الاصوات الذلقية، وكلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة وكلاهما ايضا صوت مجهور(٩٤) .

زبق :

ومنها : (زُبَـگ) بالقاف المتطورة نحو الجيم القاهرية (گ)، هـذا التطور يسوغه الميل إلى التجانس الصوتي، فكلاهما شديد ومهموس(٩٥) . يقولون مثلا : (زُبَگ) فلان، إذا مر بمكان ما أو دخله أو خرج منه مسرعاً .

وفي الفصيحة ((انزبق، أي : دخل، وهو مقلوب : انزقب))(٩٦)، وزبقت الرجل، إذا حبسته، وزبق شعره، إذا نتفه(٩٧) .

ان (الدخول) و (الحبس) و (نتف الشعر) عند التدقيق تعود جميعا إلى معنى (المرور)، أو (الدخول) مع شيء من السرعة والخفة . فـ (زقبت الرجل) إذا حبسته يحدث في الغالب في حال مخصوصة، ذلك ان من طبيعة (السجان) ادخال (السجين)، أو زجه داخل السجن، بطريقة (الدفع) مع شيء من العنف في كثير من الأحيان، وهذا يستدعي سرعة الفعل اتساقا مع مقتضى الحال ، ومثل ذلك يمكن تفسير (زبق شعره) إذا نتفه، فمن لوازم (نتف الشعر) : السرعة والخفة في المزاولة والمعالجة تفاديا لألم يصاحب هذه العملية كما هو معلوم .

إن الاتساع في دلالة (زبق) في الفصيحة يقابله (تضييق) في الاستعمال الـدارج، إذ اقتصر على المـرور أو الدخول والخـروج مشفوع كل ذلك بالسرعة والخفة .

زرف :

ويقولون مثلا : (انْـزِرَفْ) اطار السيارة، وهو (مَزْروفْ) . أي : خرج هواؤه جراء حدوث ثقب فيه أو عطب.

وفي اللغة، ان الجرح إذا انتقض ونكس بعد الدواء، قيل عنه : زرف(٩٨)، و ((الزرافة، والزرافة : منزفة الماء))(٩٩)، قال الفرزدق (١٠٠) من (الطويل):

ويبيت ذا الأهداب يعوي ودونه
من الماء زرافاتها وقصورها

ان انتقاض الجـرح، وخـروج القيح منه أو الدم، وخـروج المـاء من المنزفة، هو وجه الشبه الذي استمدته هذه اللهجة لوصف الشيء المثقوب الذي يستلزم خروج ما بداخله .

زلم :

ومن هذه اللهجة قولهم: (ازْلِمـه) وقد يحركون (الزاي) فيقولون: (زِلْمه)، ويقصدون بها : الرجل.

وفي الفصيحة (الزلمة) خصلة من الشعر تتدلى من عنق ذكر الماعز(١٠١)، و ((فرس مزلم ، مقتدر الخلق، ويقال للرجل : إذا كـان خفيف الهيأة، وللمرأة التي ليست بطويلة : رجل مزلم، وامرأة مزلمة والمزلم : الرجل القصير . . . والمزلم والمزنم من الابل : الذي تقطع إذنه وتترك له زلمه أو زنمه، قال

أبو عبيد وانما يفعل ذلك بالكرام منها))(١٠٢) .

ولعل الاستعمال العامي انبنى على تدلي خصلة الشعر من ذكر الماعز خاصة وليست اناثه، وهي علامة فارقة تميز ذكر الماعز من اناثه فيما يبدو، يؤيد ذلك ان الاستعمال الفصيح يصف الفرس المزلم بـ (اقتدار الخلق) والمزلم من الابل بـ (الكرام منها)، وهي اوصاف يتميز بها الرجل غالباً عندما يتجاوز مرحلة الفتاء وحداثة السن .

أما البيئة فتبقى مصدرا غنيا من مصادر الاثراء اللغوي والتوسع في الاستعمال حتى على مستوى اللهجة .

زمخ :

ويقولون (زَمَّخْ) بتضعيف الميم، أي : رفع صوته بتكرار وعلوّ غضبا وتكبرا . وفي اللغة : الزامخ الذي شمخ بانفه(١٠٣)، وزمخبانفه : أي تكبر وتـاه(١٠٤). وفي (زمخر) اجد ((زمخر الصوت وازمخر، أي : اشتد، والنمر، إذا غضب فصاح، يقال لصوته: تزمخر تزمخرا، والزمخر: اسم المزمار الكبير الاسـود، والزمخرة، والازمخـرار: الصوت الشديد))(١٠٥).

فالمعنى على وفق المراد العامي تؤديه (زمخر) لا (زمخ)، ويبدو ان العامة وصفوا التلازم المنطقي بين الغضب والصياح، فالاول يؤدي إلى الثاني، وبهذا تكون الصيغة الدارجة (زَمَّخْ) وسيلتهم للتعبير عن هذا المراد .

ومن المفيد ان نذكر ان ابن فارس يرجع (زمخر) إلى (زخر) جاعلاً (الميم) زائدا(١٠٦)، ويقول عن (الزاي والخاء والراء) انه ((اصل صحيح يدل على ارتفاع))(١٠٧)، وهو معنى يتسق مع معاني مادة (زمخ) التي بينتها ويقترب منها .

زيق :

ومن ذلك (زِيگه هَدَلْ) أو (زِيجَه)، أي ان جزءا من ثوبه ظل سائبا اهدل لم يربط . وعندهم كذلك (الزِّيگ– الزَّيجْ)، يصفون به القطعة الطولية من الأرض .

وفي الفصيحة ((الزيق للجيب المكفوف . وزيق الشيطان، شيء يطير في الهواء يسمى لعاب الشمس))(١٠٨) .

ويبدو ان ثمة تطور حدث في الاستعمال الدارج لكلمة (زِيگ– زَّيجْ) المتعلقة بالثوب اتجه اتجاهاً ضدياً من جهة المعنى فالكلمة في الفصيحة هي الجيب المكفوف وفي العامية تعني الثوب السائب المتهدل ولكن كلا المعنيين يتصل بالثوب . اما (الزِّيگ – الزَّيجْ) بمعنى القطعة الطولية من الارض فهو من ذلك، اعني انه مستمد من بعض ما يدل عليه ((زيک – زيج الثوب)) وهو جزئه على وفق الاستعمال الدارج، فضلاً على صلته بـ(زيق الشيطان) بالمعنى الفصيح بجامع (الطول) و (الامتداد) وهما صفتان ملاحظتان فيه .

بقي أن تقول : إن (زِيگ) بالجيم القاهرية، هو النطق المسموع في حاضرة مدينة كربلاء، اما بالجيم (زِيجْ)، فهو نطق اهل الريف في هذه المدينة .

والظاهر ان صوت (القاف) في اللفظة الفصيحة (زيق) قد تطور إلــى هــذين الصوتـين (گ) و (ج)، ذلك ان تغير مخرج أي صوت يكون باحد طريقين، اما بتطور المخرج إلى الوراء، واما إلى الامام بحثاً عن اقرب الاصوات شبهاً صوتياً به، فالقاف – في الاصـل – صوت مجهور فعند الانتقال بمخرجه إلى الامام يكون أقرب المخارج منه مخرج الجيم القاهرية والكاف، فلا غرابة من

تطوره إلى احدهما، وقد اختار صوت القاف في تطوره الامامي الجيم القاهرية، لان كليهما صوت شديد مجهور(١٠٩).

ويلاحظ أن صوت القاف قد حدث فيه تطور امامي اخر، في نطق اهل الريف في كربلاء، فاصبح ينطق جيما (زيج)، فالشبه الصوتي بين القاف والجيم واضح، ذلك ان القاف في الاصل صوت شديد مجهور كما بينت، والجيم مثله مجهور وهو شديد على حد وصف القدماء له(١١٠) .

ان هذين المظهرين في تطور صوت القاف ،له ما يعزره في العربية القديمة، ففي لغة معروفة لبني تميم ينطق جيما قاهرية(١١١)، قال الشاعر(١١٢) من (البسيط):

ولا أگوللگدرالگومگد نضجت

ولا أگول لباب الدار مگفول

فقد حول القاف في (أقول) و (قدر) و (القوم) و (قد) و (مقفول) إلى (گ) .

ومن امثلة تحول القاف إلى (ج) قولهم : بائقة، وبائجة، للداهية، وزلقت الموضع وزلجته، أي: ملسته(١١٣)

سحن :

يقول احدهم جراء سبب ما : (أسْحَنْ ابْروحِيْ سَحِنْ)، ويعني : انه يضغط على نفسه كثيرا تألما وحسرة واسفا لما فاته من امر مستحق لذلك، وفي العربية ((السحن : دلكك خشبة بمسحن حتى تلين من غير ان يأخذ من الخشبة شيئا))(١١٤) وآلة الدلك : المسحن(١١٥) .

وواضح ان الاستعمال الدارج استعار الدلالة المحسوسة الذي تفيده مادة (سحن) الفصيحة للتعبير عن معنى مجرد يتعلق بشعور معين من المشاعر الإنسانية .

سرفن :

ويقولون لمن يريد ان يأكل، أو يغتسل أو يعمل عملا يدويا : (سَرْفِـنْ) كمك ؟ أي : قصر من طوله لتتمكن من مزاولة ما تريد . ولم اجد في مادة (سرفن)(١١٦)، ما ينسجم مع هذا المراد العامي .

ويظهر ان في الكلمة الدارجة قلب مكاني، فالأصل هو (سرنف)، يدل على ذلك ان معنى (سرنف) في اللغة : الطويل(١١٧)، وكأن (سرفن) الدارجة اصبحت من كلمات التضاد فهي تعني تقصير الكم الطويل، وعلى أية حال فان (سرفن) العامية ما تزال ممتدة بسبب إلى النسب الفصيح لاسيما من جهة المبنى .

سكك :

ومن ذلك قولهم : فلان (سچ)، أي : مشى في طريق سيرا على الاقدام، والاصل الفصيح هو : من السكة ، وهي : الطريق المستوي ، والزقاق ، ومنه سميت : سكك البريد(١١٨)، قال الشماخ(١١٩) من(البسيط):

حنت على سكة الساري فجاوبها

حمامة من حمام ذات أطواق

والسكة كذلك : الطريق المصطف من النخل، أو السطر المصطف من الشجر(١٢٠) .

إن الطريف في استعمال هذا اللفظ الدارج (سچ)، هو انه لا يقال لكل ماش مغادرمكانا ما إلى اخر، بل يقال في حال مخصوصة، وهي ان المتكلم غير راض كل الرضا عن المتلبس بهذا الفعل ناقد له، في نفسه فضول لمعرفة سبب خروجه أو مسيره .

المعجم العربي إذن ينقل تفسير (السكة)، فحسب،

وفي العامية اجد وصفا لمن سلكها ،أومراعاة للسلوك الاجتماعي باستعمال فعل مشتق منها مع شيء من فضول وعدم رضا .

وشيء اخر، هو ان (السكة) اصبحت في عرف هذه اللهجة طريق (القطار)، وسيلة النقل المعروفة، فيقال : (سجة القطار) وهو تطور في الاستعمال .

ان تطور (الكاف) في (سك) الفصيحة إلى (چ) في(سچ) تؤيده الصلة الصوتية بينها فكلاهما شديد مهموس(١٢١) .

شطب :

ويقولون مثلا : (اشْطُبْ) على هذه الوثيقة أو على هذا المستند . أي اجعل فيه خطوطا طولية أو عرضية أو متشابكة تعبيرا عن ارادة ابطالها وتركها وانتفاء الحاجة اليها أو لانها لم تف بالمراد . ويقولون كذلك : فلان أو فلانة (شَطْبَهْ)، أي : هو طويل رشيق أو هي طويلة رشيقة .

وفي اللغة : الشطبة : قطعة من سنام البعير، وكل قطعة منه تقطع طولا تسمى شطيبة(١٢٢)، و ((أرض مشطبة : إذا خط فيها السيل خطا)) (١٢٣)، واصل الشطب هو الامتداد والطول، والشطب سعف النخل الاخضر الواحدة، شطبة، والشطبة الجارية الغضة الطويلة(١٢٤)، و ((الشطب من الرجال والخيل الطويل ، الحسن الخلق))(١٢٥) .

وواضح ان الاستعمال الدارج سواء (اشْطُبْ على الوثيقة) أو وصف الرجل والفتاة بانها (شَطْبَه) يتسق مع الواقع اللغوي الفصيح من جهة اصل معنى (الشطب)، ومن جهة تطور الدلالة لاسيما مراد العامة من القول : (اشْطُبْ على الوثيقة) بمعنى : انتفاء الحاجة اليها، ولكن باستعمال (على) لا (عن) التي يتطلبها الاستعمال الفصيح، فعن الأصمعي ((شطب عن الشيء : عدل عنه . . . وشطف وشطب إذا عدل ومال))(١٢٦)، كذلك : ((رمية شاطفة، وشاطبة، وصائفة : إذا زلت عن المقتل))(١٢٧)، أي أخطأت المراد منها .

صفر :

وفيها : (امْعَصْفِرْ)، يصفون بها الشخص الذي تظهر عليه علامات المرض، أو الانهاك، أو الضعف .

وفي العربية : العصفر : ضرب من النبات(١٢٨)، وذكر ابن منظور انه من المعرّب(١٢٩) ولم يشر صاحب الصحاح إلى ذلك(١٣٠)، ولكن ابن فارس حاول ردها إلى اصل عربي، فجعلها منحوتة من الثلاثي، من (عصر)، و (صفر)، وهذا يعني ان المراد بهذه الكلمة المنحوتة (عصفر) : عصارة هذا النبات وصفرته(١٣١) .

ويبدو ان الاستعمال الدارج استند إلى لون (الصفرة) لوسم من به سقم، فـ(فلان معصفر) يعني : انه سقيم، ذلك ان العرف الاجتماعي العراقي، يعقد صلة بين اللون الاصفر، وبين قلة الدم، وهو ما يعد من علامات اعتلال الصحة وضعف البدن .

طحر :

وفي هذه اللهجة (يِطْحِرْ)، أي يخرج زفيره بصعوبة وبصوت مسموع . وفي اللغة : الطحير من الصوت، شبه الزحير، أو فوقه، والطحر، والطحار، والطحير، النفس العالي(١٣٢)، فالقرب واضح بين الاستعمالين الدارج والعامي، مبنى ومعنى .

عرت :

وعندهم : (عَرِّتْ)، إذ يقولون لمن يمسك بالحبل الذي يجعل في عنق الحيوان المضطرب :
(عَرِّتْ) به ؟، أي : امسكه، بقوة ولا تدعه يفلت من يدك .

وفي مادة (عرت) الفصيحة، ان ((الرمح العرات مثل العراص ، وهو المضطرب))(١٣٣)، وفي (عتر)، يقال : عتر الرمح يعتر عترا وعترانا، إذ اضطرب، واشتد، واهتز(١٣٤) .
ان اضطراب الرمح واهتزازه، معنيان تؤديهما مادتا (عرت)، و (عتر)، ولم اجد فيما اطلعت عليه من المعاجم المعروفة ما ينص على حدوث قلب مكاني بين (عرت)، و (عتر)، وما يعزز ذلك ان ابن منظور، نقل انه ((قد صح (عتر)، و (عرت)، ودل اختلاف بنائهما على ان كل واحد منهما غير الآخر))(١٣٥) .
ان حالة الشد والجذب، بين مَنْ يمسك بالحبل وبين الحيوان الجامح المقيد به، من لوازمها اضطراب الحبل واهتزازه فضلا على اضطراب الحيوان نفسه، على انني ارى ان المعنى الذي يؤديه (العتل) في مادة (عتل) هو الاقرب إلى المعنى الذي بينته، ففي هذه المادة ((العتل : أن تأخذ بتلبيب رجل فتعتله، أي تجره اليك، وتذهب به إلى حبس أو عذاب . . . واخذ فلان بزمام الناقة فعتلها، وذلك إذا قبض على اصل الزمام عند الرأس فقادها قودا عنيفا)) (١٣٦) .
ومنه قوله تعالى {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ}(١٣٧) . وعلى هذا، فان القول بحدوث قلب مكاني في الكلمة الدارجة (عرت) قد يكون مقبولاً، فلعل الاصل هو من مادة (عتل) ثم (علت) على القلب ثم (عرت) بانقلاب اللام إلى راء مع تضعيفه في الاستعمال الدارج (عرَّت)، ذلك ان تحول اللام إلى راء مسوغ للقرابة الصوتية بينهما فكل منهما من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، ويشتركان بصفة الجهر أيضاً(١٣٨) .

عفص :

وفي هذه اللهجة (عَنْفَصْ)، يقولون مثلاً : (عَنْفَصْ الحمار) أو (عَنْفُصَتْ الدابة)، والمراد هو : وصف اضطراب الحيوان، وهيجانه وخروجه عن هدوئه المعتاد .
ومعنى هذه الكلمة هو نفسه في الفصيحة، لكنه يدل على العاقل المؤنث فيها فـ(العنفص) : المرأة البذية القليلة الحياء الخبيثة(١٣٩)، وهي ((من عفصت الشيء، إذا لويته كأنها عوجاء الخلق))(١٤٠)، قال الأعشى(١٤١) من (السريع) :

ليست بسوداء ولا عنفص

تسارق الطرف إلى داعر

فالمعنى العام مشترك بين الاستعمال الدارج، والفصيح، ولكنه في الدارج مختص بالحيوان، فلا يوصف به الانسان إلا في احيان نادرة على سبيل التهكم والازدراء، والكناية لا على اساس إرادة اصل المعنى .

فشخ :

ويقال : (فلان انْفِشَخْ)، أي : ضُرِبَ بشيء صلب على رأسه، فحدثت فيه شجة استلزم خروج الدم منها، وعندهم (الفاشِخْ) و (المَفْشُوخْ)، والفشخ في اللغة : الصفع، واللطم يحدث بين الصبيان عند لعبهم والكذب فيه(١٤٢) . والفشخ : أن يضرب الرأس باليد(١٤٣)، ان مكان (الفشخ)

هو الرأس في الاستعمالين، ولكن أداة الضرب في الفصيح : هي اليد، وفي العامي أي شيء غير اليد، كالحجر، أو قضيب، مما هو صلب .

اما الضرب باليد على الرأس فلا يعد (فشخا) في الاستعمال الدارج، بل هو داخل في عموم معنى (الضرب)، ثم ان هذا الاستعمال لـ(فشخ) يستغني عن ذكر الرأس، لان دلالته تقتصر عليه، وتختص به فهو معلوم لدى العامة عند اطلاقه .

فشش :

وعندهم (فَش)، يقولون مثلا واصفين حدوث ثقب في عجلة السيارة : (فشَّتْ)، وربما وصفوا انتهاء فورة غضب احدهم ، بقولهم : (فَشْ فلان)، وعندهم كذلك : (الفشَّةْ) وهو اسم يطلق على احد اعضاء حيوان (البقر) أو (الغنم) الداخلية وهي (الرئة)، التي تؤكل مشوية في الغالب .

مادة (فَشَّ) في الفصيحة، تدل على انتشار وقلة تماسك(١٤٤) و ((فش القربة، يفشُّها، فشًّا، حل وكاءها، فخرج ريحها . . . وقال ثعلب : لأفشن وطبك، أي : لاذهبن بكبرك، وتيهك، وفي التهذيب : معناه : لاخرجن غضبك من رأسك، من فش السقاء، إذا اخرج منه الريح وهو يقال : للغضبان . . . ويقال للرجل إذا غضب فلم يقدر على التغيير، فشاش فشيه من استه إلى فيه))(١٤٥)

ان الصلة المعنوية بين (فَشت) العجلة و (فَشَّ القربة) واضحة، ومثلها (فَشْ) فلان، بمعنى : انتهاء فورة غضبه .

أما (الرئة) هذا العضو، فيمتاز بقلة تماسكه، وانتشاره، وهذا ملاحظ ومعروف، فهو (فشة) إذن بحسب الاستعمال الدارج، وهو تطور دلالي لهجي لم ينص عليه المعجم العربي، الا انه متسق مع اصل مادة (فش) الذي بينته .

فطس :

(فُطَسْ) في هذه اللهجة، يعني : موت الحيوان خاصة، وفي الفصيحة : فطس : مات، والفطوس . مصدر الفاطس، وهو الموت من غير داء ظاهر(١٤٦) .

ان (فطس) في اللغة، فيما يظهر يعني : الموت عموما من غير تحديد بانسان أو حيوان .

فقس :

وعندهم (فُگَسْ) بالجيم القاهرية(١٤٧)، كقول السائق مثلاً : واصفا عطل موقف سيارته المفاجئ (البريك) Break : (فُگَسْ عندي البريك) .

وفي استعمال دارج اخر، يقولون واصفين تفقيس البيض : (البيض فُگَسْ)، وفي اللغة :((إذا مات الميت ، يقال : فقس فقوسا))(١٤٨) و ((فقس الرجل وغيره يفقس فقوسا : مات، وقيل : مات فجأة، وفقس الطائر بيضه فقسا : أفسدها، وفقست البيضة يفقسها : إذا فضخها، لغة في فقصها، أي كسرها وبالسين ايضا))(١٤٩) . وفي مادة (فقص) : ((وفقص البيضة أي كسرها، وبالسين ايضا))(١٥٠) .

ان استعمال (فُگَسْ)، لوصف تعطل (Break) المفاجئ، تبدو الدقة فيه واضحة وذلك لاهمية هذا الجزء من اجزاء محرك السيارة في حفظ حياة السائق أو الراكب، إذ لم يؤيد الاستعمال اطلاق هذه الكلمة على عطل الاجزاء الاخرى منها، وعنصر المفاجئة في المادة الفصيحة كان حاضرا في هذا الاستعمال الدارج ومتطابقا مع (مقتضى الحال) الذي عبر عنه السائق أو المتكلم عند وصف

حالة العطل المفاجئ لـ(Break)، وإذا كانت دقة العربية تقتضي استعمال (فقس) للتعبير عن نهاية حياة الانسان أو الحيوان، فالدقة نفسها ظلت ماثلة في المراد العامي من وصف عطل تلك الآلة .

وأما كلامهم : (فَكَّسْ البيض)، فثمة تطور حدث في الدلالة العامية، إذ يعني عندهم عملية تفقيس البيض وخروج الافراخ منه . وفي الفصيحة، يعني : (الافساد) و (الكسر) و (الفضخ)، وكأن الاستعمال الدارج ركز على ما سيؤول اليه كسر البيض أو فضخه، وهو خروج الافراخ إلى الحياة جراء ذلك، وهي حياة لم تكن الا على حساب (افساد) البيض أو كسره، وهو ما ذهب اليه الاستعمال الفصيح الذي انصب على وصف الفعل في ذاته لا على ما آل اليه .

على أن العامية اقتصرت على نطق (فُكَّسْ) و (فَكَّسْ) بالسين لا بالصاد، اما الفصيحة فاستعملت اللفظتين (فقس ، وفقص) .

فلو :

وعندهم : (فلو)، يقولون مثلاً : فلان طلع (فِلُوْ) من الحمام . أي خرج عريانا مجردا عن ملابسه كلها نادراً، أو لباسه الخارجي فقط غالباً. وفي الفصيحة: الفلاة: المفازة، وهي الأرض الخالية(١٥١).

فالعامية استعارت هذا المعنى في وصف الارض المقفرة إلى العاقل المذكر المتجرد عن ملابسه .

وللعرف الاجتماعي اثره في هذا الاستعمال الدارج، أعني : ان ثمة تساهل في الموقف وفي النظرة إلى سلوك المذكر لا نجده مع المؤنث سواء فيما نحن بصدده أو في غيره .

فنك :

من ذلك : (فنك)، يقول متكلم لمخاطب موجود على مسافة مكانية منه متحديا : (فِنَّكْ) تحصل على ما عندي أو ما في يدي . بمعنى : ليس بمقدورك ان تتحرك وتتقدم إليّ فتحصل على ما عندي، وفي الفصيحة :((فنك، يفنك، فنوكا، إذا لزم مكانه لا يبرح))(١٥٢) و ((الفنك، التعدي، والفنك : اللجاج . . . وفنك في امره : ابتزه ولج فيه وغلب عليه))(١٥٣) .

فالصلة بين المعنيين الدارج والفصيح ملاحظة عند التدقيق، وقد حاولت العامية ان تضفي دلالة اخرى مستمدة من ذلك المراد، وهو التحدي الموجه من المتكلم نحو المخاطب .

ومما يجدر ذكره هنا، ما وجدته في مادة (فكن) : ((وتفكن، تأسف، وتلهف، وقيل : هو التلهف على الشيء يفوتك بعدما ظنت، أنك ظفرت به، وقيل : هو التنّدم))(١٥٤) .

ان هذا المعنى ليس ببعيد عن المراد العامي، يؤيد ذلك، التقارب بين مادتي (فنك) و (فكن) في الدلالة التي نحن بصدد ارجاع معنى اللفظ الدارج اليها، ويؤكده ما نص عليه يعقوب بن السكيت بوجود قلب مكاني بين هاتين المادتين(١٥٥) .

قرم :

وعندهم : (قَرَّمْ)، يقولون مثلاً : (قَرَّمتْ) ملابسي . وهو قص أو تقطيع ما يلزم من قماش القميص أو السروال أو غيرهما لكي يتناسب مع حجم لابسها أو طوله .

وفي مادة (قرم) ((القرم : ان يقرم من انف البعير جليده للسِّمة، أي تقطع قطعة فيبقى اثرها فتلك السَّمة : القرمة والقرمة والقطيعة التي قطعت قرامه))(١٥٦) .

و ((القاف والراء والميم، اصل صحيح، يدل على حز أو قطع في شيء . . . ومنه القرامة، وهو ما لزق بالتنور من الخبز . وسمّي بذلك لانه يقرم من التنور، أي ينحى عنه))(١٥٧) .

وواضح ان (قطع الشيء) هو المعنى الجامع بين الدلالتين الفصيحة والعامية .

قرمد :

وفي هذه اللهجة (الگَرْمَدِيدْ)، بالجيم القاهرية، وهو (البخيل)، وفي الفصيحة : (القرميد)، هو الاجر، وهو الحجر(١٥٨) . وقد ذكر بعضهم ان الكلمة معربة، وهي رومية الاصل تكلم بها العرب من اهل الشام قديماً، وتعني عندهم : اجر الحمامات . . . والقرمد : الصخور(١٥٩).

و ((حوض مقرمد إذا كان ضيقا))(١٦٠) . وقيل في بعض صفات جسم المرأة ((المقرمدة الرفغين الضيقتهما وذلك لالتفاف فخذيها))(١٦١) .

القرميد الفصيحة – إذن – تحولت إلى (الگَرْمَدِيدْ) في هذه اللهجة بزيادة دال اخرى، فكأنها شبهت البخيل لشدة بخله وامساكه بالحجر لا يخرج منه شيء، وأفادت من صفة الضيق أيضا للتعبير عن حالة البخل .

قرمط :

يقولون مثلا : (فلان گَرْمَطْ مبلغ الدين) الذي عليه، عندما ارجعه . أي انه رد الدين بطريقة الاجزاء القليلة، أي بالتقسيط المتتابع، وهي طريقة لا ترضي بعض الدائنين . و ((القرمطة : دقة الكتابة وتداني الحروف والسطور))(١٦٢) .

والقرمطة : هي التقارب والتقليل والتصغير في الشيء سواء في الكتابة، أو المشي، أو غيره(١٦٣) .

ان المراد العامي له صلة واضحة بما تدل عليه الكلمة الفصيحة ولكن فيه تضييق واضح في استعمالها إذ اقتصرت على المعنى الذي بينته.

قزع :

وفيها : (امْگَنْزِعْ)، وتقال لمن جلس في مكان عال، مرتفع، ويقولون كذلك : (ام گَنْزوعه)، للفتاة ذات الشعر الطويل المرتفع، وعلى وفق هذا جاء المثل الشعبي (أزُوعَـهْ ولا أنْطِيهْ لام گَنْزوعه) (١٦٤).

وفي اللغة : القنازع من الشعر هو الطويل، المرتفع، واصله من (القزع)، والنون زائدة(١٦٥)، وعن الأصمعي، ان العامة تقول ((إذا اقتتل الديكان فهرب احدهما : قنزع الديك ، وانما يقال : قوزع الديك، إذا غلب ولا يقال : قنزع))(١٦٦)، وقوزع الديك أو قنزع، يقصد به تنفيشه برائله، وهي قنازعة(١٦٧)، والبرائل ما ارتفع من ريش الطائر(١٦٨) .

ويبدو ان الاستعمال الدارج اخذ مما تؤديه مادة (قزع) و (قنزع) صفة الطول والارتفاع لوصف المتفرّد الجالس في المكان العالي، أو لوصف صاحبة الشعر الطويل المرتفع المتطاير مع الريح .

قفخ :

ويقال : (كُفَخْتَهْ)، بمعنى : ضربته بيدي على رأسه، أو جبهته . أما في الفصيحة، فالفعل بالقاف (قفخ) ((قفخ : كسر الرأس شدخا))(١٦٩)، وهو ((ضرب الشيء اليابس على مثله ، يقال : قفخ هامته))(١٧٠)، و ((لا يكون القفخ إلا على الرأس أو على شيء اجوف))(١٧١)، قال رؤبة(١٧٢) من (الرجز) :

* قفخا على الهام وبجا وخضا (١٧٣)

ان الضرب على الهامة، أو الرأس هو نقطة الالتقاء

مع الفصيحة، على ان ضرب الشيء اليابس بمثله لا تؤديه (كُفَخْ) الدارجة، إذ يقتصر استعمالها على ضرب الرأس باليد غالبا .
و اقتراب القاف بحسب نطق هذه اللهجة من الكاف مخرجا وصفة اباح تطوره إليه، فكلاهما شديد مهموس وهما من اصوات اقصى الحنك(١٧٤) .

قور :

وعندهم : (المُكْوار)، وهو عبارة عن عصا غليظة تنتهي بشيء مكور، ذي لون أسود، يتكون من مادة (القير) المعروفة، وهو سلاح شخصي، يستعمله حامله للدفاع عن نفسه، وقد استعمله العراقيون ضد الاحتلال البريطاني في ثورة العشرين، ومثلهم مشهور في ذلك : (الطُّوبْ احْسَنْ لو مكواري) أي : ان (المكوار) أفضل من (الطوب) وهو المدفع الإنجليزي، ويصفون عتلة (تغيير السرعة) في السيارة بـ(الگير)، يقولون مثلا : ان (گير) السيارة عاطل، أي ان مغيّر السرعة حدث فيه عطب، و (الگير) : عتلة مكونة من قضيب معدني فيه طول ينتهي بشيء مكور لونه اسود في الغالب يمسك به السائق عند مزاولته تغيير سرعة سيارته .
والاصل الفصيح هو من (قور) التي تدل على (استدارة في شيء)(١٧٥) . و (القارة) : التل، أو الجبل وهو ما ارتفع من الارض مع استدارة ، والدار القوراء : المستديرة المرتفعة(١٧٦)، والقارة : الصخرة السوداء . . . والأكمة(١٧٧) .
أما مادة (قير) ففيها : القار : شيء اسود، تطلى به السفن والابل يحول دون نفاذ الماء، وقيل : هو الزفت، وقير فلان الحب، والزق، والقيار : صاحب القار(١٧٨)، وقد ذكر الجوهري (القار) في مادة (قور)(١٧٩) .
فـ(الارتفاع) و (الاستدارة) و (اللون الاسود) في المادة المعجمية الفصيحة صفات متوافرة في (المگوارْ) و (الگيرْ)، وهذا ما بينته، استمدها الاستعمال الدارج في كربلاء من الفصيحة لتسمية هاتين الآلتين .

قوز :

ومنها : (قُوزِيْ)، يقولون مثلا : (لَحَمْ قُوزِيْ)، و (قوزي) كلمة تركية، تعني : الخروف الصغير، أي : الحمل ، وهي مستعملة في اللهجة العامية المصرية ايضاً(١٨٠)، ولكنني اجد ان للكلمة اصلا عربياً، فـ(القوز) في الكلام الفصيح ، يعني : كثيب مشرف من الرمل فيه استدارة ، وصغر تشبه به ارداف النساء (١٨١) .
والصلة بين الدلالتين العامية، والفصيحة قريبة، فالقوز : كثيب الرمل المتجمع الذي فيه بعض علو، و (القُوزِيْ) في العامية : لحم الخروف الصغير الذي يقدم في المطاعم العراقية ومنها الكربلائية، ويبدو ان الحضارة فعلت فعلها في تطور دلالة (قوز) من الكثيب إلى هذه الدلالة الدارجة لكنها ظلت مشدودة بسبب إلى لغة البادية لغة العرب الفصيحة حفظها المعجم العربي في مادة (قوز) وما زالت مستعملة في الكلام الدارج بشيء من تغيير اصاب معنى الكلمة ومبناها .
وبناء على ما تقدم، فاني ارى ان ليس ما يمنع ان يكون (الحمل) قد شبه بالكثيب الصغير المستدير بجامع الصغر، والنعومة وشي من استدارة، و انتقلت الكلمة، اعني (القوزي) إلى التركية، ثم عادت ولكن إلى العامية العربية بهذا المعنى الجديد فتكلم بها العراقيون والمصريون نقلاً عن الاتراك

الذين كانوا يحكمون هذين البلدين .

كتت :

وعندهم : (كـتْ)، يقولون مثلاً : فلان (كَتْ) القصة كلها، أي تحـدث بحديث هـادىء، هامس،متسارع، لكنه متتابع، ومتدرج، ومفصل، في حال مخصوصة مؤسسة على القصد والعمدية، ويقولون أيضاً : الماء (ايكِتْ) من الصنبور، و (كَتْ) العرق من جبهة فلان غضباً ، اوخوفاً، أو حرجاً، أو من شدة الحر .

وفي الفصيحة:((كتت القدر والجرة ونحوهما تكت كتيتا اذا غلـت، وهـو صـوت الغليان، وقيل:هو صوتها اذا قل ماؤها، وهو اقل صوتا، واخفض حالا من غليانها اذا كثر ماؤها، كأنها تقول:كتكت... وكت البكر يكت كتا وكتيتا اذا صاح صياحا لينا ... التكات: التزاحم مع صوت ...وكت الكلام في اذنه يكته كتا : ساره به،كقولك: قر الكلام في اذنه . ويقال : كتني الحديث واكتنيه، وقرني واقرنيه،أي : اخبرنيه كما سمعته... ورجل كت كـات: كثيـر الكـلام، يسرع الكلام ويتبع بعضه بعضا، والكتيت والكتكتة: المشي رويدا، والكتيت والكتكتة: تقارب الخطو في سرعة)) (١٨٢) وبلطافة وتدقيق يمكن رد المراد العامي في عموم استعمالاته و تفاصيله المذكورة مع شيء من التعديل الى المعـاني الفصيحة :(الصوت القليل، المنخفض،اللين الذي فيه تزاحم)و(كثرة الكلام،وتتابعه والسرعة فيه)و(المشي الذي فيه ارواد وتقارب في الخطو)معما تؤديه من تداعيات دلالية مجردة وحسية فرعية ومتلازمة.

كود :

يقولون مثلاً : (كُـودْأروحْ) لبيت الله، أو (كُودْ) احصل على وظيفة . والمعنى : هو تمني حصول المراد الذي يتصف عادة بصعوبة تحققه .

وهذا المعنى تدل عليه مادتا (كود)، و (كيد) في اللغة، ففي (كود) : ((كود : كلمة كأنها تدل على التماس شيء ببعض العناء ، يقولون : كاد يكود كودا ومكادا))(١٨٣)، و (كيد) تدل ((على معالجة الشيء بشدة، ثم يتسع الباب، وكله راجع إلى هذاالأصل ... الكيد : المعالجة، قالوا : وكل شيء تعالجه ، فأنت تكيده))(١٨٤) ، وكذلك يقال ((هو يكيد بنفسه، أي يجود بها، كأنه يعالجها لتخرج، والكيد : صياح الغراب بجهد ...، والكيد : ان يخرج الزند النار ببطء وشدة ، والكيد : القيء ... والكيد : الحرب))(١٨٥).

فالمكر، ومعالجة النفس، وصياح الغراب، والقيء، واخراج الزند النار، والحرب، كلها معان مفتقرة إلى الالتماس والمعالجة المتدرجة، والصعوبة، وبعد المرام وشدته، وهذا ما حاولت العامية التعبير عنه بصيغة (كُود) التي بينتها .

كوم :

ويقولون : (كُـومْ) تراب، و (كُومَةْاخبار)، أو (كُومَةْاشياء)، فالكلمة عندهم تدل على كثرة الشيء، وتجمعه، وتنصب الدلالة الفصيحة على تجمع الشيء وارتفاعه(١٨٦)، يقول ابن فارس :((الكاف والواو، والميم اصل صحيح يدل على تجمع في شيء مع ارتفاع فيه، من ذلك : الكوماء، وهي الناقة الطويلة السنام، والكوم : القطعة من الابل، والكومة الصبرة من الطعام وغيره)(١٨٧) و(كومت كومة، بالضم، إذا جمعت قطعة من تراب ورفعت رأسها، وهو في الكلام بمنزلة قولك

: صبرة من طعام)(١٨٨.)
إن كثرة الشيء بحسب القصد الدارج يكون تجمعه سبباً من اسبابها، وكذلك ارتفاع الشيء في المعنى الفصيح يستلزم تجمعهايضاً، فالصلة قريبة وممتدة من الاصل الفصيح .

لبك :

وفيها قولهم مثلاً : (يِلبِچ)، أي يتحدث بكلام سريع، مختلط، مضطرب، غير مفهوم . وفي اللغة : امر لبك : مختلط(١٨٩)، و ((اللام والباء والكاف، اصل صحيح يدل على خلط شيء بشيء، ويقال : لبكت على فلان الامر البكه، إذا خلطته عليه))(١٩٠) .

قال الشاعر زهير(١٩١) من (البسيط) :

رد القيان جمال الحي فاحتملوا
إلى الظهيرة امر بينهم لبك

لزز :

وعندهم (لِزْ)، يقولون مثلاً : (لز السيارة على الرصيف)، أو (لِزْ) الأثاث على هذا الجانب من الغرفة، بمعنى : اجعل السيارة أو الاثاث محاذياً، أو بجانب الرصيف، أو بهذا الجانب من الغرفة . وهذا المعنى نفسه تؤيده الفصحى فـ((اللز : لزوم الشيء بالشيء))(١٩٢)، و((اللام والزاي اصل يدل على ملازمة وملاصقة، اللز : هو الصاق شيء بشيء، ولا زززته : لاصقته))(١٩٣)، و((يقال للبعيرين اذا قرنا في قرن واحد قد لزا))(١٩٤)، قال جرير(١٩٥) من (البسيط) :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس(١٩٦)

لكد :

وفي هذه اللهجة قولهم : (لِكَدْني)، أي : ضربني بخاصرتي بيده، في الغالب، أو بطرف عصاه احياناً، أي ان موضع الضرب في الاستعمال الدارج، انما يكون في مكان معين من الجسم، وهو الخاصرة، وهو مطلق في الفصيحة غير مقيد بمكان، فـ(اللكد)، هو الضرب باليد(١٩٧)، و((الملكد : شبه مدق يدق به))(١٩٨) .

لكك :

وعندهم (المَلْكوكه)، وهي نوع من الحلويات تصنع في البيوت الكربلائية، يكون التمر جزءاً رئيساً منها، إذ يدق ويسحق إلى حد التداخل والامتزاج، ويضاف اليه لوز وسمسم، ويقدم على شكل قطع صغيرة احياناً، والاصل الفصيح هو من : (لك)، التي تدل على التداخل في الشيءوالازدحام فيه(١٩٩) .
ومن ذلك : ((اللكيك : اللحم المتداخل في العظام، واللكاليك : البعير المكتنز اللحم، ويقال : التك القوم، ازدحموا))(٢٠٠)، و((اللكك : الضغط، قال : لككته لكا))(٢٠١) .

لمظ :

وفيها (ايْلامُظْ)، وهو الاخراج المتكرار لطرف اللسان نحو الشفتين،و مسحهما به، عند مشاهدة ما لذّ من طعام أو عند شمّ رائحته لانفتاح الشهية مثلاً . وفي الفصيحة : ((اللمظ : ما تلمظ به لسانك على اثر الاكل، وهو الاخذ باللسان مما يبقى في الفم والاسنان، واسم ذلك الشيء لماظة))(٢٠٢) .
كذلك، هو اخراج ((بعض اللسان، يقال : تلمظ الحية، إذا اخرج لسانه ، كتلمظ الاكل . وانما سمي تلمظا لان الذي يبدو من اللسان فيه يسير كاللمظة، ويقولون : شرب الماء لماظا، إذا ذاقه بطرف لسانه))

.(٢٠٣)

والتلمظ : التذوق (٢٠٤)، و((لمظ يلمظ بالضم لمظا ... اخرج لسانه فمسح به شفتيه، وكذلك التلمظ))(٢٠٥) .

لوص :

ويقولون مثلاً : (ايْلَوُّصْ) في كلامه . والامور (مليوصه) . أي ان كلامه مضطرب، غير مترابط، وغير متزن، وان الامور مختلطة ومتشابكة وغير منسجمة، فالكلام ليس في منحى أو اتجاه واحد، وكذلك الامور . هذا المعنى في الوصف الدارج يعد سلبيا إذا ما قيس بالدلالة الفصيحة الايجابية، ففيها ((فلان يلاوص الشجرة إذا اراد قلعها بالفأس . فتراه يلاوص في نظره يمنة ويسرة، كيف يأتي لها وكيف يضربها))(٢٠٦)، وعلى هذا، فان المعنى العامي استمدفي الاصل الفصيح، من تعاور النظر واختلافه . ان المثال المستشهد به في النص المذكور من اجل توضيح المعنى الفصيح لـ(يلاوص) يفهم منه ثنائية الفعل والمزاولة، طرفاها : الرجل الذي يلاوص الشجرة من اجل قلعها، والشجرة نفسها التي كأنها تأبى ذلك وتتمنع، وواضح ان صيغة (يفاعل) تدل على المشاركة (٢٠٧)، وهي صيغة لم اجد لها حظا من الاستعمال في كلام اهل كربلاء الدارج فيما يخص مرادهم الذي اوضحته .

ملص :

ومنها قولهم مثلاً : (انْمَلَصْ) الشيء، بمعنى : انفصم، وانفك، بفعل فاعل، أو مصادفة، وهو المعنى نفسه الذي تقدمه اللغة الفصيحة، يقال : ((املصت المرأة، والناقة، أي : رمت بولدها، وانملص الشيء من يدي، أي : انفلت انسلالاً)) .(٢٠٨)

و((يقال : ما كدت اتخلص من فلان، وما كدت اتملص من فلان ... ورشاء ملص إذا كانت الكف تزلق عنه، ولا تستمكن من القبض عليه))(٢٠٩) . فدلالة (الرمي) تفيد القصد والعمد في الفعل، ومعنى (الانفلات) ينساق نحو المصادفة واللا إرادة، وإلى هذا ذهبت الدلالة الدارجة .

ومما يجدر ذكره هنا، ان اللهجة العراقية عموما، كثيراً ما تستعمل صيغة (انفعل)، نحو(انملص) و(انقتل)، لكي تؤدي معنى الفعل المبني للمجهول في الفصيحة الذي له فيها صيغ متعددة تبعا لابنية الفعل وزمانه وتجرده والزيادة فيه(٢١٠) .

ان دلالة (انْمَلَصْ) اتسعت في اللهجة المنطوقة في كربلاء، فلم ترتبط بالناقة، والمرأة كما هو الاصل الفصيح، على ان في اللغة الفصيحة نفسها مندوحة لتوسيع دلالة الفعل (انْمَلَصَ) واستعماله، يدل على ذلك النص الذي ذكرته آنفاً، اعني : (انملص الشيء من يدي) أي : انفلت مني، فالشيء، كلمة عامة مطلقة الاستعمال .

ملط :

ويقولون مثلا : (امْلُطْ) الحائط بالطين، وهذا البناء (مَمْلُوطْ) بالصبغ، ويقصد به : وضع الطين، أو الصبغ منشورا، أو منثوراً على الحائط أو البناء وتغطيتهما .

وفي المعجم أجد صيغة ((الملاط : الذي يملط ارحام الخيل، والابل، يدهن يده ثم يدخل بها حياء الناقة، لينظر أي شيء في رحمها من داء، وربما نزع ولدها ... والملاط : الذي يملط الطين))(٢١١)، والملاط بالتخفيف ((هو الطين الذي يجعل بين سافي البناء))(٢١٢) .

الصلة واضحة بين الدلالتين الدارجة والفصيحة . وما زالت البيئة العربية ، والحيوان خاصة يرفدان العربية بكثير من المفردات والدلالات التي سرعان ما يصيبها التحويل أو التحوير لتنسجم مع ما يستجد من الحضارة وما زالت اللهجة العراقية المنطوقة في كربلاء ، مشدودة الصلة إلى الينابيع الفصيحة تنهل منها على الرغم مما يطرأ عليها من تعديل على المستوى النطقي ، والصرفي والدلالي ، وهو ما يعبّر عنه الدرس اللغوي الحديث بالتطور اللغوي الذي لابد من الوقوع فيه .

مهل :

وعندهم : (مَهَلَّ)، يطلب احدهم من الاخر الاستعداد، والتهيؤ، انتظارا للانطلاق إلى شأن ما، قائلا له : (مَهَلَّانْرُوحْ) أي : لكي نذهب على مهل ، والمهل بتسكين الثاني ((السكينة والوقار ، تقول مهلا يا فلان ، أي : رفقا وسكونا ، لا تعجل ويجوز التثقيل))(٢١٣) أي : بتحريك الثاني بالفتح (مَهَل)، قال جميل بن معمر(٢١٤) في (مَهْل) بالتخفيف، أي التسكين ،من(الطويل):

يقولون : مهلا يا جميل ، وانني
لأقسم ما لي عن بثينة من مهل

و ((اتمهل، اتمـهلالاً، أي : اعتدل، وانتصب، والاتمـهلال ايضا : سكون وفتـور))(٢١٥)، والاستمهال : الانـتـظـار(٢١٦) .مـا يتضح ان الاستعمال الدارج اقرب إلى الفصيح الذي يؤديه الفعل المزيد بثلاثة احرف، اعني : (اتمهل)، من المصدر المجرد (مهلاً) .

ميش :

تقول المرأة مثلاً : (مَيَّشِتْ) شعري . وهو ان تصبغ خصلة من شعرها وتترك اخرى، وهكذا، و(الميش) في الفصيحة : ان تميش المرأة القطن بيدها، وذلك بان تقطعه، وتؤلفه(٢١٧)، والميش كذلك : ان يخلط الشيء بالشيء وينفش(٢١٨) . واصل المعنى : ((هو : ميش الناقة، وهو أن يحلب بعض ما في الضرع، ويترك بعضه، فإذا جاوز الحلب النصف فليس بميش))(٢١٩).

إذن . امامنا دلالتان فصيحتان . احداهما تتصل بمعالجة القطن والاخرى : ترتبط بطريقة حلب الناقة . وواضح ان الدلالة الاولى اقرب إلى المعنى الدارج للميش، فوجه الشبه قوي بين(القطن) و (الشعر)، فضلا على الشبه في طريقة معالجة كل منهما، على ان الدلالة الاخرى ليست ببعيدة عن المعنى الدارج المشار اليه، ذلك ان حلب بعض ما في ضرع الناقة، وترك بعضه الاخر، ينسجم مع طريقة (ميش الشعر) الانفة الذكر .

واقول مستطرداً : ان (ميش القطن) في الفصيحة نفسها يعد تطورا دلاليا على المستوى الحضاري للمجتمع العربي في حقبة ما قياسا إلى (ميش الناقة) في حقبة يبدو انها اسبق ، ثم انه يؤدي بنا إلى تأكيد القول على ما للحيوان ، وبخاصة الجمل والناقة في الحياة العربية من اثر وتأثير وهو ما جسده القرآن الكريم ايضا عندما دعا العرب إلى التفكير بالخلق متخذا من هذا الحيوان مثلا ، فقد قال عز وجل {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}(٢٢٠) .

إن تبني منهج النظر في التطور التاريخي لدلالة الكلمة ، والتقاط الاشـارات المتفرقة لاصحاب المعاجم التي تنص على هذه الناحية يسهل تفسير كثير مما نحن بحاجة اليه في درس اللغة العربية الفصحى على مستوى الدلالة المعجمية خاصة ، وفي درس اللهجات الدارجة الحديثة التي لا يمكن

ان تكون منقطعة الصلة عن تلك اللغة الأم ، على الرغم من توالي الزمن وتطور الحياة .

نبج :

وفيها : (نبُگ)، وهي ان يتحدث الشخص بكلام غير متزن، ودون استئذان، وبطريقة مفاجئة في موقف يحسن فيه السكوت، اما في الفصيحة : النباج هو الذي يتكلم بما يشاء بصوت رفيع(٢٢١)، و ((انبج الرجل، إذا خلط في كلامه))(٢٢٢) .

ان الكلام غير المنضبط أو التخليط فيه، هو المأخوذ من الفصيحة نحو الدلالة الدارجة التي تصرفت فيه على وفق ما بينته .

أما تطور الجيم إلى (گ) فربما تسوغه القوانين الصوتية لانها في حاله تطورها إلى هذا الصوت لم تزد على ان تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلا مقتربة من اقصى الحنك، ثم ان هذا التحول يعززه اتفاق هذين الصوتين في الصفة، فكل منهما مجهور(٢٢٣) .

نبص :

ومنها : (نُبَصْ)، يقولون مثلاً : لماذا (نُبَصِتْ) ؟ وهي كلمة تقال في حال مخصوصة، وهي ان يتحدث احدهم إلى اخر في موضوع خاص، ثم يتدخل طرف ثالث، تطفلاً وتسرعاً، ودون استئذان، في الحديث، الامر الذي يغضب المتحدث، فيبادر مخاطبا المتطفل بغضب : لماذا تعجلت، أو تدخلت ؟ ، لماذا (نُبَصِتْ) ؟ .

وفي الفصيحة : ((نبص الغلام ينبص بالطائر، نبصا، يضم شفتيه ثم يدعوه))(٢٢٤) و ((كذلك نبص الطائر، والصيد، والعصفور ينبص نبيصاً، إذا صوت صوتا ضعيفا وما سمعت له نبصة، أي كلمة، وما ينبص بحرف، أي : ما يتكلم، والسين اعلى))(٢٢٥)، أي : نبس، يقال :((نبس الرجل إذا تكلم فاسرع . . . والنبس : المسرعون في حوائجهم))(٢٢٦) .

ان شيئا من دقة النظر، ولطافة التفكير يسهل من رد الدلالة العامية إلى الفصيحة، فـ(الصوت الضعيف)، والكلمة الواحدة التي تدل عليها (نبصة)، والسرعة في الكلام، وطلب الحوائج، تطورت في الاستعمال الدارج إلى التدخل المفاجيء، والمشاركة في حديث خاص دون تأن أو استئذان، والذي أراه ان ما تؤديه مادة (نبس) الفصيحة هو الاقرب إلى المراد العامي، وتطور السين إلى الصاد تبيحه الصلة الصوتية، وعلاقة التقارب بينهما صفة ومخرجاً، فكل منهما رخو مهموس وكلاهما من اصواتالصفير(٢٢٧)

ندس :

يقال مثلا : (انْدِسَهْ)، وهو ان يقوم بلكم صاحبه، أو بضربه بلطافة، وخفة، وسرعة وبما لا يثير انتباه طرف ثالث حاضر، وما ذاك الا من باب التنبيه على التزام امر يتسق مع مقتضى الحال . وغالبا ما يكون موضع الضربة، أو اللكمة، خاصرة الرجل وبواسطة احد اصابع اليد، وفي اللغة :((رجل ندس وندس، أي فطن، والندس السريع الاستماع غالبا للصوت الخفي، ويكون الصوت المخفي ندساً))(٢٢٨) .

و ((الندس : الذي يخالط الناس ويخفي عليهم . . . وتندس عن الاخبار : بحث عنها من حيث لا يعلم بها، مثل : تحدست، وتنطست . والندس : الفطنة والكيس . الاصمعي : الندس : الطعن))(٢٢٩) . قال جرير (٢٣٠) في الطعن من (

الطويل) :

*ندسنا أبا مندوسة القين بالقنا

ويظهر ان الاستعمال الدارج اصابه التخصيص في الدلالة، لكنه ما زال متصلا بسبب إلى الفصيحة، ذلك ان مقتضى الحال في الواقع اللهجي المشار اليه يتطلب (الخفاء) وسرعة (الفهم) و (السمع) و (الفطنة) . وإذا كانت المطاعنة بالرماح من معاني الندس في الفصيحة، فانها في هذا الحدث اللهجي تؤديبالاصابع على انه آلة للتفاهم في موقف خاص، ومحاولة للانسجام في الحوار فيكون مبدأ (الخفة) الذي اشار اليه الاستعمال الفصيح هو السائد المطلوب.

هوش :

من ذلك : (هوشَهْ)، وهي كلمة تطلق على شجار يحدث بين اثنين احياناً أو اكثر، وهو الغالب، ومن ذلك ايضا (هايْشَهْ)، وهي كلمة يسمون بها حيوان (البقرة) .

وفي مادة (هوش) : هوشوا : اختلطوا، والهوش : العدد الكثير، وهم متهاوشون، أي : مختلطون(٢٣١)، و ((الهوشة : الفتنة والهيج والاضطراب، والهرج، والاختلاط))(٢٣٢) .

قال ذو

الرمة(٢٣٣)يذكر الديار وقد فعلت الرياح فعلها بها فخلطت بعض اثارها ببعض ،من (الطويل) :

تعفت لتهتان الشتاء، وهوشت

بها نائجات الصيف شرقية كدرا

والهوش ايضا الذين اجتمعوا في الحرب(٢٣٤)، وتوصف الابل بـ (الهوائش) وذلك ((إذا أغير على مال الحي فنفرت الأبل واختلط بعضها ببعض، قيل هاشت تهوش فهي هوائش))(٢٣٥) .

ان مادة (هيش) الفصيحة ايضاً تكاد تؤدي المعاني نفسها في (هوش)، فـ((الهيشة مثل : الهوشة : وهاش القوم يهيشون هيشا، إذا تحركوا، وهاجوا))(٢٣٦) .

ان الصلة بين الدارجة والفصيحة في استعمال دلالات مادتي (هوش) و (هيش) واضحة، فالاختلاط، والعدد الكثير، والفتنة، والهيج، والاضطراب،و الهرج، والاجتماع في الحرب، والحراك، في الفصيحة هي معان متطلبة، ومستدعاة في الدارجة لوصف حالة الشجار أو العراك، وهي من لوازم طبيعة حيوان البقرة الذي اسماه العامة في هذه اللهجة : (هايشة)، وكان اهل الفصيحة يطلقونه على الابل كما بينت .

الخاتمة

وبعد...فقد خلصت إلى جملة من النتائج لعل من أهمها ما يأتي :

١- اتضح أن كثيراً من الألفاظ الدارجة المحكية في محافظة كربلاء أصلها فصيح، أصابه شيء من لحن من جهة المبنى، وتطور من جهة الدلالة غالباً، ولكنه في كلتا الحالتين ما زال ممتداً بسبب إلى ذلك النسب الأصيل، وانسجاماً مع ذلك فإن وصف بعض الدارسين لهذه الألفاظ بأنها من (العامي الفصيح) أو (الفصيح العامي) أو (العامية الجديدة) يتسق مع ما انتهى إليه البحث.

٢- يلفت الباحث نظر الأدباء والشعراء والكتّاب إلى أن بعض الألفاظ الدارجة التي قد يظن انها عامية، هي ليست كذلك، وهنا يدعوهم إلى استعمالها في أعمالهم الإبداعية، ورفع الضيم عنها، وإعادتها إلى حضيرة الألفاظ الفصيحة بشيء من التهذيب والتفصيح .

٣- بيّنت الدراسة أن محافظة كربلاء مثلّت بيئة ثقافية واجتماعية ولغوية مشتركة وشاملة، إذ التقت فيها عناصر سكانية منحدرة من عشائر كثيرة هاجرت إليها من وسط العراق وجنوبه، كان من ابرز مظاهرها انصهار العادات الكلامية بمظاهرها المتنوعة، صوتية، وصرفية، ودلالية في مستوى لهجي يكاد يكون واحداً، ظهر فيه جلياً الاتساق في مبنى اللفظ الدارج وفي دلالته.

٤-توصلت إليأن إبراز المقام أو ما يسمى العنصر الاجتماعي، أي واقع الحال التي تقال فيه اللفظة أو تستعمل فيه العبارة الدارجة، له أهميته في فهم دلالتها، والوصول إلى مراد المتكلم وقصده الحقيقيين، وهذا ما انتهجته في تفسير بعض الاستعمالات العامية، إذ كنت أقدم بين يدي اللفظة الدارجة، إشارة إلى مقتضى الحال أو المقام التي قيلت فيه، وتبياناً للعلاقة الاجتماعية أو النفسية أو الثقافية بين طرفي الكلام، اعني : المتكلم والمخاطب أو السامع، على أن هذا المنحى المعجمي الذي دفعتني إليه ضرورة التفسير لم أجده في التدوين المعجمي الفصيح، إذ اكتفى أصحاب المعاجم بإيراد معنى اللفظة دون الكشف عن محيطها الدلالي، أو الاجتماعي، على الأقل فيما أنا بصدده من الألفاظ المدروسة في هذا البحث، كالذي اشتملت عليه مادة (سكك)، و(نبص) مثلاً من مواقف كلامية دارجة استدعت ذكر ذلك المحيط أو المقام التي قيلت فيه ومما انتهيت إليه هنا أيضاً أن البحث في اللغة الحية، أو إحدى لهجاتها المعاصرة يكون بلا شك الأصدق أو الأقرب إلى حقيقتها عندما تكون محكية .

٥- ظهر أن بعض الأصوات التي وصفها سيبويه أنها قبيحة وهي مسموعة خارج الحيز اللغوي الفصيح ما زالت تنطق في هذه اللهجة المعاصرة كصوت (چـ) مثلاً، مما يلفت النظر العلمي الى التفكير في الصلة بين اللهجات العربية بعضها ببعض حديثها وقديمها من جهة، وبين هذه اللهجات ولغتها الأم الفصيحة من جهة أخرى .

٦- أحسب أن هذه الدراسة كانت الأكثر إيضاحاً في التأكيد على أن بعض الظواهر اللغوية التي تتصف بها اللغة العربية الفصيحة من تغيير في الصيغة لغرض دلالي، ونحت، وتضييق في الاستعمال وتعميم فيه، وقلب مكاني، وتضاد، وانتقال من محسوس إلى مجرد، هي نفسها ملاحظة في هذه اللهجة، فقد وقعت عين الباحث على ألفاظ دارجة كثيرة تثبت ذلك منهاماورد في (آنى)، و(بول) و(جخخ) و(زبق) و(فطس) و(خرط) و(سكك) و(جمعر) و(سرفن) و(زيق) و(سحن)، ولا عجب من الاتساق بين الفصيحة ولهجتها مادام الأصل واحداً، والناطق بهما هو هو، ثم إن اللغة أية لغة، ظاهرة اجتماعية، انتظام ظواهرها العامة مع غيرها واشتراكها فيها، وتوافرها عليها، أمر ثابت يمتد إلى مستواها العامي كذلك .

الهوامش

١) ينظر : معجم البلدان ٧/ ٢٢٩ .

٢) ينظر : المصدر نفسه، والجزء والصفحة انفسها، ولسان العرب (كربل) ١٢/ ٦٠ .

٣) ينظر : نهضة الحسين ٦ .

٤) ينظر : موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء ٨/ ١٠ .

٥) المرجع نفسه ١٠ ، ١٣ – ١٥ .

٦) ينظر : المرجع نفسه ١٣ .

٧) ينظر : كربلاء – الحلة – الديوانية قبل ٧٥ عاماً – حياتهم – تقاليدهم – قبائلهم – اشعارهم .

٨) ينظر : كربلاء في الذاكرة ١٣ .

٩) يظن انه تصغير على طريقة العامة لـ (طاروق) وهو اسم علم .

١٠) ينظر : كربلاء – الحلة – الديوانية قبل ٧٥ عاماً، حياتهم، تقاليدهم، قبائلهم، اشعارهم١٢ ، وكربلاء في الذاكرة ١٥٤ .

١١) ينظر : كربلاء في الذاكرة ١٧٣ – ١٧٦ .

١٢) ينظر : المرجع نفسه ١٥٧ – ١٦٧ .

١٣) ينظر : المرجع نفسه ١٥١ – ١٥٤ .

١٤) المرجع نفسه ٢٨٨ – ٢٨٩ .

١٥) العين (لهج) ٣/ ٣٩٠ – ٣٩١ ، وينظر : لسان العرب (لهج) ١٢ / ٣٤٠ .

١٦) مقاييس اللغة (لهج) ٥ / ٢٥١ .

١٧) في اللهجات العربية ١٦ ، وينظر : فصول في فقه العربية ٧٢ .

١٨) ينظر : في اللهجات العربية ١٦ ، والتطور اللغوي التاريخي ٢٨ ، ولهجة تميم واثرها في العربية الموحدة ٣٠.

١٩) ينظر : المراجع انفسها ، والصفحات انفسها .

٢٠) اللهجات العربية ، بحوث ودراسات ٥٢٨ .

٢١) ينظر : المرجع نفسه ، المقدمة .

٢٢) ينظر : المرجع نفسه ٦ .

٢٣) المرجع نفسه ٥٥ .

٢٤) المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

٢٥) ينظر : العربية تاريخ وتطور ٣٥٩ .

٢٦) ينظر : المرجع نفسه ٣٠٢ .

٢٧) ينظر : المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

٢٨) ينظر : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ١٧١ ، والصراع الأدبي بين القديم والجديد ١٩٨ .

٢٩) ينظر : معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية ٦ .

٣٠) ينظر : المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

٣١) ينظر : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ١٥٧ .

٣٢) العربية ولهجاتها ١٠٨ .

٣٣) مشكلات اللغة العربية ١٨٤ .

٣٤) العربية تاريخ وتطور ٣٥٣ .

٣٥) المرجع نفسه ٣٥٨-٣٥٩ .

٣٦) ينظر : التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق ٩٢-٩٣ .

٣٧) العربية تاريخ وتطور ٣٥٩ . وقد تصدى باحثون كثر قدماء ، فضلا عن محدثين، عرب وعراقيين، إلى دراسة اللهجات العربية الدارجة ، ومنها العراقية . تنظر اسماء المؤلفات ، والبحوث ومؤلفيها ، بهذا الشأن تفصيلا : اللهجات العربية بحوث ودراسات ١٦-٤٨ .

٣٨) ينظر : ديوانه ٧٦ .

٣٩) لسان العرب (أزا) ١ / ١٣٨ .

٤٠) (أزا) الصحاح ٥ / ١٨١٢ ، وينظر : لسان العرب ١ / ١٣٧ .

٤١) العين (وزي) ٧ / ٣٩٩ .

٤٢) ينظر : المصدر نفسه (أزي) ٧ / ٣٩٨ .

٤٣) المصدر نفسه (أنا) ٨ / ٤٠١ - ٤٠٢ .

٤٤) (أني) لسان العرب ١ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وينظر : مقاييس اللغة ١ / ١٤١ .

٤٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (أنا) ١ / ٧٨ .

٤٦) ينظر : ديوانه ٢٥ .

٤٧) ينظر (بزع) : العين ١ / ٣٦٣ ومقاييس اللغة ١ / ٢٤٤ ، والصحاح ٣ / ٩٨٨ .

٤٨) ينظر : ديوانه ٩١ .

٤٩) العين (بول) ٨ / ٣٣٨ .

٥٠) مقاييس اللغة (بول) ١ / ٣٢١ - ٣٢٢ .

٥١) ينظر : لسان العرب (بول) ١ / ٥٤٢ .

٥٢) الصاحبي في فقه اللغة ٤٦١ ، وينظر : المزهر في علوم اللغة وانواعها ١ / ٤٨٢ .

٥٣) البيت بلا نسبة . ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ٤٦١ .

٥٤) ينظر : المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

٥٥) لسان العرب (حسس) ٣ / ١٧٠ .

٥٦) ينظر : ديوانه ٤٩ .

٥٧) لسان العرب (عنن) ٩ / ٤٣٧ .

٥٨) ينظر (تفل) العين ٨ / ١٢٣ ، والصحاح ٤ / ١٣٤٨ ، ولسان العرب ٢ / ٣٨ .

٥٩) مقاييس اللغة (تفل) ١ / ٣٤٩ .

٦٠) ينظر : لسان العرب (جخخ) ٢ / ١٩٢ .

٦١) (جخخ) العين ٤ / ١٣٢ ، وينظر : لسان العرب ٢ / ١٩٢ .

٦٢) ينظر : لسان العرب(جخخ)٢/ ١٩٢ .

٦٣) ينظر : المصدر نفسه ، والمادة والجزء والصفحة انفسها .

٦٤) ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

٦٥) شرح كتاب سيبويه ٥ / ٣٨٩ .

٦٦) الكشكشة : لهجة عربية مذمومة ، وهي في ربيعة ، ومضر ، وتعني : ابدال كاف الخطاب شينا ، فيقولون : منش ، وعليش . ومنهم من يصل بالكاف شينا ، فيقول : عليكش . ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ٣٥ ، والمزهر في علوم اللغة وانواعها ١ / ٢٢١ ، ودراسات في فقه اللغة ٦٧-٦٨ .

٦٧) اللغة العربية معناها ومبناها ٥٤ .

٦٨) ينظر (جمعرة) : مقاييس اللغة ١ / ٥٠٨ ، ولسان العرب ٢ / ٣٦٠-٣٦١ .

٦٩) القلب المكاني : جعل حرف مكان حرف تقديما وتأخيرا ، وهو يحفظ ولا يقاس عليه ، لانه لم يطرد ، كقولهم : جذب وجبذ ، وراء ورأى . ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ٣٢٩ . وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع ٣ / ٤٤٠ ، وشرح الشافية ١ / ٢١ .

٧٠) دراسة الصوت اللغوي ٣٩ .

٧١) ينظر : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٣ / ٤٤٠-٤٤٢ . وذهب الخليل إلى أن القلب المكاني يكون قياسيا في حالة إذا ادى تركه إلى اجتماع همزتين ، وذلك في كل اسم فاعل من الفعل الاجوف المهموز اللام الثلاثي ، نحو : اسم الفاعل : جاء، ميزانه الصرفي (فال) بعد القلب والحذف وهو مأخوذ من الفعل : جاء . ينظر : شرح الشافية ١ / ٢٤-٢٥ .

٧٢) ينظر : مقاييس اللغة (الخنبصة) ٢ / ٢٥١ .

٧٣) ينظر (خبص) : مقاييس اللغة ٢ / ٢٤١ ، ولسان العرب ٤ / ١٥ .

٧٤) ينظر : مقاييس اللغة (خرط) ٢ / ١٧٠ .

٧٥) لسان العرب (خرط) ٤ / ٦٤ .

٧٦) ينظر (خرط) : العين ٤ / ٢١٦ ، ولسان العرب ٤ / ٦٥ .

٧٧) العين (خرط) ٤ / ٢١٥ .

٧٨) (خرط) الصحاح ٣ / ٩٤١ ، وينظر : لسان العرب ٤ / ٦٥ .

٧٩) لسان العرب (خرط) ٤ / ٦٥ .

٨٠) ينظر (خطم) الصحاح ٤ / ١٥٥٥ ، ولسان العرب ٤ / ١٤٦ .

٨١) لسان العرب (خطم) ٤ / ١٤٦ .

٨٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (خطم) ١ / ٥١ .

٨٣) المصدر نفسه ، والمادة والجزء والصفحة انفسها .

٨٤) لسان العرب (أنف) ١ / ٢٣٩ .

٨٥) ينظر المصدر نفسه (رغم) ٥ / ٢٥٩ .

٨٦) ينظر (دمك) العين ٥ / ٣٣٥ ، والصحاح ٤ / ١٣٠٢ ، ولسان العرب ٤ / ٤٠٦ .

٨٧) لسان العرب (دمك) ٤ / ٤٠٦ .

٨٨) العين (ربخ) ١ / ٢٥٧ ، وينظر : الصحاح ١ / ٣٦٩ .

٨٩) العين (ربخ) ٤ / ٢٥٧ .

٩٠) مقاييس اللغة (ربخ) ٢ / ٤٧٥ ، وينظر : لسان العرب ٥ / ١٠٥ .

٩١) العين (لدم) ٨ / ٤٦ .

٩٢) مقاييس اللغة (لدم) ٥ / ٢٤٣ .

٩٣) لسان العرب (لدم) ١٢ / ٢٦٥ .

٩٤) ينظر : الاصوات اللغوية ٥٨ ، ٦٠ ، ودراسات في فقه اللغة ٢١٧ .

٩٥) ينظر : الاصوات اللغوية ٧٥ .

٩٦) (زبق) الصحاح ٤ / ١٢٢٩ ، وينظر : لسان العرب ٦ / ١٥ .

٩٧) ينظر : لسان العرب (زبق) ٦ / ١٥ .

٩٨) ينظر (زرف) : الألفاظ ٧٨ ، ومقاييس اللغة ٣ / ٥١ ، والصحاح ٣ / ١١٣٠، ولسان العرب ٦ / ٣٨ .

٩٩) لسان العرب (زرف) ٦ / ٣٨ .

١٠٠) ينظر : ديوانه ١٤٨ .

١٠١) ينظر (زلم) العين ٧ / ٣٧١ ، ولسان العرب ٦ / ٧٥-٧٦ .

١٠٢) لسان العرب (زلم) ٦ / ٧٥ - ٧٦ .

١٠٣) ينظر (زمخ) العين ٤ / ٢١٢ ، وأصلاح المنطق ٦٥٤ ، والألفاظ ١١٠ .

١٠٤) ينظر : لسان العرب (زمخ) ٦ / ٧٨ .

١٠٥) العين (زخر) ٤ / ٣٣٨ .

١٠٦) ينظر : مقاييس اللغة (زخر) ٣ / ٥٥ .

١٠٧) المصدر نفسه (زخر) ٣ / ٥٠ .

١٠٨) العين (زيق) ٥ / ١٩٥ .

١٠٩) ينظر : الأصوات اللغوية ٧٥ .

١١٠) ينظر : الكتاب ١ / ٤٠٥-٤٠٦ ، وسر صناعة الاعراب ١ / ٦٩ . أما المحدثون فيجعلونه صوتا غاريا مجهورا يجمع بين الشدة والرخاوة ، وقد اسموه بـ (الصوت المزدوج) . ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٧٨ .

١١١) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ٣٦ .

١١٢) البيت بلا نسبة في : الصاحبي في فقه اللغة ٣٦ ، ولكنه مذكور في ديوان أبي الأسود الدؤلي ١١٩ ، والرواية في الديوان :

ولا أقول لقدر القوم قد غليت

ولا أقول لباب الدار مغلوق

و قد نسبته بعض المصادر إلى : حاتم الطائي . ينظر : ما تلحن فيه العامة ١٢١ .

١١٣) ينظر : الابدال ٢٣٩-٢٤٥ .

١١٤) (سحن) العين ٣ / ١٤٤ ، وينظر : لسان العرب ٦ / ٢٠٠ .

١١٥) ينظر : لسان العرب (سحن) ٦ / ٢٠٠ .

١١٦) ينظر : لسان العرب (سرفن) ٦ / ٢٤٥ .

١١٧) ينظر : العين (سرنف) ٧ / ٣٤٢ .

١١٨) ينظر : (سكك) العين ٥ / ٢٧٢ ، واصلاح المنطق ٣٩١ ، والالفاظ ٦ ، ولسان العرب ٦ / ٣١٠ .

١١٩) ينظر : ديوانه ٩٨ .

١٢٠) ينظر (سكك) الصحاح ٤ / ١٣٠٦ ، ولسان العرب ٦ / ٣١٠ .

١٢١) سبق ان ذكرنا ان سيبويه يصف صوت (چ) بانه (الكاف) التي بين (الجيم والكاف) . ينظر : مادة (جخخ) من هذا البحث ، وينظر : الاصوات اللغوية ٧٣ ، واللغة العربية معناها ومبناها ٥٤ .

١٢٢) ينظر (شطب) العين ٦ / ٢٣٩ ، ولسان العرب ٧ / ١١٥ .

١٢٣) مقاييس اللغة (شطب) ٣ / ١٨٦ .

١٢٤) ينظر : العين (شطب) ٦ / ٢٣٩ .

١٢٥) لسان العرب (شطب) ٧ / ١١٥ .

١٢٦) المصدر نفسه ، والمادة نفسها ٧ / ١١٦ .

١٢٧) المصدر نفسه ، والمادة والجزء والصفحة انفسها .

١٢٨) ينظر : الصحاح (عصفر) ٢ / ٦٤٤ .

١٢٩) ينظر : لسان العرب (عصفر) ٩ / ٢٤٢ .

١٣٠) ينظر : الصحاح (عصفر) ٢ / ٦٤٤ .

١٣١) ينظر : مقاييس اللغة (عصفر) ٤ / ٣٦٩ .

١٣٢) ينظر (طحر) العين ٣ / ١٦٩ ، والصحاح ٢ / ٦٢٢ ، ولسان العرب ٨ / ١٢٩ .

١٣٣) مقاييس اللغة (عرت) ٤ / ٣٠٢ .

١٣٤) ينظر (عتر) العين ٢ / ٦٥ ، ولسان العرب ٩ / ٣٢ .

١٣٥) لسان العرب (عرت) ٩ / ١١٩ . ومما يجدر ذكره ، ان هذه المادة ، اعني : (عرت) لم تذكر في معجم (العين) ، على الرغم من منهجه الذي يقوم على تقليب الكلمة الثلاثية على وجوهها المستعملة .

١٣٦) (عتل) ، العين ٢ / ٦٩ ، وينظر لسان العرب ٩ / ٤٠ .

١٣٧) الدخان ٤٧ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٥٤٦ .

١٣٨) ينظر : الاصوات اللغوية ٥٩-٦٠ ، ودراسات في فقه اللغة ٢١٧ .

١٣٩) ينظر : (العنفص) الصحاح ٣ / ٨٧٧ ، ولسان العرب ٩ / ٢٨٩ .

١٤٠) مقاييس اللغة (العنفص) ٤ / ٣٧٠ .

١٤١) ديوانه ١٠٤ . وعجز البيت فيه برواية : داعرة تدنو إلى الداعر .

١٤٢) ينظر (فشخ) العين ٤ / ٧٢ ، ولسان العرب ١٠ / ٢٦٥ .

١٤٣) ينظر : لسان العرب (فشخ) ١٠ / ٢٦٥ .

١٤٤) ينظر (فشش) مقاييس اللغة ٤ / ٤٤٠ ، والصحاح ٣ / ٨٥٣ .

١٤٥) لسان العرب (فشش) ١٠ / ٢٦٥- ٢٦٦ .

١٤٦) ينظر (فطس) العين ٧ / ٢١٦ ، والألفاظ ١٣١ ، ولسان العرب ١٠ / ٢٨٨ .

١٤٧) سبق ان بينت المسوغ الصوتي لتطور (القاف) الفصيحة إلى (گ) ، ينظر : مادة (زيق) من هذا البحث .

١٤٨) العين (فقس) ٥ / ٨٣ .

١٤٩) لسان العرب (فقس) ١٠ / ٣٠٣ .

١٥٠) المصدر نفسه (فقص) الجزء والصفحة انفسها .

١٥١) ينظر : العين (فلو) ٨ / ١٣٣ ، ولسان العرب (فلا) ١٠ / ٣٣٠ .

١٥٢) العين (فنك) ٥ / ٣٨٣ .

١٥٣) لسان العرب (فنك) ١٠ / ٣٣٥ .

١٥٤) المصدر نفسه (فكن) ١٠ / ٣٠٩ .

١٥٥) ينظر : اصلاح المنطق ، والالفاظ ، ٣٢٦ ، ولسان العرب (فنك) ١ / ٣٣٦ .

١٥٦) العين (قرم) ٥ / ١٥٩ ، وينظر : الصحاح ٤ / ١٦٢٨ .

١٥٧) مقاييس اللغة (قرم) ٥ / ٧٥ .

١٥٨) ينظر : الصحاح (قرمد) ٢ / ٤٥٧- ٤٥٨ .

١٥٩) لسان العرب (قرمد) ١١ / ١٣٢ .

١٦٠) المصدر نفسه، والمادة والجزء والصفحة انفسها .

١٦١) المصدر نفسه،والمادة والجزء والصفحة أنفسها.

١٦٢) العين (قرمط) ٥ / ٢٥٨ .

١٦٣) ينظر (قرمط) الصحاح ٣ / ٩١٤ ، ولسان العرب ١١ / ١٣٤

١٦٤) انطيه، اي :اعطيه ،قلبت العين في (اعطى) الى نون (انطى)،وقلب العين نونا لهجة عربية قديمة تسمى (الاستنطاء)،ينظر:فصول في فقه العربية ٩٩.ازوعه،بمعنى: الفظه من جوفي واتقياه متكرهاله.يضرب هذا المثل لمن يتجرع الشيء وهو كاره له، ثم يرميه بعد ان يفسده لئلا يحصل عليه شخص اخر،وما ذاك الا بسبب الكراهية ،وانتفاء الالفة ، وحالة العداء هذه تحدث غالبا بين الام وزوجة ابنها الشابة.

١٦٥) ينظر : مقاييس اللغة (القنازع) ٥ / ١١٨ .

١٦٦) لسان العرب (قزع) ١١ / ١٥٣ .

١٦٧) المصدر نفسه والمادة والجزء والصفحة أنفسها .

١٦٨) المصدر نفسه (برأل) ١ / ٣٥٦ .

١٦٩) العين (قفخ) ٤ / ١٥٤ ، وينظر : الالفاظ ٧١ .

١٧٠) (قفخ) المقاييس ٥ / ١١٣ ، وينظر : لسان العرب ١١ / ٢٥٢ .

١٧١) الصحاح (قفخ) ١ / ٣٧٧ .

١٧٢) ديوانه ٨١ .

١٧٣) البج : القطع ، وشق الجلد واللحم عن الدم

،ينظر :مقاييس اللغة(بج)١/ ١٧٣. والوخض : الطعن غير الجائف ،قال الاصمعي:اذاخالطت الطعنة الجوف ولم تنفذ فذلك : الوخض .وقال ابـو زيـد :الـبـج مثل الـوخـض ، ينظر :لسان العرب(وخض)١٥/ ٢٤٣.

١٧٤) ينظر : الاصـوات اللغوية ٣٣ ، ٧٥ ، ودراسات في فقه اللغة ٢١٦ .

١٧٥) ينظر (قور) العين ٥ / ٢٠٦ ، ومقاييس اللغة ٥ / ٣٧ .

١٧٦) ينظر : المصدر نفسه، والجزء والصفحة انفسها، ولسان العرب ١١ / ٣٤٢-٣٤٣ .

١٧٧) ينظر : لسان العرب (قور) ١١ / ٣٤٢-٣٤٣ .

١٧٨) ينظر : المصدر نفسه (قير) ١١ / ٣٦٩ .

١٧٩) ينظر : الصحاح (قور) ٢ / ٦٨٥ .

١٨٠) ينظر : اللهجات العربية (بحوث ودراسات) ٤٦٨ .

١٨١) ينظر (قوز) العين ٥ / ١٩٢ ، ولسان العرب ١١ / ٣٤٥ .

١٨٢) (كت) : لسان العرب ١٢ / ٢٥-٢٦ .

١٨٣) مقاييس اللغة (كود) ٥ / ١٤٥ .

١٨٤) المصدر نفسه ، والمادة نفسها ٥ / ١٤٩ .

١٨٥) مقاييس اللغة (كيد) ٥ / ١٤٩ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٧٢٩ .

١٨٦) ينظر : العين (كوم) ٥ / ٤١٨ .

١٨٧) مقاييس اللغة (كوم) ٥ / ١٤٨ .

١٨٨) الصحاح (كوم) ٤ / ١٦٣٩ .

١٨٩) ينظر (لبك) العين ٥ / ٣٧٧ ، والألفاظ ٤٠١ ، وأصـلاح المنطق ٥٣٨ ، والصحاح ٤ / ١٣١٧ .

١٩٠) مقاييس اللغة (لبك) ٥ / ٢٣١ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ٢٢٧ .

١٩١) ينظر : ديوانه ١٦٤ .

١٩٢) العين (لزز) ٧ / ٣٥٠ .

١٩٣) مقاييس اللغة (لزز) ٥ / ٢٠٤ .

١٩٤) لسان العرب (لزز) ١٢ / ٢٧١ .

١٩٥) ينظر : ديوانه ٩٨ .

١٩٦) ابن اللبون : ابن الناقة ذات اللبن الدائم الغزير . البزل : جمع البزول ، وهو البعير إذا فطر نابه وانشق ، وهو دليل البلوغ واستكمال القوة . القناعس : الناقة العظيمة ، الطويلة السنمة ، وقيل : الجمل . ينظر : لسان العرب (لبن) ١٢ / ٢٢٧ ، و (بزل) ١ / ٤٠٠ ، و (قعس) ١١ / ٢٤٤ .

١٩٧) ينظر : مقاييس اللغة (لكد) ٥ / ٢٦٤ .

١٩٨) (لكد) الصحاح ٢ / ٤٦٧ . وينظر : لسان العرب ١٢ / ٣٢٠ .

١٩٩) (لكك) ، ينظر : العين ٥ / ٢٨١ ، والصحاح ٤ / ١٣١٧ .

٢٠٠) مقاييس اللغة (لكك) ٥ / ٢٠٨ .

٢٠١) لسان العرب (لكك) ١٢ / ٣٢٢ .

٢٠٢) (لمظ) العين ٨ / ١٦٤ . وينظر : الألفاظ ١٨٤ ، والصحاح ٣ / ٩٨٤ .

٢٠٣) مقاييس اللغة (لمظ) ٥ / ٢١١ .

٢٠٤) ينظر : لسان العرب (لمظ) ١٢ / ٣٢٧ .

٢٠٥) المصدر نفسه ، والمادة والجزء والصفحة أنفسها .

٢٠٦) (لـوص) العين ٧ / ١٥٦ . وينظر : اصلاح المنطق ٥٩١ ، والصحاح ٣ / ٨٨٧ .

٢٠٧) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ١ / ٩٨ .

٢٠٨) (ملص) العين ٧ / ١٣١ . وينظر : الصحاح ٣ / ٨٨٨ .

٢٠٩) اصلاح المنطق ٦٥٥ . وينظر : الصحاح (

ملص) ٣ / ٨٨٨ .

(٢١٠) ينظر : شرح جمل الزجاجي ١ / ٥٦٨ – ٥٧١ .

(٢١١) العين (ملط) ٧ / ٤٣٥ ، واصلاح المنطق ١٠١ – ١٠٢ .

(٢١٢) (ملط) العين ٧ / ٤٣٥ . وينظر : الصحاح ٣ / ٩٧١ .

(٢١٣) العين (مهل) ٤ / ٧٥ .

(٢١٤) ينظر : ديوانه ١٧٥ .

(٢١٥) (مهل) الصحاح ٤ / ١٤٨٢ . وينظر : لسان العرب ١٣ / ٢١٠ .

(٢١٦) ينظر : الصحاح ٤ / ١٤٨٢ .

(٢١٧) ينظر : العين (ميش) ٦ / ٢٩٤ .

(٢١٨) مقاييس اللغة (ميش) ٥ / ٢٨٩ .

(٢١٩) المصدر نفسه، والمادة والجزء والصفحة أنفسها . وينظر : لسان العرب (ميش) ١٢ / ٢٣٣ .

(٢٢٠) الغاشية ١٧ .

(٢٢١) ينظر (نبج) العين ٦ / ١٥٣ ، ومقاييس اللغة ٥ / ٢٧٩ .

(٢٢٢) لسان العرب (نبج) ١٤ / ١٤ .

(٢٢٣) ينظر : الأصوات اللغوية ٦٨ – ٦٩ ، ومدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٦١ .

(٢٢٤) العين (نبص) ٧ / ١٣٧ .

(٢٢٥) لسان العرب (نبص) ١٤ / ٢٠ .

(٢٢٦) المصدر نفسه (نبس) والجزء والصفحة أنفسها .

(٢٢٧) ينظر : الاصوات اللغوية ٦٧–٦٨ .

(٢٢٨) (ندس) العين ٧ / ٢٣٠ ، وينظر : اصلاح المنطق ١٤٤ ، والالفاظ ٣٩٩ ، والصحاح ٢ / ٨٢٦ .

(٢٢٩) لسان العرب (ندس) ١٤ / ٩١ .

(٢٣٠) ينظر : ديوانه ١٧٨ .

(٢٣١) ينظر (هوش) العين ٤ / ٦٧–٦٨ ، ولسان العرب ١٥ / ١٥٩ .

(٢٣٢) لسان العرب (هوش) ١٥ / ١٥٩ .

(٢٣٣) ينظر : ديوانه ٦٥ .

(٢٣٤) لسان العرب (هوش) ١٥ / ١٥٩ .

(٢٣٥) العين (هوش) ٤ / ٦٨ .

(٢٣٦) الصحاح (هيش) ٣ / ٨٦٣ .

مصادر البحث ومراجعه

– القرآن الكريم .

– الابدال – أبو الطيب اللغوي (ت ٣١٥هـ) – تحقيق : عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

– إصلاح المنطق – أبو يوسف بن إسحاق (ابن السكيت ت ٢٤٤هـ) – تحقيق : فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٦م .

- الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣ ، ١٩٦١م .
- الألفاظ – أبو يوسف بن إسحاق (ابن السكيت ت٢٤٤هـ) – تحقيق : فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١ ، ١٩٩٨م .
- تاج اللغة وصحاح العربية المسمى (الصحاح) – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) – اعتنى به : مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي – دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
- التطور اللغوي التاريخي – إبراهيم السامرائي، معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث – محمد ضاري حمادي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، جمهورية العراق، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١م .
- دراسة الصوت اللغوي – احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- دراسات في فقه اللغة – صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م .
- ديوان أبو الأسود الدؤلي – تحقيق : محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت ط١ ١٩٧٤م .
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس – شرح وتعليق : محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر ١٩٥٠م .
- ديوان امرئ القيس – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٥٨م .
- ديوان جرير بن عطية – بشرح : محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق : نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩م .
- ديوان جميل بن معمعمر – تحقيق : حسين نصار، دار مصر للطباعة، مصر ط٢ ١٩٦٧م .
- ديوان الحطيئة – تحقيق : نعمان أمين طه، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١ ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م .
- ديوان رؤبة بن العجاج (مجموع أشعار العرب) – تصحيح وترتيب : وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٢ ١٩٨٠م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى – صنعه : ثعلب (ت٢٩١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٤م .
- ديوان الشماخ بن ضرار – تحقيق : صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر ١٩٦٨م .
- ديوان الطرماح – تحقيق : عزة حسن، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٦٨م .
- ديوان العجاج – برواية الأصمعي وشرحه (ت ٢١٦هـ)، تحقيق : عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت ١٩٧١م.
- ديوان الفرزدق – نشر : عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٣٦م .
- ديوان ابن مقبل : تميم بن أبيّ – تحقيق : عزة حسن، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م .
- سر صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق : لجنة من الأساتذة، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١ ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م .

- شرح جمل الزجاجي – أبو الحسن علي بن مؤمن (ابن عصفور الاشبيلي ت ٦٦٩هـ) – قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه : فوّاز الشعّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
- شرح شافية ابن الحاجب – محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ) – تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت د. ت.
- شرح كتاب سيبويه – الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي (ت ٣٦٨هـ) – تحقيق : احمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٦٣م .
- الصراع الأدبي بين القديم والجديد – علي العماري، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م .
- العربية تاريخ وتطور – إبراهيم السامرائي، مكتبة المعارف، بيروت، ط١ ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
- العربية ولهجاتها – عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .
- العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) – تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- فصول في فقه العربية –رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط٢ ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .
- في اللهجات العربية –ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣ ، ١٩٦٥م .
- الكتاب – سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) – تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢ ١٩٧٧م .
- كربلاء – الحلة – الديوانية قبل ٧٥ عاماً – حياتهم – تقاليدهم – قبائلهم – أشعارهم – حسين علي النجفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١ ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م .
- كربلاء في الذاكرة – سلمان هادي الطعمة، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٨م .
- لسان العرب – ابن منظور (ت ٧١١هـ) – نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه : علي شيري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- اللغة العربية معناها ومبناها – تمام حسان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢ ١٩٧٩م .
- اللهجات العربية (بحوث ودراسات) – جمع وإعداد : ثروت عبد السميع، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة – غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٨م .
- ما تلحن فيه العامة – أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) – تحقيق : رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي– القاهرة، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م .
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢ ، د. ت.

- مشكلات اللغة العربية - محمود تيمور، المطبعة النموذجية، القاهرة د.ت.

- معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية مستمدة من القرآن والحديث ومعاجم اللغة ومأثورها - عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١ ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

- معجم البلدان - ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٥٥م .

- مفردات ألفاظ القرآن الكريم - العلامة الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) - تحقيق : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٠م .

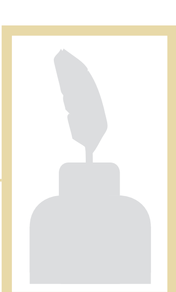
- موسوعة العتبات المقدسة (قسم كربلاء) - جعفر الخليلي، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- مقاييس اللغة - أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران، د. ت.

- نهضة الحسين - هبة الدين الشهرستاني، مطبعة دار السلام، بغداد ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م .

- النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، إيران د. ت.

- همع الهوامعفي شرح جمع الجوامع - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق : احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .





حاتم الصكر قارئا النص الشعري

صيحة الجرار في كتاب البئر والعسل مثلا

د. علي محمد ياسين

جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية

قسم اللغة العربية

الملخّص

سعى الدكتور حاتم الصكر لتسخير المناهج المعاصرة من أجل الارتقاء بالنص الأدبي العربي والثقافة المبدعة له، وقد اجتهد في كتابه (البئر والعسل) لجعل العمل النقدي ممارسة مفتوحة تحاور مكونات الظاهرة الأدبية عبر كيفية خاصة بالقراءة تمنح النص المقروء صورة جديدة، هي غير ما كانت عليه.

تعتمد قراءة الصكر في الأنموذج المختار، وهو قصيدة (صيحة الجـرار لحسب الشيخ جعفر) بالأساس على متابعة علاقة البنيات النصية فيما بينها لتشييد معنى النص، ورصد طريقة انفتاح تلك البنيات على نصوص أخرى ذات علاقة. يهدف هذا البحث إلى محاولة الكشف عن آلية تلك القراءة واشتراطاتها في ذلك الانموذج بغية إبراز فاعلية الصكر بوصفها قارئا منتجا لنص نقدي مواز للأصل الإبداعي، ومسهما – في الوقت نفسه- في العمل على إرساء ثوابت جديدة للخطاب النقدي الحديث بالعراق.

المقدمة



الصكر كاتب ومثقف عراقي، ولد ببغداد سنة ١٩٤٥م، وتتلمذ بمدارسها الابتدائية والثانوية، ثم اشتغل في حقلي التعليم والصحافة بعد تخرجّه من قسم اللغة العربيّة بكلية الآداب بجامعة بغداد، وفي العام ١٩٩٥ حصل على شهادة الماجستير من الكليّة ذاتها عن دراسته (تحليل النص الشعري في النقد العربي الحديث) التي نشرت فيما بعد عبر كتابه (ترويض النص) ، ويعدّ الصكرعضوا نشيطا في المشهد الثقافي العراقي منذ مطلع الثمانينيات وحتى منتصف التسعينيّات من القرن المنصرم، إذ رفد الصحافة العراقية والعربية بعشرات المقالات والبحوث المتنوّعة التي جعلته من أكثر الكتاب العراقيين غزارة في النتاج في ثمانينيات القرن الماضي(١)، وفي سنوات الحصار هاجر الأستاذ حاتم عام ١٩٩٦ فيمن هاجر من المثقفين العراقيين متوجّها إلى اليمن ليشتغل بجامعة صنعاء بصفة أستاذ محاضر في كليّاتها الإنسانية المختلفة(٢)وقد نال من هذه الجامعة شهادة الدكتوراه عام ١٩٩٨م عن رسالته التي درس من خلالها الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة(٣)، ثم ظهرت فيما بعد في كتابه الموسوم (مرايا نرسيس) الصادر عن دور نشر متعددة، وقد هاجر الصكر إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة بعد الأحداث التي عصفت باليمن، ولا يزال مقيما هناك.

لقد كان النقد الأدبي هو المجال الأكثر حضورا في الاشتغال الثقافي عند حاتم الصكر، ولعل عودة سريعة إلى قائمة الكتب التي أصدرها خلال العقود الثلاثة الماضية تؤكد ذلك، وهذه الكتب هي :

١/ الأصابع في موقد الشعر –مقدمات مقترحة لقراءة القصيدة– بغداد ١٩٨٦م

٢ / مواجهات الصوت القادم – دراسة في شعر السبعينات– بغداد ١٩٨٧م

٣ / الشعر والتوصيل ، الموسوعة الصغيرة ، بغداد ١٩٨٨م

٤ / البئر والعسل – قراءات معاصرة في نصوص تراثية – بغداد ١٩٩٢ م

٥ / ما لا تؤدّيه الصفة – المقتربات اللسانية والشعرية – بيروت ١٩٩٣ م

٧ / كتابة الذات – دراسات في وقائعيّة الشعر – عمان ١٩٩٤م

٨ / رفائيل بطّي وريادة النقد الشعري ، دراسات ومختارات ، كولونيا ، ألمانيا ١٩٩٥ م

٩ / ترويض النص– تحليل النص الشعري في النقد العربي المعاصر– القاهرة ١٩٩٨م

١٠/ مرايا نرسيس– الأنماط النوعيّة والتشكيلات البنائيّة لقصيدة السرد الحديثة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٩م

١١/ قصيدة النثر في اليمن – أجيال و أصوات– صنعاء٢٠٠٣م

١٢/ انفجار الصمت ، الكتابة النسوية في اليمن ، دراسة ومختارات ، صنعاء ٢٠٠٣م

١٣ / المرئي والمكتوب ، دراسات في التشكيل العربي المعاصر، الشارقة ٢٠٠٧م

١٤ / غيبوبة الذكرى ، دراسات في قصيدة الحداثة ، دبي ٢٠٠٩ م.

١٥ / حلم الفراشة–الإيقاع والخصائص النصية في قصيدة النثر– صنعاء ٢٠٠٤م وعمان ٢٠١٠م.

١٦ / أقوال النور – قراءات بصرية في التشكيل المعاصر– الشارقة ٢٠١٠ م.

١٧/ قصائد في الذاكرة، قراءات استعاديّة لنصوص شعريّة، كتاب مجلة دبي الثقافيّة، دبي ٢٠١١ م .

١٨ / بريد بغداد، دائرة الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة، اكتوبر ٢٠١٢م.

كتاب (البئر والعسل)

إذا ما عدنا للقائمة التي ضمّت كتب الصكر نجد أنّ كتاب البئر والعسل هو الكتاب الرابع ضمن تلك القائمة التي كانت تنتظم وفق وتيرة ستتصاعد في قراءة النص الأدبي مستندة إلى ضوابط منهجيّة عميقة، ممّا لا يمكن أن تكشف عنه إلا دراسة أخرى مستفيضة .

وقد استعار الصكر تسمية العنوان من أحد النصوص التراثية الذي اقتطعه من كتاب (كليلة ودمنة) لعبد الله بن المقفّع وقام بقراءته وتأويله ، مفترضا من خلال نسيجه أن البئر هو المكان الشاسع الذي يحيل إلى الحياة الأرضيّة (الدنيا) في حين يمثّل العسل منها لذّتها الشاغلة والعابرة(٤) ، وبعد استبدال منهجي آخر يقترحه الناقد في مقدمة كتابه المذكور يتحوّل النص إلى بئر أخرى (خبر ما أو حدث أو قصّة[يعاملها] بكونها متونا معروضة لقراءة التأويل لا التقويل)(٥) وعليه فسيكون منهج القراءة الذي كرّسه الناقد في هذا الكتاب هو العسل الذي لا تشبه حلاوته عند القارئ إلاّ حلاوة المستمتع من الدنيا بلذّة عابرة،

وهذا ما يؤكّده قوله : (لقد كان عملي انصياعا لأقدار تلك النصوص، مما جعله نوعا من الاكتفاء بالعسل ، اللذّة التي تتيحها القراءة)(٦)،ولم يخلُ العنوان الرئيس نتيجة للتوجّه النقدي هذا من عنوان آخر فرعي اجترحه الناقد ليرشّح من خلاله تعيينا جنسيا (نقديّا) لما سيقوم به من إجراءات يبرزها العنوان الجانبي المفرّع من العنوان الرئيس للبئر والعسل، متمثلا بعبارة (قراءات معاصرة في نصوص تراثيّة) ويعني هذا : أن الناقد يسعى إلى تطبيق منهج القراءة والتلقي في تناوله للنصوص التي تعرّض لها في هذا الكتاب مؤكّدا بذلك أسبقيّته بين النقاد العرب عموما والعراقيين خصوصا، في تطويعه للمناهج الحداثيّة لقراءة نصوص الثقافة العربية الكلاسيكيّة وتأويلها فضلا عن نصوص أخرى إلى جانبها بآليّات أكثر قدرة وعطاء من المناهج القديمة محاولا أن ينطلق من الداخل النصّي أولا.

لقد توزّع كتاب البئر والعسل على مقدّمة صغيرة وسبع عشرة دراسة (قراءة) تنوّعت فيها النصوص المدروسة وتباينت حدّ الاختلاف ، فمن الحكاية الشعبيّة إلى نصوص كليلة ودمنة ومن نصّ بابليّ قديم إلى قصيدة عراقيّة حداثيّة، ومن الأدب المعتمد (الرسمي) إلى الأدب غير المعتمد (المهمّش) .

غير أنّ هذا التنوع ينتظم آخر الأمر في سلك واحد يعقده الناقد من خلال منهج موحّد في الفحص والمعاينة، وهو منهج التلقّي والتأويل، حيث يقول عن نصوصه المنتقاة تلك بأنّها: (تخضع لفاعلية التأويل الذي يلغي قصد المؤلف؛ لا بهدف فصله عن نصّه فقط دون بديل منتج، بل لمعاينة القصد الحقيقي الذي تبوح به النصوص الخاضعة لمؤثرات هائلة ليس قصد المؤلف إلا واحداً منها في حساب الفروض والاحتمالات ونبش طيّات اللاشعور وطاقة اللغة)(٧).

وقبل الدخول في تحديد مقوّمات منهج القراءة والتلقي وآليّاته عند الصكر ، علينا في البدء تسليط الضوء بشكل موجز جدا على منهج التلقي و مرتكزاته الأساسيّة ومفاهيمه الإجرائيّة من خلال ما تيسّر لنا من دراسات بهذا المجال.

نظرية التلقي – القراءة

تعددت المناهج النقدية وتنوّعت وفقا للزاوية التي تنظر من خلالها للنص الأدبي فإذا كان المنهج النفسي يركّزعلى القضايا الشعورية واللاشعورية التي مرّ بها المبدع، فإنّ المنهج الاجتماعي له زاوية خاصّة، فهو ينظر للنص الأدبي على أنّه مرآة تعكس الواقع بطريقة مباشرة قائمة على المحاكاة حرفيّة كانت أو جدليّة، وإذا كان المنهج البنيوي اللساني يرى في النص الأدبي بنية منعزلة عن السياقات التي أفرزته، وما هذه البنية في النهاية إلاّ نسق من العناصر اللغوية القائمة على علاقات إمّا اختلافيّة أو ائتلافيّة؛ فإن منهج القراءة يعيد منح الثقة للقارئ موليا إياه قيمة عالية أثناء تفاعله مع النص بغية تأويله وخلق صورة أخرى جديدة لمعناه لم تكن موجودة من ذي قبل، وسنحاول في السطور القادمة أن نوجز باختصار شديد لأهم الأسس والمرتكزات التي يستند إليها منهج التلقي عند أهم روّاده ومدارسه .

كان ظهور البوادر الأولى لنظريّة التلقي بألمانيا الشرقيّة أواسط الستينيات في أحضان مدرسة كونستانس وبرلين الشرقيّة ، وقد استندت هذه النظريّة في أصولها المعرفيّة الأولى على الفلسفة الظاهراتيّة التي تؤمن بالذات وبقدرتها على

الحضور في الأشياء وبكون الوعي حادثا ومكتملا بها، لأنّ (إدراك معنى الظاهرة قائم على الفهم ونابع من الطاقة الذاتيّة الخالصة الحاوية له)(٨) وهذا يعني إعادة القيمة للبعد الذاتي في محاولته لتحديد قيمة البعد الموضوعي وجوهره(٩). إذ إنّ نظرية ظاهراتية الفن ترى أنّ العمل الأدبي هو ليس النص الأدبي بحدّ ذاته، وإنّما هو أيضا تلك الأفعال المتعلّقة به من جراء عملية الاستجابة له(١٠)، وبذلك حاولت هذه النظريّة أن تنأى بنفسها عن النظريات الأخرى التي أهملت القارئ بوصفه ذاتا فاعلة في مقاربة النص فراحت تتقصى المعنى من النص بوسائل تعسفيّة كالتركيز على إحالات المرجع الواقعي أو اعتماد الوسائل البيبلوغرافيّة للوصول إلى ما يحيط بالمبدع من ظروف حياتيّة وشخصيّة، أو في عزل النص عن سياقات إبداعه وتلقيه ومعاملته على أنّه بنية لغويّة منغلقة على نفسها .

إنّ أهم ما يمكن أن يميّز المدرسة الألمانيّة هو وجود اتجاهين كبيرين متباينين هما: اتجاه جماعة برلين وجماعة كونستانس، حيث قامت الأولى على مهاد نظري فلسفي يستمد تراثه من النظرية الماركسيّة معتقدة أنّ التواصل الفني يقوم على أربعة عناصر هي : المؤلف والنص والمتلقي والمجتمع ، ولذلك فقد أخذت هذه الجماعة مآخذ عديدة على جماليات التلقي التي دعت لها مدرسة كونستانس ولعلّ أهمّها هي الطريقة التي تفصل فيها بين العلاقة الجدليّة القائمة بين الإنتاج والاستهلاك ، حيث سيؤدي الفصل بين الإنتاج والتلقي إلى فقدان كلّ قيمة وكل طموح من أجل بناء نمط استبدالي جديد(١١).

أما جماعة كونستانس فيعود لها الفضل في وضع الأسس النظرية لما يعرف بـ(جماليات التلقي) التي أعادت للقارئ قيمته الحقيقيّة وجعلته قطبا تقوم عليه نظريتها الفلسفيّة والأدبيّة بل زادت أن جعلته داخلا في العملية الإبداعيّة ذاتها، ولم تول هذه الجماعة شأنا للمجتمع كما فعلت جماعة برلين لأنها ترى أنّ المجتمع موجود في النص وفي القارئ ومتضمّن فيهما(١٢).

إن أهم مُنظّري هذه الجماعة هما هانز روبرت ياوس، وفولفغانغ آيزر، ولعلّ أهم ما جاء به الأوّل هو أفق التوقعات الذي استخدمه في وصف المقاييس التي يتّبعها القرّاء في الحكم على النصوص الأدبيّة في أي عصر من العصور، وهي مقاييس تسهم في تحديد ما هو شعري أو أدبيّ ودرجة اختلافه عمّا هو غير شعري، وغير أدبيّ للغة ذاتها(١٣).

ويرى ياوس أن (الأثر الفنّي لا يمكن أن يكون معزولا بصورة كاملة عن كل ما يمكننا أن ننتظره منه، فالعمل الأدبي يظلّ مكيّفا بالغيريّة أي بالعلاقة بالآخر بوصفه ذاتا مدركة، وحتى في الحالة التي يكون فيها العمل إبداعا لغويّا صرفا يُلغي الانتظار أو يتجاوزه فإنّه يفترض معلومات مسبّقة أو توجيهات للانتظار ...أي أنّ العمل مهما بلغت درجة إغراقه في الجانب الشكلي فإنّه ينطوي على كم من المعلومات المسبّقة التي توجّهه نحو الانتظار والتوقّع، وهذه المعلومات تقاس بها درجة الجدّة والطرافة ومن ثمّ فإنّ أفق الانتظار والتوقّع هو ذاك الذي يتكوّن لدى القارئ بواسطة تراث أو سلسلة من الأعمال المعروفة قبلا، وبالحال الخاصّة التي يتكوّن عليها الذهن ، وتنشأ مع بروز الأثر الجديد عن قوانين جنسه وقواعد لعبته، وكما أنّه لا يوجد تواصل باللغة لا يمكن إرجاعه إلى معيار أو اصطلاح علم اجتماعي

أو مشروط بسياق ، فكذلك لا يمكن أن نتصوّر أثرا أدبيّا يوجد داخل ضرب من الفراغ الإخباري ، ولا يرتهن بأي وضعيّة مخصوصة للفهم ، ووفق هذا المعيار فإن كلّ أثر أدبيّ ينتمي إلى جنس ، وهذا يؤكّد بكل بساطة على أنّ كلّ أثر يفترض أفق توقّع ، أي مجموعة من القواعد سابقة الوجود لتوجيه فهم القارئ وتمكينه من تقبّل تقييميّ)(١٤)ومعنى ذلك أنّ علاقة النص الفردي بسلسلة النصوص الأخرى المنتمية لجنسه تظهر وكأنّها مسلك إبداع وتحرير متواصل لأفق ما، أي أن النص الجديد يستدعي إلى ذهن القارئ أفق انتظار ونظام يعرف من خلال النصوص السابقة وهو نظام يتعرّض دائما لتغييرات وخروقات وإضافات عديدة أو قد يعاد إنتاجه كما هو(١٥).

ونستنتج مما سبق أنّ ياوس افترض في القارئ أن يكون ملمّا بمعرفة النصوص والآليات التي تشتغل وفقا لها تلك النصوص، وهذا لا يتأتى إلاّ من المعاشرة الطويلة التي تمنح القدرة على فرز ما يتراكم من هذه النصوص مثلما تكسب تلك المعاشرة خبرة في رصد تعاقبها الزمني وما يحدث من خروقات وتغيير وتشويش على نظم تلك النصوص والتقاليد الفنيّة التي لازمتها وهي تصل إلى القارئ الحصيف عبر الأزمنة، أما بالنسبة إلى القطب الآخر من أقطاب مدرسة كونستانس (فولفغانغ آيزر) الذي كان له فعل المساهمة في تطوير نظرية التلقي، فإنّ دوره يكمن من خلال تركيزه على مفاهيم الظاهراتيّة وباعتماده على علم النفس واللسانيّات والإنثربولوجية متأثّرا بالفيلسوف البولندي روما ن إنجاردن ومطوّرا لأفكاره فيما بعد(١٦).

أما أهم فرضيات آيزر العامّة بهذا الخصوص فمن الممكن أن نوجزها بما يلي : يفترض من خلال نظريته في جماليّة التلقي مجموعة مفاهيم تتمحور حول التفاعل القائم بين النص والقارئ الذي يضطلع بعمليّة القراءة ، وقد استندت تلك النظرية على ثلاثة عناصر أساسيّة هي :(النص والقارئ والتفاعل بينهما)(١٧)ولم يغفل آيزر مسألة هامة تتعلق بتضافر العناصر المذكورة في عملية بناء المعنى وبناء الذات، وبالنسبة للجانب الأول يرى آيزر أنّ الأهم من المعنى ذاته هو ما يتولّد عنه أو بشكل أدق ما ينبثق أثناء ذلك كلّه من أثر كبير هو في الحقيقة الأثر الجمالي بتنوّعه وتعدده وخصب مجالاته ، أما بخصوص بناء الذات فإنّه يؤكّد على أهمية دور الذات في تلقي المعنى وإنتاج الأثر ومن ثم يكون المعنى هو الأثر الناتج عن الفعل المتبادل بين النص والقارئ(١٨).

ويرى آيزر أيضا أن العمل الأدبي له قطبان : قطب فنّي وقطب جمالي وإنّ قطبه الفنّي يكمن في النص المتحقق عبر النسيج اللغوي وما يضمّنه المؤلف من قيم تعبيرية ومضمونيّة بغية تبليغ القارئ بحمولات معرفية وأيديولوجيّة، وبالتالي فإنّ هذا القطب مشتمل على دلالة ومعنى وبناء شكليّ، أما قطبه الجمالي فهو التحقّق الذي ينجزه القارئ عبر عملية القراءة المتأمِّلة القادرة على تأويل النص وإخراجه من حيّزه المجرّد إلى حيّزه الملموس، وبذلك يكتسب التأويل بوصفه منهجا نقديّا قيمة مضاعفة في إدراك صورة المعنى المتخيّل في النص واستكناه أغواره البعيدة الغور والكشف عن أبعاده المتوارية(١٩).

وينتج عن هذه القطبيّة الثنائيّة أيضا أنّ العمل الأدبي يمكن أن يتطابق مع النص تماما أو مع إدراك النص بينما هو في الحقيقة يشغل منزلة وسطا بين المنزلتين(٢٠).

وخلاصة القول: إنّ ما قامت به مدرسة كونستانس عبر إنجازات ياوس وآيزر قد طرح أبعادا جديدة لمفاهيم العمليّة الإبداعيّة وتكوّناتها عبر السنين، كما أعاد صياغة مفاهيم جديدة حول القراءة وآليّات اشتغالها ودور القارئ في استثمار النص وتأويله مما أعطى لهذه النظريّة ميزتها وتفرّدها.

وبهذا ستكون القراءة عملية استكشاف للأبعاد المجهولة من الأعمال الأدبيّة والنصوص بمختلف أنواعها، وغوص بأغوار طبقات دلاليّة لا يراها غير القارئ الخبير، وهي دلالات ليس من الضرورة أن يكون المنشئ قصد إليها بالمرّة.

القراءة في البئر والعسل (من المفهوم إلى الإجراء)

أولا / المفهوم

إن مفهوم القراءة مفهوم نقدي ذو جذور فلسفية ومعرفية وثيقة الصلة بالفلسفة الظاهراتية وهو بالتالي مفهوم مرتبط ارتباطا وثيقا بمعطيات الحداثة وما بعدها ومن المعروف أنّ موروثنا النقدي لم يألف هذا المفهوم بدلالاته المعاصرة وإن كانت قد تناثرت في ذلك الموروث جهود عديدة من الممكن أن يتلمسها الباحث مبثوثة في بعض ما خلّفه نقادنا الأوائل كمحاولة حازم القرطاجنّي – مثلا– في حديثه عن نظرية للشعر تستند إلى الموازنة بين أربعة عناصر لا يمكن لأي نظرية أن تقوم بعيدا عنها، وهذه العناصر هي: العالم الخارجي والمبدع والنص والمتلقي(٢١) ويصدق الأمر ذاته على نقدنا الأدبي العربي الحديث الذي لم يتداول القراءة مفهوما وإجراء إلّا عن طريق المثاقفة النقدية للأصل الفلسفي كما ورد في نظرية التلقي/ جمالية التلقي عند الغرب ممثلا بمدارسه المختلفة، ولم يكن حاتم الصكر ببعيد عن هذا الحكم فهو قد اطلع بالتأكيد على ذلك الأصل عن طريق الترجمات العربية الكثيرة التي تعرّضت له، ونهل من تلك الترجمات ما يغذّي مفهومه النظري بهذا الشأن وما يعمّق إجراءاته التطبيقية وهو يقرأ النصوص المتنوّعة التي اشتمل عليها كتابه البئر والعسل، وقبل الكشف عن آلية القراءة كإجراء نقدي عند الناقد علينا أولا أن نكشف عن طبيعة التصور الذهني المجرّد لهذا المنهج النقدي ما بعد الحداثي في مستواه النظري اعتمادا على كتابه المذكور فقط دون الاستعانة بكتبه ومؤلفاته وبحوثه الأخرى اللاحقة التي طوّر عبرها تصوّراته الفكرية على مستوى المفاهيم والإجراءات المنهجيّة ولاسيّما مؤلّفيه (كتابة الذات) و(غيبوبة الذكرى) ويأتي تركيزنا على كتاب البئر والعسل وحده انسجاما مع طبيعة هذا البحث الموجز وتوخّيا للدقّة في حصر الدراسة على هذا الكتاب دون غيره لكونه الخطوة الجريئة الأولى التي خطاها ناقدنا في إنجاز فعل القراءة مستثمرا ذوقه الأدبيّ المتفرّد ورؤية نقدية مستندة إلى جوهر الحداثة ومعطياتها.

وفي تصوّره للأمر يرى الصكر أنّ (النصوص ليست خرساء لكي نستنطقها رغم شكلها الخطي المسطور على بياض الورق الذي يغرينا بالمساءلة والتحقق من المعاني. إنها إذ تبدو مأوى لجثث الكلمات الراقدة في سلام ظاهري، تكون في الوقت نفسه قد امتلأت بالنداءات الغامضة الموجهة صوب منطقة القراءة لتستعيد حياتها التي فارقتها بالفراغ من الكتابة)(٢٢)، ولأنّ عملية القراءة النصيّة عند الصكر لا تعني عزل النص عن سياقه العام الذي أنتجه ثم الانحباس بعد ذلك داخل هذا النص بغية استكشاف مسارب دلالاته التي توحي بها قضاياه اللغوية والبلاغية دون الأخذ

بالاعتبار لأهمية العوامل الأخرى التي ساهمت في ظهور النص ، لذلك فقد وجد : (أن الاحتكام إلى النصوص وحدها كأبنية منجزة ماثلة للقراءة ؛ يجعل دور القارئ هامشياً ، فسلطة النص ذات قوة كبيرة تصادر حق القارئ في التأويل وربط علامات الغياب التي يبثّها النص بما يوحي به متنه الحاضر) (٢٣).

وفي ضوء هذه الموازنة التي نستشعر من خلالها ميلا للنص على حساب ما حوله من سياقات وعلاقات يحاول الصكر أن يقارب مفهوما للقراءة مفترضا من خلاله : (أن التحليل التأويلي يفترض أولاً أن ما في النص قد انفصل عن مؤلفه بمعنى أن قصده أصبح بعيداً حين أنجز نصه وأطلقه حرّاً للقراءة وإذا كان ثمة قصد في عملية التأليف فهو لا يكمن في نيّات المؤلف، بل في تلك العلاقات المتشابكة بين ظاهر النص وباطنه، بين الملفوظ والمكبوت، المقول والمسكوت عنه ومهمة المؤوّل هي إظهار القصد النّصي الذي ربما غاب عن المؤلف في ذاته)(٢٤).

ومن هنا تتّضح ضخامة المسؤولية الملقاة على كاهل القارئ بوصفه ركنا أساسيا يدخل في صميم العملية الإبداعيّة لأنّ عملية فهمه للنص لا ترتهن بمعانيه الأُول التي تشير لها المعاني القاموسية الضاغطة، بل تتجاوز ذلك الامتثال لما توحي به معان أخرى حيث لا يصبح النص معها مجموع مفردات وإنما هو جمع من العناصر التي تشكّل علاقات أو تتشكّل بها(٢٥).

ومن خلال هذه الإشارات التي مرّت ، يبدو لنا أنّ مفهوم الصكر للقراءة والتلقي هو مفهوم يرتكز على رؤية حداثية ترفض (الأشكال والأنماط النهائية ، فاليوم لم تعد ثمة حاجة إلى مثال بعد أن غدت كل النصوص أمثلة نفسها ، بل غدت كلّ قراءة لأي منها ، مثالا)(٢٦)، مثلما تدعو تلك الرؤية إلى رفض المصادرة التقليدية للنص الأدبي كما عهدنا ذلك عند أصحاب النقد الكلاسيكي فيما يخصّ وحدة النص ومعناه، مؤكّدة ضرورة إحداث نوع من التفاعل الجدلي بين النص والقارئ ومطوّرة منظورا نقديا يسعى إلى الحوار ويهدف إلى رفع كفاءة المتلقي العادي وتأهيله بما ينسجم والمستجدّات الحضاريّة التي ثقفتها الساحة النقدية العربية بفعل تأثيرات الحداثة و آفاقها الواسعة .

ويبدو أنّ لجوء الناقد حاتم الصكر في هذا الكتاب إلى الممارسة الإجرائيّة للقراءة وتطبيقاتها بشكل عملي كان عاملا من عدم تركيزه على المفهوم المجرّد لنظرية التلقي، فما قدّم له في كتابه هذا لا يرقى إلى إعطاء صورة كاملة عن طبيعة تصوّره للنظرية المذكورة ولا عن إضافاته لها عربيّا، وربّما تنكشف الصورة بشكل أوضح في كتبه وبحوثه اللاحقة التي لا يسعنا المجال لاستعراضها في هذا البحث الموجز، وعلى أية حال فالصكر كما يراه أحد المهتمّين بالحركة النقديّة العراقيّة: (ناقد دائم التطوير لأدواته النقدية)(٢٧)ولم يكن اصطفافه مع زملائه من النقاد النصّيّين العراقيين إلا تأكيدا لرؤية حداثية توّجها عبر تبنّيه طروحات مدرسة جماليات التقبّل التي تبلورت لديه في منهج القراءة والتلقي ذلك المنهج الذي أعاد التوازن والتوافق الوسطي بين الاهتمام بلسانيات النص ومشغلاته اللغوية وبين جمالياته التي تتبدّى للقارئ وتضع له حسابا كبيرا في عملية رصدها واستكشافها(٢٨) ، وربّما يتّضح لنا ذلك من خلال كشفنا للإجراء المنهجي الذي عالج من خلاله ناقدنا نصّا شعريا معاصرا هو (صيحة الجرار للشاعر حسب الشيخ جعفر) وفقا لما امتلكه من جهاز قراءة خاص جعله

يتذوّق النص ويتفاعل معه .

ثانيا / الإجراء

تقوم القراءة النصيّة التأويليّة وفقا لمنهج القراءة والتلقي بملأ فراغات النصوص المحللة واقتراح فجواتها (التي تعمل كحوافز ودوافع لفعل التكوين الفكري)(٢٨)كما تكشف عن مولّداتها وموجّهات قراءتها ، مانحة العملية طاقة فاعلة ومولية القارئ قدرة على تنشيط ذاكرته عبر ذاكرة النصوص ذاتها .

وقد وقع اختيارنا على أنموذج نقدي قرائي للدكتور حاتم الصكر حاول من خلاله مزاحمة نصّ إبداعي (شعري) هو الأصل الذي تقوم عليه قراءته الطامحة لتجسيد لذة استكشاف قائمة لذاتها أولا ، ثم مكمّلة للنص الإبداعي ومجاوزة له في الوقت نفسه ثانيا ، وإن كانت لذة الاستكشاف تلك كانت قد استعصت على الناقد وأرّقته زمنا طويلا كي تكتمل بصورتها المثاليّة بغية الإشارة إلى طاقة النص وتحديد آليّة اشتغاله كما ينبغي(٢٩)

والنص هو :

صيحة الجرار

عنقاء، تخفق جرّة الراعي الأجير

مذ صار يرعى الضان ما ملكت يداه

إلّا عصاه تقيه، حيث أناخ ، بالفيء الهجير

وتهشّ أغناماً، وتطرد أطلساً راعَ الشياه.

....

إذ قال في ظل الخباء، وقد توسّد راحتين

فبدت له، فوق العمود، ثقيلة بالسمن غرقى

قال: (أبشرنَّ، غداً أبيع وأشتري لي نعجتين

تلدان غيرهما، وغيرهما..) وعجّ ثرىً وأفقاً!

....

عجَّ القطيع، وشبَّ في المرعى النطاح

قال : (الهدوء!) فما ارعوت، فمضى يشد على عصاه

وانقضّ فارتطمت بجرّته، فصاح:

(لهفي عليك!) وأغرق السمن السكيب له لحاه

......

يا راعي الأغنام جرّتك المليئة فوق رأسي!

ما لي ألمٌ حطامها، وأرى غدي في سمن أمسي؟([٣٠])

حسب الشيخ جعفر

إن قابليّة الصكر على تلقي هذا النص الشعري واستيعابه هيّأت له قدرة مماثلة على فتح مسلك التأويل إلى درجة تثير رغبة الباحث وتشدّه للكشف عنها مستجليا جوانبها وقد استندت قراءة الصكر إلى مجموعة موجّهات(٣١)هي بمثابة الإطار العام الذي تحرّكت به القراءة ساعية لتحقيق تصوّرها عن النص المقروء وتجسيد ذلك التصوّر فيما بعد عبر ممارسة مفتوحة تسعى إلى محاورة مكوّنات النص الشعري على اختلاف أنواعها ، أما تلك الموجّهات فيمكن تحديدها بما يأتي:

١ / الجذر الأدبي التاريخي للنص المقروء.

٢ / المقتربات اللسانيّة للنص .

٣ / جماليات التلقي بوصفها منهجا يركّز على ضرورة التفاعل الجدلي بين المنتج والمتلقي.

ويمكن لنا القول : إنّ هذه الموجّهات التي حكمت قراءة الصكر هي موجّهات وإن لم تكن مرتبطة كلّها بالجانب الفنّي إلّا أنها حاولت أن تكشف عن جوانب من شعرية النص المقروء (صيحة الجرار) من خلال تضافر موجّهَيها الأول والثاني وانصهارهما في الذات القارئة بوصفها ميدان الاستجابة للأثر الجمالي والطرف الأقدر على النفخ في روح أخرى للنص .

أمّا الإجراء المنهجي عند الصكر فينبني على ثلاث

خطوات تراتبيّة منطلقة من تلك الموجّهات ذاتها وهي بمثابة إيماء للمستوى الفني للنص ويمكن أن نسلسل هذه الخطوات كما يأتي :

أ / المستوى المرجعي (جذر النص ومرجعيّته)

إنّ أهمّ سؤال يطرحه الصكر وهو يقرأ هذا النص هو سؤال يتعلق بأبوّة النص ومرجعيّته التي ظلّت عنده مدعاة للشك دائما ، فهو يقول : (كنت في قراءات سابقة قد استرحت لعثوري على الجرّة ، الخاوية مرّة ، والمنكسرة المشظّاة أخرى، رغم أنّني لم أجزم بمصدرها النصّي)(٣٢) .

إنّ الشكّ ضرورة تحرّك الباحث وتحفّزه لئلّا يقع بمطبّ إنتاج وحدات معرفية خاطئة تؤدي – بالضرورة– إلى إنتاج دلالات خاطئة ، فهو لا يلبث أن يضيف لعبارته السابقة قوله : (كنت أحسّ أنّ ثمّة نصاً آخر، يغيّبه حسب ويسكت عنه، نصاً لا يطفو على سطح نصوصه ليشير إلى مرجعيته، وهو الذي يشكل في ذاكرته هذا الاستنجاد بصورة الجرّة المتكسّرة، المشظّاة، رمزاً للخيبة)(٣٣) ثم يمضي متتبعا ذلك الخيط الواهي في نصوص محتملة عديدة منها ألف ليلة وليلة، وما علق فيها من قراءة الحكايات الخرافية حيث يخفي الناس أموالهم في الجرار التي يحلمون بها مليئة بالذهب، أوفي حكايات السندباد البحري حيث تهيّأ لحسب أن السندباد قد كان يبحث عن كنز مخبوء في جرّة لم يفلح في العثور عليها، أو يحتمل ذلك المرجع في نص بعيد زمنياً فملحمة جلجامش تحدّثت عن طوفان كبير واصفة الأرض بعده كأنّها جرّة متحطّمة أو قد يجد ضالته في واقع معاش حيث صورة الجرار التي يخزن أهل الريف من العراقيين الماء داخلها كي يبرد في الليل، وما توحيه بينها صورة الجرّة المكسورة من ألم(٣٤).

ويأتي نداء المرجع أخيرا بعد ملاحقة استمرّت طويلا من حكايات كليلة ودمنة، باب الناسك وابن عرس (بتوجيه من إهداء حسب نفسه لعدد من السونيتات[منها سونيتة صيحة الجرار] إلى أحمد شوقي الشاعر الذي كان سبّاقاً في عصرنا الحديث لنظم الحكايات والقصص على ألسنة الطيور والحيوانات ، واشتقاق الدروس الأخلاقية والتربوية منها) وهو بذلك قد أضاف فضاء أخر للنص فضلا عن فضائه التراثي ، وأعني به السونيتة(*)حيث نشر الشاعر منها مائة سونيتة عكف على نظمها، وبضمنها سونيتة (صيحة الجرار) التي أعادت لذاكرة الصكر (تلك المطاردة الطويلة لمرجع الجرّة في شعر حسب، فصيحة الجرار تحيل فوراً إلى تلك البنية التي انتظمت خيبته وتعبيره عنها جرّة متكسرة أو مهمّشة أو خاوية) (٣٥).

ونلحظ من هذه الإشارة درجة تحسس جهاز القراءة عند الناقد وقابليّته لاستثمار أيّة شاردة – وإن وردت عرضا– لغرض التوجيه الدلالي وهذا – في واقع الأمر– معطى من معطيات المناهج النصيّة ما بعد الحداثيّة، حيث إذا ما تعرّضت تلك المناهج للنصوص الأدبيّة حاولت رصد كلّ الإشارات التي تعين القارئ في استنطاقها، كالإهداءات والعنونة والهوامش والإحالات وغيرها.

ولنا أن نتساءل بعد ذلك : ما الجدوى من كلّ هذا العناء في عمليّة استحضار المرجع؟ وما القيمة الدلاليّة أو الفنيّة التي يجنيها الصكر كقارئ من ذلك؟

إنّ هذا التأكيد على مرجعيّة النص سيقود إلى مجموعة أمور هي بمثابة الإجابة عن التساؤل

السابق، ومن الممكن أن نوجزها بما يأتي :

١ / قراءة الصكر لم تبدأ من فراغ وإنّما بدأت من سؤال بحاجة إلى إثبات، وهذا ما انتهى إليه بإرجاع النص المقروء إلى أرومته، وبذلك فقد أدخله ضمن سياق أعمّ من سياقه وأشمل، أي سياق النصوص العربية عبر أزمنتها القريبة أو البعيدة فهل أراد الصكر –علاوة على ما رمى إليه – تبديد التهم التي لازالت تلاحق الشعر المنتمي لحركة الحداثة وتلك المتعلّقة منها بشرعية انتسابه للثقافة العربيّة على وجه الخصوص؟ ربما.

٢ / عائديّة النص ستسهم بمعرفة طبيعة التواصل التفاعلي بين صيحة الجرار والجذور التي يغتذي منها، أي بين ذاتين منتجتين، سيكون المستوى التقني للثاني منهما –بالضرورة– مسفرا عن مستوى دلالي جديد بسبب هذا التراكب والتراكم لأنّ (ذلك المسح النصي بحثاً عن المرجع، يساعد في تتبع الدلالة العميقة للرمز الأسطوري المهيمن على رؤية الشاعر)(٣٦) دون أن ننسى عمليات التحوير والتبديل والتعارض والتكافؤ التي يجريها الشاعر على نصّه ليدخله في شبكة حوارية مع نصوص أخرى مُعِينة له دلاليّا عبر ما يأخذه منها طوعا أو رغبة من علاقات أدبيّة أو ثقافيّة أو أيديولوجيّة إلى درجة قد يبدو معها النص الأخير بمثابة خرق للنظام الأدبي الذي يندرج ضمنه ذلك النص، وهذا ما دعا الصكر ليقوم بمراجعات تناصيّة متعددة مستعينا برأي (ريفاتير) بالتناص من حيث كونه مجموعة النصوص التي بينها وبين النص المراد قراءته قرابة –أيّ كلّ تلك النصوص المستحضرة بالذاكرة عند قراءة مقطع معين– وذلك ما جعل ناقدنا يستدعي منها ما وجده في صيحة الجرار من وشائج معيّنة حتى تلك التي لم يكن الشاعر أو نصّه قد فكّرا فيها بالمرّة(٣٧).

وما أن يضمن الناقد لنصّه الشرعيّة اللازمة حتى يأخذ بإسباغ القيمة الاعتباريّة له بحيث لا يبدو النص موجودا بسبب طبيعة الأمور، أيّ لوجود نصوص سابقة له وإنّما هو نص ذو قيمة فنيّة قائمة بذاتها فالشاعر حسب الشيخ – بحسب الناقد حاتم الصكر– (لا يدخل مع مراجعه بعلاقة شكلية فحسب، بل يستنطق جوهرا غائبا يؤطّر التجربة كلّها، تجربة التفاعل النصّي وهي تجتاز حواجز الأشكال الخارجيّة والفنون الأدبيّة)(٣٨) وهذا ما يحاول البحث تحديده .

ب / المستوى الدلالي (دلالة الملفوظ النصّي)

عند تأمّلنا نصّ الصكر النقدي نجد أنّه محاولة دائبة من أجل تحديد المرجع الذي تمتح منه القصيدة المقروءة حركتها جاعلا من هذا المرجع محورا للتأويل باحثا بعد ذلك عن طاقته الإيحائية، يقول : (إن العودة إلى قراءة شعر حسب الشيخ جعفر بأمثولة الراعي الحالم، والجرّة الحلم، وأخيراً انكسارها وتحطّمها، تعني إعطاء معانٍ جديدة للجرار الكثيرة المتناثرة في شعر حسب)(٣٩).

وقد حاول الصكر أن يرفد قراءته التأويليّة تلك بدعامات ساندة منطلقا من لغة النص ذاتها بوصفها مدخلا أساسيا وطبيعيّا للتعامل مع النص الأدبي عند تلقيه موظّفا ثمرات اللسانيّات المعاصرة ما استطاع إلى ذلك منها سبيلا على اعتبار أنّ (كل تأويل هو تعرّف على المؤشّرات البنائيّة النصيّة من لغة وتراكيب نحويّة وبلاغيّة)(٤٠) ساعيا من وراء ذلك إلى مدّ جسور واصلة بين مقوّمات الدلالة في النصّ وبين كياناتها المختلفة خارجه وكالآتي :

١ / استقصاء دلالة العنونة

للعنوان حمولة دلالية كبيرة ، فهو العتبة النصيّة الأولى، وهو وسيلة الاتصال الأولى أيضا بين المبدع والقارئ، وإذا (كان النص نظاما دلاليّا وليس معاني مبلّغة، فإنّ العنوان كذلك نظام دلالي رامز له بنيته السطحيّة ومستواه العميق مثله مثل النص تماما)(٤١) ولعلّ ما استوقف الصكر في عتبة النص الأولى هو دلالة الجمع فيها، فالسونيتة تحدثت عن جرّة واحدة لراع واحد، بينما العنوان حدّثنا عن مجموعة جرار(٤٢)، فما الذي يهدف إليه النص من ذلك ؟

يقوم الناقد بالتمركز حول دلالة العنوان وتفسيرها والبحث عن العلاقات الأخرى التي تدعم هذا التفسير ثم يأخذ بالكشف عن تلك العلاقات ومدلولاتها الظاهرة والباطنة وصولا إلى العلاقات النفسيّة للشاعر وهو يقيم تلك العلاقات اللغويّة فصيغة الجمع بالعنوان (ليست هفوة لغويّة ، بل هو تصميم مقصود ينبىء عن توالدية الجرة، وإمكان (انتثار) أو (نثر) دلالتها بتوقّع حدوثها وتحوّلها ، جرة أخرى لراعٍ آخر)(٤٣) إنّ الجرار التي يشير إليها العنوان ما هي إلاّ صورة أخرى لجرّة الراعي وهي بهذا الجمع (جرار) تعلن عن امتداد تلك الحكاية، وبذلك يكون النص من خلال عنوانه متعدّيا إلى نصوص أخرى خارج نفسه من خلال بيتي السونيتة الأخيرين أي (سقطة – ضربة) القصيدة وبيت قصيدها(٤٤).

ويخلص الصكر إلى أنّ الصيحة هي ليست صيحة الراعي وهو يصحو على حلمه المنكسر وإنما هي صيحة الجرار المنكسرة كناية عن أحلام أصحابها وتوالي خيباتهم وبذلك يصبح (اللفظ معنى ، أو أن الدال تماهى في مدلوله ، فالراعي الحالم وقد تكسرت جرّته فصاح ، ليس هو الخاسر بل حلمه المرمَّز بالجرّة إنها فجيعة الحلم ، وصيحة الجرار المتكسرة)(٤٥) وبهذا اشتملت دلالة الجمع (الجرار) بالعنوان على إمكانيّة انطباق مغزى النص على كلّ ذي حلم منكسر مهشّم من بني آدم ، ونستنتج من ذلك توفّق الناقد في عقد ذلك القران الناجح الذي يجريه بين عنوان القصيدة ومركز بؤرتها / بيت قصيدها مستثمرا ما ينجم عن هذه العلاقة من وشائج تقوي آصرة معان جديدة، ربما لم يكن رمى إليها الشاعر، في حين أغرت القارئ فظلّ يجري خلف سرابها العذب.

٢ / اللجوء للمعجم لاستدعاء الدلالة الممكنة للكلمة ومحاولة الاستفادة من هذه الدلالة لإضاءة ما يعتم أو يغمض أثناء القراءة فالناقد حين يتناول دلالة لفظة (عنقاء) في مطلع النص– مثلا– يجد أنّ الشاعر قد تلاعب معها بمستويين من الدلالة يشيران إلى علاقة بدلالتها معجميّا، وهما وإن اختلفا فهما داعمان للوجهة التأويليّة التي نهجها الناقد في منح (الجـرّة [العنقاء] والجـرار كلّها امتدادا في المستقبل يقصده الشاعر ويهيىء له)(٤٦)

أمّا مستويا دلالة (عنقاء) فهما :

أ / عنقاء = ذات عنق طويل يتدلّى فوق رأس الراعي الأجير فهي مهيّأة للسقوط على رأسه، رأس الراعي / الشاعر(٤٧).

ب / عنقاء = مفردة ذات دلالة على رمز أسطوري للمستحيل ، للمستعصي والمتجدد ، للمنبعث من موت، للذي لم يره أحد(٤٨).

إنّ هذين المستويين المختلفين من الدلالة ، سُخّرا من قبل القراءة لتأدية معنى موصول بالحركة الكليّة للنص وهو يسعى إلى صوغ معناه الخاص به وإن

اتّخذ من حكاية الناسك محتوى ومن نظام السونيتة شكلا ! أي أنّ العلاقة بين هذين المستويين أشبه ما تكون بالعلاقة بين النص الأول (حكاية الناسك) والنص الثاني (السونيتة) حيث لا يمكن أن تتم إلاّ في (فضاء التأويل الذي يجب أن نعبر إليه مع النص في تحليق يتجاوز راهنيّته)(٤٩) ،ويتّضح مما سبق كيفيّة توظيف الناقد أدواته المنهجيّة لتمتد داخل المسار الدلالي الذي يستعين به للكشف عن المعاني الكامنة والمستورة في النص الأدبيّ .

٣/ الإفادة من دلالة الصوت (الرمزيّة الصوتيّة)

حاول الناقد الإفادة من معطيات الدرس الصوتي منتبها إلى القيمة الذاتيّة التعبيريّة للصوت محاولا النفاذ منها لاستخلاص الظلال الدلاليّة التي توحي بها مُوْصِلا تلك الظلال بالأغوار النفسيّة العميقة للشاعر ، فحين يبتدأ حسب الشيخ جعفر قصيدته بالمقطع التالي :

عنقاء ، تخفق جرّة الراعي الأخير ....

ينتبه الصكر إلى تكرار حرف الراء المطّرد في بداية القصيدة فيجد أن الجرّة تتهيأ للانكسار منذ البيت الأول(٥٠) فمحاكاة صوت انكسار الجرّة يرمز له تكرار صوت الراء ولا يخفى جهد الناقد هنا من خلال التشديد على القيمة الذاتيّة للصوت لإدراك ما يقف وراءه من معنى وشعور .

وربما جاز لنا أن نقول بعد هذا التحليل الموجز : إنّ ثقافة الناقد وهضمه للمناهج الحديثة بما فيها المنهج البنيوي أتى أُكُله من خلال مسار القراءة التي جعلت من ذلك المنهج خلفيّة ومنطلقا تتحرك في إطارها دون أن تتبنى معطياته أو تتقيد بحذافيره كما وردت بنسخته الغربيّة التي تذهب إلى فكرة الانغلاق الأبدي للغة على كينونتها الذاتيّة وهي تعالج النصوص الأدبيّة .

ج / المستوى الجمالي

لقد بدا لنا مما مرّ أن الصكر انفتح على مجالات واسعة لإضاءة الإدراك الجمالي لقراءته لنص (صيحة الجرار) انطلاقا من كون هذا الإدراك هو إدراك مشترك بين القارئ والكاتب يسعى لإحداث نوع من التواصل بين الطرفين أساسه العلاقة التي تجمع بين لغة النص والقارئ .

وإنّ هذه القراءة قامت على محورين تناصي ومعرفي ، فقد تفاعل (صيحة الجرار) بوصفه قصيدة شعرية حديثة تناصيّا مع ميراث نصي واسع مبلورا هويّته المتميّزة بعد ذلك حيث (كان حسب ينظم حكاية الراعي والجرّة في أبيات السونيتة الاثني عشر ، بينما يخصص البيتين الأخيرين لتلخيص الأمثولة ، ساحباً الحكاية من الذاكرة، وزمنها الماضي ، إلى الغد أو المستقبل الذي رآه الشاعر في حطام جرة الراعي وهي تهوي متكسرة فوق رأسه صدمة لحلمه الذي غرق فيه ، فأغرق السمن لحيته)(([٥١] وبذلك فقد صارت المسافة الجماليّة أو الفجوة بين النص(صيحة الجرار) وبين مجموعة النصوص التي ينتمي لها هي التي تحدد فنّيّته وشعريّته وتتحكم بها .

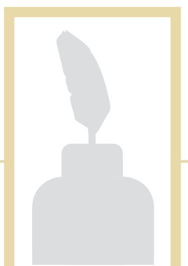
أما المحور المعرفي فقد تم من خلال ما حاول البحث مقاربته عبر جهد الناقد ممثلا بمجموعة القرائن المعرفيّة التي ساعدت القراءة في توسيع الأفق الدلالي للبنيات النصيّة الفاعلة في نص (صيحة الجرار) والتي لم تكن لتتمكن تلك القراءة من الإحاطة بزوايا المعالجة فيها لولا إفادتها من مختلف أدوات البحث والإضاءات المعرفيّة التي أنتجتها العلوم الإنسانيّة الحديثة التي ثقفها الناقد وسعى لإعادة إنتاجها وتوظيفها في متنه النقدي الذي حاول أن يؤسس من خلاله بمشاركة مجموعة من مجايليه من النقّاد لمشروع نقدي جديد يلبّي حاجة الرؤية الحداثيّة وينقل النقديّة العراقيّة إلى تخوم العصر.

الخاتمة

حاتم الصكر ناقد أدبي حاول توظيف المناهج النقديّة الحديثة في دراساته النقديّة في مجموعة كتبه المختلفة، وقد ذهب في كتابه البئر والعسل إلى أنّ التحليل التأويلي يفترض أن ما في النص منفصل عن مؤلفه وبالتالي، فإن معنى النص مختلف عن المعنى الذي أراده المبدع، وهو معنى لا يكتمل إلا بوجود قارئ ينهض به فيضـــفي على النـص إلقاء و روحا جديدين .

وقد تابع في قراءته لقصيدة (صيحة الجرار لحسب الشيخ جعفر) حركة علاقة البنيات الداخليّة للنص ملاحقا علاقة هذه البنيات وهي تنفتح على بنى أخرى عديدة تقع خارج النص مشكّلة لجزء كبير من دلالته ، وقد تابع الصكر مولّدات هذا النص المساهمة في صياغته وتكوّنه ابتداء من عتبته الأولى (عنوانه) وإيقاعه ولغته وتشكيله اللفظي وبنائه التركيبي، وانتهاء بمستوى الدلالة فيه، وقد توصّل الناقد إلى أنّ هذا النص (الراعي والجرّة) ينبني على تضافر اشتغالات (تناص) متعددّة المرجعيّات، تتوزع بين مرجعيّات أسطوريّة وتاريخيّة وأدبيّة تعمل على تخصيب بنية النص وتوجيه فاعليته صـوب آفـاق قد تبدو لامعة للرائي على سطح النص، لكنّها تظل تحمل في أغوارها دلالات ثريّة تفتح الباب أمام القارئ للتساؤل عن علاقة نص الشاعر حسب الشيخ جعفر والموسوم بـ(الراعي والجرّة) بالنصوص الأخرى ذات العلاقة معه.

وبذلك جاز أن ننعت قراءة الصكر بالقراءة الخلّاقة التي تسعى لإيجاد الخيوط الناظمة لبنى النص وتراكيبه ودلالته، وتهدف لإجلاء حقائق التجربة الأدبيّة وإثراء معطيات اللغة كمكتسب إنساني بما توفّر لتلك القراءة من سند منهجي يستمد قوّته وعلميّته وثراءه من نظريّة نقديّة حديثة هي نظرية التلقي التي لايمكن الاستهانة بكفاءتها في إمكانيّة الكشف عن جوهر العمل الأدبي.



الهوامش

[١] ينظر بهذا الخصوص:اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق ، دراسة الجهود المنشورة في الصحافة العراقية بين (١٩٥٨-١٩٩٠) الدكتور مرشد الزبيدي ، ص ٧٧

[٢] ينظر: موقع الدكتور حاتم الصكر الألكتروني ش ، م www.halsager.com

[٣] ينظر: نفسه

[٤] ينظر: البئر والعسل ، حاتم الصكر ، ص ٢٦ -٢٨

[٥] نفسه ، ص ٧وفي الأصل يعاملها = عاملتها

[٦] نفسه ص ٨

[٧] نفسه

[٨] نظرية التلقي ، أصول وتطبيقات ، د بش رى موسى صالح ، ص٣٤

[٩] ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها

[١٠] ينظر: نظرية التلقي ،مجموعة باحثين ، ص٢٤

[١١] ينظر : نقسه ، ص ٢٥

[١٢]ينظر : نفسه ، ص ، ٢٦

[١٣] ينظر : الخطاب والقارئ ، د . حامد أبو أحمد ، ص ٨٦

[١٤] أدب العصور الوسطى ونظرية الأجناس ، ضمن كتاب (نظرية الأجناس الأدبية) تعريب عبد العزيز شبيل ، ص ٥٤-٥٥

[١٥] ينظر : نظرية التلقي ، روبرت هولب ، ترجمة عز الدين إسماعيل ،ص٣١

[١٦] ينظر : نظريّة التلقي ،إشكالات وتطبيقات ، ص ٣٢ ومابعدها

[١٧] الخطاب والقارئ ص ١٦٦

[١٨] ينظر : نظرية التلقي ،إشكالات وتطبيقات، ص١٥١ وما بعدها

[١٩] ينظر : عملية القراءة من مقترب ظاهراتي ، ضمن كتاب نقد استجابة القارئ تحرير:تومبكنز، ص ١١٢

[٢٠] ينظر: نفسه ، ص ١١٣

[٢١]للاستزادة بهذا الموضوع ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،حازم القرطاجني ،ص ١٧

[٢٢] البئر و العسل ،ص ٩

[٢٣] نفسه ، ص٧

[٢٤] نفسه ، ص ٨

[٢٥] ينظر : نفسه ، ص ٢٣

[٢٦] ينظر : نفسه ، ص ٢١

[٢٧] قراءات في الادب والنقد ، د.شجاع العاني ، ص ٢٤٣

[٢٨] نظرية التلقي في النقد العربي الحديث ، د. عبد الله أبو هيف ، ضمن كتاب تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر ،ص ٤٧٠

[٢٩] ينظر : المقدمة التي يضعها الناقد الصكر كمدخل لقراءة القصيدة في البئر والعسل ، ص ١٣٦ وما بعدها

[٣٠] ديوان أعمدة سمرقند ، حسب الشيخ جعفر ، ص٦٧

[٣١] يرى الأستاذ حاتم الصكر في مقاله : الممارسة النقدية من النص إلى القارئ ، مدخل أولي عن بعض موجّهات القراءة (أن الموجّهات تفهم عادة على أنّها أغلفة خارجية ، وما دام الغلاف الخارجي في المصنوعات والمستهلكات اليومية ليس إلا قشرة تزعج أحيانا المتناول النهم المتعجّل ، وهو فهم لا ينسجم مع طبيعة الموجّهات ، إذ أنها تطوير لمفهوم إطار القراءة أو ما يحف بها تقود إلى عمق

النص كخطوة أولى للتعرف على البؤرة أو المولّد المركز الذي يقوم بتشغيل النص ومدّ جزئيّاته إلى الأطراف بأشكال فنيّة غير متسقة برتابة ، مما يجعل مهمّة القارئ –ولعلّها مصدر متعته أيضا–تتركز في استقصاء حركة البؤرة وتوزّعها إلى الأطراف) ينظر : مجلة الأقلام ، العدد ١١-١٢ ، سنة ١٩٩٣ ص ٥٠

[٣٢] البئر والعسل ، ص ١٣٦

[٣٣] نفسه ، ١٣٧

[٣٤] ينظر: نفسه ، ص ١٣٦-١٣٧

*السونيتة : قصيدة تشتمل على أربعة عشر بيتا اخترعها شعراء إيطاليا في القرن الثالث عشر ثم طوّرها بعدهم شعراء كثر من أوربا وبيتها الأخير هو بيت القصيد بها ويسمى السقطة ، وقد نظّم عليها شكسبير فقسّم نظامها إلى ثلاث رباعيات يليها دوبيت يشتمل على بيت قصيدها ... ينظر : معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، ص ٢٠٣ ويبدو أنّ حسبا يستثمر تقسيمات شكسبير في صياغة نصّه

[٣٥] البئر والعسل ، ص ١٣٨

[٣٦] نفسه ، ص ١٣٧

[٣٧] ينظر : نفسه ، ص ١٣٧

[٣٨] نفسه ، ص١٤٢

[٣٩] نفسه ، ص ١٣٧

[٤٠] تقابلات النص وبلاغة الخطاب ، محمد بازي ، ص ١٣

[٤١] سيمياء العنوان ، بسام قطّوس ، ص ٣٦

[٤٢] ينظر: البئر والعسل ، ص ١٤٢

[٤٣] نفسه ، ص ١٤٣

[٤٤] ينظر: نفسه ، ص ١٤٤

[٤٥] نفسه

[٤٦] نفسه ، ص ١٤٥

[٤٧] نفسه

[٤٨] نفسه

[٤٩] نفسه ، ص١٤٢

[٥٠] ينظر : نفسه ، ص ١٤٤

[٥١] نفسه ، ص ١٣٨

المصادر

- اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق ،دراسة الجهود المنشورة في الصحافة العراقية بين (١٩٥٨-١٩٩٠) الدكتور مرشد الزبيدي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ١٩٩٠م.
- أدب العصور الوسطى ونظرية الأجناس ، هانز روبرت ياوس ،ضمن كتاب (نظرية الأجناس الأدبية) تعريب عبد العزيز شبيل ، كتاب النادي الأدبي الثقافي جدة ،العدد(٩٩) نوفمبر ١٩٩٤م.
- البئر والعسل ، حاتم الصكر ، قراءات معاصرة في نصوص تراثية ، بغداد ١٩٩٢م .
- تحـوّلات الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مجموعة مؤلفين ، مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ط١ ٢٠٠٨م .

تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، الدار العربيّة للعلوم، ناشرون، بيروت ط١، ٢٠١٠ م.

- الخطاب والقارئ ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة ، د . حامد أبو أحمد ،

سلسلة كتاب الرياض، العدد(٣٠) يونيو ١٩٩٦م
- ديوان أعمدة سمرقند ، حسب الشيخ جعفر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٩م
- قراءات في الأدب والنقد د، د.شجاع العاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٩م.
- سيمياء العنوان، بسام قطوس، وزارة الثقافة، عمان ، ط١، ٢٠٠١ م.
-عملية القراءة من مقترب ظاهراتي ، ضمن كتاب نقد استجابة القارئ تحرير:تومبكنز، ترجمة: حسن ناظم، علي حاكم مراجعة وتقديم: د. محمد جواد الموسوي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ١٩٩٩ م
- معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢،١٩٨٤م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،حازم القرطاجنّي، تحقيق وتقديم محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.
- نظرية التلقي، روبرت هولب، ترجمة: عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط،١٩٩٤م .
- نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، د بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت - الرباط ٢٠٠١م .
- نظرية التلقي،إشكالات وتطبيقات،مجموعة باحثين،كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط،١٩٩٣م.
- مجلة الأقلام ، العدد ١١-١٢، سنة ١٩٩٣ م.



أساليب التفكير وعلاقتها بالالتزام الديني لدى طلبة جامعة كربلاء

ا.م.د. احمد عبد الحسين الأزيرجاوي
م.م. علياء نصير الكعبي
م.م. مناف فتحي

جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الأنسانية

الملخّص

استهدفت الدراسة الحالية التعرف على مستوى أساليب التفكير لدى طلبة كلية التربية والتعرف على مستوى الالتزام الديني لدى طلبة كلية التربية جامعة كربلاء والتعرف على العلاقة بين أساليب التفكير و الالتزام الديني لدى طلبة جامعة كربلاء . واقتصر البحث الحالي على عينة مؤلفة من(١٠٠) طالباً وطالبةً من المرحلة الثالثة ومن الذكور و الإناث تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية من طلبة كلية التربية للاختصاصات الإنسانية جامعة كربلاء و للعام الدراسي (٢٠١٢-٢٠١٣). وتحقيقاً لأهداف البحث تم تبني مقياس أساليب التفكير المعد من قبل هاريسون وبرامسون. كما تم تبني مقياس الالتزام الديني للحمداني (٢٠٠٥). وقد طبق المقياسين على عينة البحث الأساسيةاً وبعد تحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً باستخدام الوسائل الإحصائية الآتية : الاختبار التائي لعينة واحدة معامل ارتباط بيرسون. وتوصلت الدراسة إلى أن أفراد عينة البحث يتمتعون بالتزام ديني عال وان الاسلوب التركيبي يأتي في مقدمة الأساليب والاسلوب التحليلي كان آخر الأساليب .

الفصل الأول : مشكلة البحث وأهميته

تطور التفكير الإنساني منذ نشأة المجتمعات الأولى حتى المجتمع الحديث، فمن المرحلة الأولى التي تتميز بمحاولات الإنسان في تفسير الظواهر بشكل بدائي، إلى المرحلة الثانية عندما بدأ الإنسان يدرك العلاقات بين الظواهر وأن بعضها يؤثر في الآخر، إلى المرحلة الثالثة التي أصبح فيها الإنسان مدركًا استحالة تحديد صفات أجزاء الكون بمعزل عن الوسط المحيط بها وأن لكل جزء أهميته وصفاته التي تختلف بحسب تأثيره في كل موقع يقع فيه.وعملية إرساء أسس التفكير العلمي باتت ضرورة في هذا العصر، فقد أصبحت نهضة الأمم تقاس بقدر ما تملك من علماء وعقول مبدعة، وبقدر ما تقدمه هذه الأمم من إنجازات علمية على المستويات جميعًا، وفي المجالات جميعها. (حنوش١٩٩٩ :أ٧٠)

إن ما تراكم وما تحقق من إبداعات وكشوف في القرن العشرين يسوغ لنا القول أن القرن الحادي والعشرين قد يكون قرن الذكاء الإنساني، فالتفوق فيه سيكون للمجتمع الذي يعمل على تنمية تفكير أفراده. وهذا المتغير يحتمل أن يكون له آثار كبيرة في محتوى مناهج التعليم المدرسي والجامعي وطرائق التدريس، خاصة وأن المدارس التي تتوافر فيها معايير الجودة تعدد بيئات مساهمة ومنمية للفكر الإنساني في أرفع صوره ومستوياته، ومصدر الإلهام لتطبيق النظريات العلمية وصولا إلى أرقى صوره .(جلال١٩٩٣: ٢٣،)

و اسلوب التفكير هو الطريقة التي يوجه بها الفرد ذكاءه فاسلوب التفكير ليس مستوى الذكاء ولكنه طريقة استخدام الذكاء Sternberg: ١٩٨٨أ٢٠٢)) ويعد الالتزام الديني من أهم الأسس التي تسهم في بناء شخصية الفرد والمجتمع معاً، فالفرد لا تتم إنسانيته إلا بالأخلاق، فضلاً على أنه بفضلها ينهض العمل الصالح النافع من أجل استمرار المجتمعات وبقائها. (القوصي:١٩٧٥أ ٧٤).

وبذا تتحدد مشكلة البحث الحالي في التعرف على أساليب التفكير وعلاقتها بالالتزام الديني لدى طلبة الجامعة .

أهمية البحث

إن ما يميز الإنسان على غيره من المخلوقات هو قدرته على التفكير وفي رحلته الطويلة والشاقة من البدائية إلى الحضارة استطاع بقدرته هذه أن يواجه مشكلات لا حدود لها والتقدم الحضاري الذي نلمسه في مختلف جوانب حياتنا المعاصرة إنما يعود إلى تطوير تفكير أجيال متعاقبة من الجنس البشري واستخدام الأساليب السليمة في التفكير لان اسلوب التفكير ناتج عن فهم الفرد وتفسيره لجوانب الشبه والاختلاف للمواقف وحل المشكلات الحياتية المختلفة التي يتعرض لها وهذا بدوره يعتمد على تمثيل المعلومات وتخزينها وتركيبها واستدعائها عند الضرورة .

وقد حظي التفكير باهتمام العديد من الباحثين والمربين حتى بات من أكثر الموضوعات دراسة وبحثا في مجال علم النفس التربوي وقد عنيت جميع المدارس الفلسفية والفكرية والتربوية بتنمية الفكر والتفكير وهما نعمتان وهبهما الله سبحانه وتعالى للبشر دون غيره من المخلوقات وتمثلان اعقد أنواع السلوك الإنساني ويمثل أعلى مرتبة من مراتب النشاط القلي لكي يصبح الإنسان أكثر قدرة على مواجهة

الصعوبات والمشكلات التي تعترض سبيله في شتى مناحي الحياة سواء أكانت اجتماعية ام اقتصادية أم تربوية أم أخلاقية أم غيرها .(الريماوي:٢٠٠٨،٢١٧)

و يشكل الدين احد أبعاد الشخصية ويتناول نواحي الحياة الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،كما يعتبر الدين قوة دافعة للسلوك، وله أثره الواضح على النمو النفسي للفرد . فالعقيدة الدينية عندما تتأصل في النفس الإنسانية تدفعها إلى السلوك الايجابي وتجعل الفرد يعيش في حالة من الاستقرار والأمن . فالإيمان يؤدي إلى الأمان، إذ يؤثر على حياة الإنسان عبر مراحل تطوره من الطفولة إلى المراهقة فالرشد ثم الشيخوخة . (ألزغبي :٢٠٠١، ٤٠٩)

ويعد الالتزام الديني من أهم الأسس التي تسهم في بناء شخصية: الفرد والمجتمع معا ، فالفرد لا تتم إنسانيته إلا بالأخلاق ، إذ تقوم بنية الشخصية الإنسانية على قوتين هما (العقل والنفس) ، إذ لا توجد شخصية متزنة و كفوءة وفاعلة بدون (العقل) وطاقاته الخلاقة ، كما إنها لا تكون كذلك من دون (النفس) وعمق إحساسها بالوجود وإذا كان العقل ينمو بالتجارب والعلوم والمعارف والخبرات ، فإن النفس تنمو بالإيمان والجمال والحق والخبرة ، وفي كلتا الحالتين فإن للعملية التربوية الأثر الواضح في بناء الشخصية الإنسانية ومكوناتها العقلية والنفسية . (الفارس :٢٠٠٢، ٦٢) وتتحدد أهمية البحث الحالي بأهمية متغيرات الدراسة وهي أساليب التفكير والالتزام الديني و أهمية الشريحة وهم طلبة الجامعة وكذلك تعتبر هذه من الدراسات الأولى على حد علم الباحثين التي تتناول علاقة أساليب التفكير بالالتزام الديني .

أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على

١ - أساليب التفكير لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية.

٢- أساليب التفكير لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية وفق متغير الجنس (ذكور -إناث)

٣- مستوى الالتزام الديني لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية .

٤- العلاقة الارتباطية بين أساليب التفكير والالتزام الديني .

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بطلبة المرحلة الثالثة من طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء ومن الدراسة الصباحية للعام الدراسي ٢٠١٢-٢٠١٣ .

تحديد المصطلحات

أساليب التفكير

عرفها غريغورك (Gregorc) :

"بأنها مجموعة من الأداءات المميزة للمتعلم، و التي تعتبر الدليل على طريقة تعلم المتعلم، وكيفية استقباله للمعلومات التي يواجهها في البيئة بهدف التكيف ". (القطامي:٢٠٠٧، ٧٧)

عرفه هاريسون و برامسون Harrison and Bramson ١٩٨٢

" مجموعة من الطرق والاستراتيجيات الفكرية التي اعتاد الفرد على ان يتعامل بها مع المعلومات

المتاحة لديه عن طريق ذاته او بيئته وذلك حيال ما يواجهه من مشكلات ".(Harrison and Bramson:١٩٨٢،٤٥)

عرفه ستيرنبرج ٢٠٠٤

"مجموعة من الاستراتيجيات والطرق المختلفة التي يوظف بها الأفراد قدراتهم وذكائهم ويستخدمونها بصورة عامة في حل مشكلاتهم التي يواجهونها وانجاز المهام والمشروعات الخاصة والعامة ".(ستيرنبرج: ٢٠٠٤،٣٤)

عرفه العتوم ٢٠١٠

" إن لكل فرد اسلوبه الخاص في التفكير ومن الصعوبة بكميات التنبؤ بطرق تفكير الآخرين كما إن اسلوب التفكير يقيس تفضيلات الأفراد اللغوية والمعرفية ومستويات المرونة لديهم في العمل والتعامل مع الآخرين" (العتوم:٢٠١٠،٧٩)

التعريف النظري

يتبني الباحثين تعريف هاريسون وبرامسون

التعريف الإجرائي : هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب على إجابته على مقياس أساليب التفكير .

الالتزام الديني:-

عرفه توماس (Tomas،١٩٨٢)

" الالتزامات الروحية والعقلية التي تتضمن المواقف والاتجاهات الاعتقادية وكذلك الالتزامات الاجتماعية والقانونية التي تتضمن قواعد السلوك وأحكام القانون ". (Tomas:١٩٨٢،٣١).

عرفه أمين (١٩٩٦)

" اتساق يميز الشخص في توظيفه للمعلومات المدركة في ذاته التي تتعلق بخالقه والآخرين، وذلك من خلال اعتناقه لأركان الدين وشعائره التي تتمثل بأساسيات الإيمان والعبادات والتمسك بالعادات والمنجيات وتجنب المهلكات في مواقف الحياة اليومية والاجتماعية ". (أمين:١٩٩٦،١٥).

عرفه هادي ٢٠٠٤

" الامتثال الواعي للفرد لتعاليم الدين الإسلامي والتمسك بها فكراً وسلوكاً في مواقف الحياة اليومية التي تتمثل بأساسيات الإيمان، وأداء العبادات، والتمسك بالعادات والمنجيات، وتجنب المهلكات". (هادي :٢٠٠٤،١٥)

عرفه الحمداني ٢٠٠٥

"الالتزام الديني في الإسلام : إمتثال الفرد وتمسكه بقيم الدين الإسلامي وفرائضه ، وتطبيقه لتعاليمه فكرا وسلوكا وعقيدة كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكما طبقها السلف الصالح ، والتي تتمثل

بأساسيات الأيمان (العقائد)أ وأداء العبادات والتمسك بالعادات والأخلاق الصالحة ونظم المعاملات ".(الحمداني :٢٠٠٥أ ٢٩)

التعريف النظري

يتبنى الباحثين تعريف الحمداني ٢٠٠٥

التعريف الإجرائي : هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب على مقياس الالتزام الديني .

الفصل الثاني : اطار نظري ودراسات سابقة

١- هناك مجموعة من النظريات التي فسرت أساليب التفكير منها:

- نظرية هاريسون وبرامسون :Harrison &Bramson

توضح هذه النظرية أساليب التفكير التي يفضلها الأفراد وطبيعة الارتباط بينها وبين سلوكهم الفعلي، كما توضح ما إذا كانت هذه الأساليب ثابتة أم قابله للتغيير، وكيف تنمو الفروق بين الأفراد في أساليب التفكير، وقد أوضحت هذه النظرية أن الطفل يكتسب عددًا من الاستراتيجيات يمكنه تخزينها، وتنمو هذه الاستراتيجيات وتزدهر خلال مرحلتي المراهقة والرشد كنماذج أساسية في الحياة العملية مما يؤدي إلى تفضيل استراتيجيات خاصة) الطيب، ٢٠٠٦(

يصنف التفكير من حيث أساليبه أو أنماطه أو استراتيجياته إلى مجموعة من الطرق الفكرية الذي يعتاد المتعلم أن يتعامل مع المعلومات المتوفرة لديه نحو ما يواجه من مشكلات ومواقف و تتبنى الدراسة الحالية التصنيف الذي جاء به(Harrison & Bramson ١٩٨٣) ويتضمن هذا التصنيف الأنماط الآتية:

-١ التفكير التركيبي (Synthesis Thinking)

-٢ التفكير المثالي (Idealistic Thinking)

-٣ التفكير العملي (Pragmatic Thinking)

-٤ التفكير التحليلي (Analytic Thinking)

(-٥ التفكير الواقعي . (غالب :٢٠٠١أ ١٥٠) (Realistic Thinking)

فالتفكير التركيبي يُعنى في التواصل لبناء أفكار جديدة مختلفة تمامًا عما يفعله الآخرين ،والقدرة على تركيب الأفكار المختلفة والتطلع إلى وجهات النظر التي قد تتيح حلولا أفضل تجهيزًا ، والربط بين وجهات النظر التي تبدو متعارضة ، بينما يُعنى التفكير المثالي في تكوين وجهات نظر مختلفة تجاه الأشياء والميل إلى التوجه المستقبلي والتفكير في الأهداف ، والاهتمام باحتياجات الفرد وما هو مفيد بالنسبة له، وتركيز الاهتمام على ما هو مفيد ويكون محور الاهتمام هو القيم الاجتماعية وبذل أقصى ما يمكن لمراعاة الأفكار والمشاعر و الانفعالات والعواطف والميل للثقه بالآخرين وعدم الإقبال على المجالات مفتوحة الصراع، ويُعنى التفكير العملي في التحقق مما هو صحيح أو خاطئ بالنسبة للخبرة الشخصية المباشرة ،ويُعنى بحرية التجريب والتفوق في إيجاد طرق جديدة لعمل الأشياء بالاستعانة بالمواد الخام المتاحة

وتناول المشكلات بشكل تدريجي ، والبحث عن الحل السريع والقابلية للتكيف، ويُعنى التفكير التحليلي بمواجهة المشكلات بحرص وبطريقة منهجية والاهتمام بالتفاصيل ، والتخطيط بحرص قبل اتخاذ القرار وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات مع عدم تكوين النظرة الشمولية ، وإمكانية القابلية للتنبؤ والعقلانية وإمكانية التجزئة والحكم على الأشياء في ظل إطار عام ،بينما يُعنى التفكير الواقعي يظن البعض أنه لا يختلف عن التفكير العملي وفي الواقع فهما يختلفان بدرجة كافية لفصل النمطين بحيث يُعنى التفكير الواقعي بالاعتماد على الملاحظة والتجريب وأن الأشياء الحقيقية هي ما نخبره في حياتنا الشخصية مثل ما نشعر به ونلمسه ونراه ونشمه إذ ما نراه هو ما نحصل عليه ، وشعار التفكير الواقعي هو " الحقائق هي الحقائق" ((حبيب ١٩٩٥ :أ١٦٤)

- المنظور النفسي للالتزام الديني

تعتبر حالة التدين من الدوافع النفسية التي لها أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان . فمن خلال سلوك الإنسان في جميع عصور التاريخ أوفي مختلف المجتمعات الإنسانية . يتضح أن الإنسان دائما يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون أ والى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالبا منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها أوهو يجد في حماية هذا الإله ورعايته له: الأمن والطمأنينة . غير أن الطريقة التي يسلكها الإنسان في عبادته لهذا الإله قد تختلف حسب تصور الإنسان في المجتمعات المختلفة لأوصاف ذلك الإله . وذلك خلال عصور التاريخ المختلفةأو تبعا لمستوى تفكير ذلك الإنسان ودرجة تطوره الثقافي ، فكلما زادت الثقافة في مجتمع معين زاد وعيه والتزامه الديني .(نجاتي: ١٩٨٩أ٤٧)

دراسات سابقة

أ-الدراسات المتعلقة بأساليب التفكير

دراسة المنصور٢٠٠٧

أساليب التفكير وعلاقتها بحل المشكلات

هدفت الدراسة الى الكشف عن العلاقة المحتملة بين بعض أساليب التفكير السائدة وبين الأداء على مقياس حل المشكلات لدى عينة من تلامذة الصف السادس الأساسي بلغ عدد أفرادها ١٠٠ تلميذ وتلميذة من مدارس مدينة دمشق الرسمية توصلت الدراسة الى انه ليست هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بعض أساليب التفكير التي يستخدمها التلاميذ ومستوى الأداء لديهم على مقياس حل المشكلات.

٢-دراسة نصر الله ٢٠٠٨

أنماط التفكير السائدة وعلاقتها بسيكولوجية التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة مرحلة الثانوية العامة في محافظة جنين

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أنماط التفكير السائدة وعلاقتها بسيكولوجية التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة مرحلة الثانوية العامة في محافظة جنين، كما هدفت الدراسة التعرف إلى الفروق في أنماط التفكير

وعلاقتها بسيكولوجية التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة الثانوية العامة في محافظة جنين تبعا لمتغيرات الجنس ،وفرع الثانوية العامة ،ومكان السكن، ومستوى التحصيل الدراسي تكونت عينة الدراسة من ٢٨١ طالبًا وطالبة، وقد اشتملت الدراسة على أداتين هما: مقياس هاريسون وبرامسون لأنماط التفكير، ومقياس سيجمان للتفاؤل والتشاؤم،وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية

-أنماط التفكير السائدة هي :نمط التفكير التركيبي ، التفكير المثالي ،والتفكير العملي ،والتفكير التحليلي،والتفكير الواقعي على التوالي .أمستوى التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة مرحلة الثانوية العامة في جنين هو منخفض السلوك هو سلوك التشاؤم حسب مقياس سيجمان.

٣- دراسة عبدالغفار ٢٠١٠

الأنماط الإدارية وعلاقتها بأساليب التفكير

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على واقع الأنماط الإدارية التي تتبعها مديرات المدارس الثانوية بمدينة جدة، كما تهدف إلى تحديد أساليب التفكير و بروفيلات التفكير التي تستخدمها عينة الدراسة، وتحديد الفروق بين الأنماط الإدارية وأساليب التفكير في ضوء بعض المتغيرات مثل : التخصص العلمي، عدد سنوات الخبرة، عدد الدورات التدريبية . ومن ثم التعرف على العلاقة بين الأنماط الإدارية وأساليب التفكير لدى مديرات المدارس الثانوية . وتم إعداد مقياس لتحديد الأنماط الإدارية التي تتبعها مديرات المدارس الثانوية بمدينة جدة . كما أعتمدت الدراسة على مقياس هاريسون وبرامسون (Harrison&Bramson ١٩٥٢) لتحديد أساليب التفكير وبروفيلات التفكير لدي مديرات المدارس بمدينة جدة. ومن أهم نتائج الدراسة أن أكثر الأنماط الإدارية شيوعاً لدى عينة الدراسة هو النمط الديمقراطي ، يليه النمط الأتوقراطي، واخيراَ الترسلي. كما دلت نتائج الدراسة أن أسلوب التفكير التحليلي هو أكثر الأساليب انتشاراً لدى عينة الدراسة، يليه الأسلوب العملي، ثم الأسلوب المثالي ، ثم الأسلوبين التركيبي والواقعي بنسبة متساوية. أما عن بروفيلات التفكير السائدة لدى عينة الدراسة فدلت النتائج على أن بروفيل التفكير الشائع لدى عينة الدراسة هو أحادي التفكير، يليه ثنائي التفكير وجاء التفكير المسطح في المرتبة الثالثة، أما بروفيل ثلاثي البعد في التفكير فقد جاء في المرتبة الرابعة. كما اتضح من نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في الأنماط الأدارية وكذلك في أساليب التفكير باختلاف التخصص، وعدد سنوات الخبرة، وعدد الدورات التدربية . و أظهرت النتائج كذلك عددا من العلاقات بين الأنماط الإدارية وأساليب التفكير.

الدراسات المتعلقة بالالتزام الديني

١- دراسة الحمداني ٢٠٠٥

الالتزام الديني وعلاقته بموقع الضبط لدى طلبة الجامعة

هدفت الدراسة التعرف على مستوى الالتزام الديني لدى طلبة الجامعة .والتعرف على دلالة الفرق في الالتزام الديني لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيري: الجنس والتخصص .اتجاه موقع الضبط لدى طلبة الجامعة

بشكل عام كونه يتصف بأنه خارجي أم داخلي طبيعة العلاقة بين متغيري الالتزام الديني وموقع الضبط لدى طلبة الجامعة. وتحقيقاً لأهداف البحث فقد قامت الباحثة ببناء مقياس الالتزام الديني وقد احتوى المقياس بصورته النهائية يضم (٦٠) فقرة أما بالنسبة لمقياس موقع الضبط فقد طبقت الباحثة المقياس المعد من قبل الحلو (١٩٨٩) ،الإلتزام الديني ، وموقع الضبط : على عينة من طلبة كليات جامعة تكريت ومن الأقسام العلمية والإنسانية بواقع (١٤٠) طالبة و (١٤٠) طالباً فقد توصل البحث إلى النتائج التالية إن طلبة جامعة تكريت يتصفون بالتزام ديني عال والذكور أعلى من الإناث في درجة الالتزام الديني .ولا يختلف الذكور عن الإناث في موقع الضبط ، فموقع ضبط كل منهما داخلي الأقسام العلمية أعلى من الأقسام الإنسانية في درجة الالتزام الديني وجود علاقة ايجابية دالة إحصائياً بين متغيري الالتزام الديني وموقع الضبط الداخلي تبين وجود علاقة ضعيفة بين موقع الضبط الخارجي والالتزام الديني .وأشارت النتائج إلى وجود علاقة ايجابية دالة إحصائياً بين الدرجة الكلية على مقياس موقع الضبط ومتغير الالتزام الديني .

دراسة هادي ٢٠٠٤

الالتزام الديني لدى طلبة الجامعة في أقسام طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية وأقرانهم في الأقسام الأخرى

استهدف البحث الحالي التعرف على درجة الالتزام الديني لدى طلبة الجامعة. ودلالة الفروق في الالتزام الديني بين طلبة أقسام طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية وأقرانهم في الأقسام الأخرى.

دلالة الفروق في الالتزام الديني لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيري:

الجنس (ذكور، إناث) الصف (أول، رابع) وقد اقتصر البحث على طلبة الكليات التي تضم قسماً لطرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية في محافظة بغداد إذ بلغت (٤٩٨) طالباً وطالبة بواقع (٢١٦) طالباً و (٢٨٢) طالبة. وتحقيقاً لأهداف البحث بنت الباحثة مقياساً للالتزام الديني وقد أظهرت النتائج تمتع طلبة الجامعة بدرجة التزام ديني عالٍ وتفوق طلبة أقسام طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية على أقرانهم في الأقسام الأخرى في درجة الالتزام الديني.ولم يظهر أثر لمتغير الصف في درجة الالتزام الديني لدى الطلبة.

دراسة الحلو ٢٠٠٠

"تقدير الذات والالتزام الديني"

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف العلاقة بين تقدير الذات والالتزام الديني لطلبة جامعة بغداد للصفوف الأولية الأربعة للدراسات الإنسانية والعلمية على عينة مكونة من (١٥٠) طالب وطالبة جامعيين. وقد قامت الباحثة ببناء مقياس للالتزام الديني، وقد لجأت الباحثة إلى استخدام تحليل التباين من الدرجة الثانية، وأظهرت النتائج أن هناك تفاعلاً بين متغيري تقدير الذات والالتزام الديني. وأن هذا التفاعل ذو دلالة عند مستوى (٠,٠١) مما يعني أنه كلما زاد الالتزام الديني لدى الفرد وارتفعت درجته فإنه يؤدي

إلى زيادة في تقدير الفرد لذاته.

الفصل الثالث : إجراءات البحث

مجتمع البحث Population of the Research:

يتكون مجتمع البحث الحالي من طلبة المرحلة الثالثة في كلية التربية جامعة كربلاء للعام الدراسي ٢٠١٢-٢٠١٣ وللدراسات الصباحية فقط والبالغ عددهم (٤٠٦) طالبا وطالبة موزعين بحسب الجنس (ذكور – إناث)

القسم	الذكور	الإناث	المجموع
اللغة العربية	٢٠	٧٤	٩٤
اللغة الانكليزية	٨	٦٣	٧١
العلوم التربوية والنفسية	١٤	٥٤	٦٨
الجغرافية التطبيقية	١٣	٧٠	٨٣
التاريخ	٢٤	٦٦	٩٠
المجموع	٧٩	٣٢٧	٤٠٦

الجدول (١) يوضح مجتمع البحث

عينة البحث The Sample of Research

تألفت عينة البحث الحالي من ١٠٠ طالب وطالبة بواقع ٥٠ من الذكور و٥٠ من الإناث موزعين حسب أقسام كلية التربية للعلوم الإنسانية تم اختيارهم بالطريقة العشوائية والجدول رقم (٢) يوضح ذلك

القسم	الذكور	الإناث	المجموع
اللغة العربية	١٠	١٠	٢٠
اللغة الانكليزية	٨	١٠	١٨
العلوم التربوية والنفسية	١٢	١٠	٢٢
الجغرافية التطبيقية	١٠	١٠	٢٠
التاريخ	١٠	١٠	٢٠
المجموع	٥٠	٥٠	١٠٠

جدول رقم (٢)

أداتي البحث

١- أساليب التفكير

تم تبني مقياس أساليب التفكير المعد من قبل هاريسون وبرامسون والمترجم من قبل مجدي عبد الكريم حبيب ١٩٩٥ . حيث يتكون المقياس من خمسة مجالات مختلفة من أساليب التفكير وهذه الأنماط مرتبة بالتسلسل في المقياس و هي: التفكير التركيبي، التفكير المثالي، التفكير العلمي،والتفكير التحليلي، والتفكير الواقعي أ.ويتكون هذا المقياس من ١٨ فقرة ملحق (١) وكل فقرة عبارة عن جملة متنوعة بخمس إجابات محتملة، والمطلوب من الفرد اختيار احد الإجابات الخمس حيث تمثل كل اجابه احد أساليب التفكير .ويتم حساب عدد الإجابات على كل أسلوب من أساليب التفكير حيث تأخذ كل اجابة على اي اسلوب درجة واحدة ثم تجمع هذه الدرجات .

٢- الالتزام الديني

تم تبني مقياس الحمداني ٢٠٠٥ المطبق على طلبة الجامعة والذي يتمتع بالخصائص السيكومترية ويتكون المقياس من أربعة مجالات هي١- أساسيات الإيمان (العقائد) .١- العبادات ٣- العادات.٤- نظم و معاملات أسلامية وبذلك وضعت الباحثة خمسة بدائل للإجابة وهي (تنطبق علي دائماً تنطبق علي غالباً تنطبق علي أحياناً تنطبق علي نادراً لا تنطبق علي أبداَ) تعطى درجات عند تصحيح المقياس (٥أ ٤أ ٣أ ٢أ ١) على التوالي .

التطبيق النهائي

تم تطبيق المقياسين على عينة البحث البالغة ١٠٠ طالب وطالبة .

الوسائل الإحصائية

- الاختبار التائي لعينة واحدة

لإيجاد دلالة الفرق بين المتوسطين الفرضي والحسابي على مقياس الالتزام الديني

- معامل ارتباط بيرسون

استخدم لإيجاد العلاقة بين أساليب التفكير والالتزام الديني.

- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين

لايجاد دلالة الفرق بين الذكور والاناث على مقياس الالتزام الديني .

الفصل الرابع: عرض النتائج والتوصيات والمقترحات

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية وتفسير تلك النتائج على ضوء الأهداف المرسومة لها وهي

التعرف على أساليب التفكير لدى طلبة كلية التربية

لتحقيق الهدف الأول

أ-تم احتساب متوسط الدرجات لكل اسلوب من أساليب التفكير ولجميع أفراد عينة البحث الحالي البالغ عددهم ١٠٠) طالبـاً وطالب) والجدول (٣) يوضح الأساليب حسب متوسطها الحسابي لدى العينة .

جدول رقم (٣) أساليب التفكير حسب متوسطها الحسابي

ت	أساليب التفكير	الوسط الحسابي
١-	الأسلوب التركيبي	٥,٠٠
٢-	الأسلوب المثالي	٣,٩٩
٣-	الأسلوب العملي	٣,١٩
٤-	الأسلوب الواقعي	٣,١١
٥-	الأسلوب التحليلي	٢,٦٤

جدول رقم (٣)

الهدف الثاني : التعرف على أساليب التفكير وفق متغير الجنس (ذكور- إناث)

لتحقيق هذا الهدف تم استخراج الوسط الحسابي لكل من الذكور والإناث والجدول رقم (٤)يوضح ذلك

ت	اسلوب التفكير	متوسط الذكور	متوسط الإناث
١-	الاسلوب التركيبي	٥,٩٦	٤,٠٧
٢-	الاسلوب المثالي	٤,٢٢	٣,٧٦
٣-	الاسلوب العملي	٢,٨٤	٣,٥٤
٤-	الاسلوب الواقعي	٢,٧٦	٣,٤٧
٥-	الاسلوب التحليلي	٢,٢٢	٣,٠٥

جدول رقم (٤)

الهدف الثالث : التعرف على مستوى الالتزام الديني لدى طلبة كلية التربية لتحقيق هذا الهدف تم استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري والاختبار التائي لعينة واحدة لإيجاد الفرق بين المتوسطين الحسابي والفرضي والجدول رقم (٥) يوضح ذلك

عدد العينة	المتوسط الحسابي	والانحراف المعياري	المتوسط النظري	القيمةالتائية		مستوى الدلالة	درجة الحرية	النتيجة
				المحسوبة	الجدولية			
١٠٠	٢٤٨,٢٤	٢٧,٨٢٢٤	١٨٠	٢٤,٥٤	١,٩٦	٠,٠٥	٩٩	دالة

جدول رقم (٥)

ومن خلال النظر إلى الجدول (٥) يتضح إن الفرق بين المتوسطين دال حيث بلغت القيمة التائية المحســــوبة (٥٤أ٢٤) بينما كانت القيمة الجدولية (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (٩٩) وهذا يدل على وجود التزام ديني عال .

الهدف الثالث : تعرف العلاقة الارتباطية بين أساليب التفكير والالتزام الديني لدى طلبة كلية التربية جامعة كربلاء

لتحقيق هذا الهدف تم إيجاد معامل ارتباط بيرسون بين درجات الأفراد على مقياس أساليب التفكير

ودرجاتهم على مقياس الالتزام الديني والجدول رقم (٦) يوضح العلاقة بين أساليب التفكير والالتزام الديني مرتبة حسب درجة ارتباطها

يتضح من الجدول رقم (٦)انه لا توجد علاقة دالة بين أساليب التفكير والالتزام الديني وذلك بمقارنة قيم الارتباط بالقيمة الجدولية لمعامل ارتباط بيرسون والتي تبلغ (٠،٢٠).

اسلوب التفكير	معامل الارتباط
الاسلوب العملي	٠,١٢
الاسلوب التركيبي	٠,١٥-
الاسلوب المثالي	٠,١٨
الاسلوب الواقعي	٠,٠٢-
الاسلوب التحليلي	٠,٠٩-

جدول رقم (٦)

الاستنتاجات

توصلت الدراسة الحالية إلى النتائج الآتية

إن اسلوب التفكير التركيبي يأتي في مقدمة الأساليب التي يستخدمها طلبة كلية التربية وأخر اسلوب هو التحليلي .

إن طلبة كلية التربية يتسمون بالتزام ديني عال.

لا توجد علاقة ارتباطيه بين أساليب التفكير والالتزام الديني

التوصيات

توصي الدراسة الحالية بضرورة الاهتمام بأساليب التفكير لأنها العنصر الأساسي في شخصية الفرد.

التأكيد على تعزيز الوازع الديني لدى طلبة الجامعة .

المقترحات

إجراء دراسة حول علاقة أساليب التفكير بمتغيرات الشخصية .

إجراء دراسة حول أساليب التفكير الشائعة لدى مدرسي المرحلة الإعدادية .

المصادر:

- الحمداني ٢٠٠٥ أربيعة مانع زيدان طه الالتزام الديني وعلاقته بموقع الضبط لدى طلبة الجامعة رسالة ماجستير غير منشورة أجامعة تكريت.

- الحلو، بثينة منصور. (٢٠٠٠). "تقدير الذات والالتزام الديني"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد (٣٥).

- حاج أمين، عبد الحميد. (١٩٩٦). "الالتزام الديني وعلاقته بالتوافق النفسي لدى طلبة جامعة بغداد"، جامعة بغداد، كلية الآداب، (رسالة ماجستير غير منشورة).

- حبيب،مجدي عبد الكريم.(١٩٩٥)." نشاط النصفين الكرويين بالمخ كمحدد لاستراتجيات التفكير دراسة ميدانية في ضوء نظرية هاريسون وبرامسون وبعض متغيرات الشخصية". دراسات في- أنماط التفكير.

- حبيب،مجدي عبد الكريم.(١٩٩٥)." التحكم الذاتي والسمات الابتكارية المصاحبة للتفكير متعدد الأبعاد لدى طلاب المرحلة الجامعية". دراسات في أنماط التفكير.

- حنوش، زكي(١٩٩٩): الجوامع المشتركة لإشكاليات إدارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجامعات العربية، مجلة الفكر العربي، العدد(٩٧)، معهد الإنماء العربي، بيروت.

- جلال، عبد الفتاح (١٩٩٣): تجديد العملية التعليمية في جامعة المستقبل، مجلة العلوم التربوية، المجلد (١)، العدد (١)، جامعة القاهرة.

- الريماوي)٢٠٠٨)علم النفس العام أط ٣ أدار المسيرة أعمان .

- الزغبي . احمد محمد : (٢٠٠١) علم نفس الطفولة والمراهقة : الأسس النظرية : المشكلات وسبل معالجتها أدار زهران للنشر والتوزيع أ الأردن أعمان .

- ستيرنبرج. روبرت) ٢٠٠٤(أساليب التفكير، ترجمة: عادل سعد خضر ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- الطيب أعصام (٢٠٠٦(أساليب التفكير نظريات ودراسات وبحوث معاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة.

- عبد الغفار أ نورة عواد (٢٠١٠) الأنماط الإدارية وعلاقتها بأساليب التفكير لدى مديرات المدارس الثانوية بمدينة جدة أمجلة الآداب والعلوم الإنسانية م٤ع٢.

- العتوم أعدنان يوسف (٢٠٠٦):علم النفس المعرفي أدار المسيرة أط ٢ أعمان أالاردن.

- غالب،ردمان) ٢٠٠١ ("أنماط التفكير لدى معلمي الثانوية قبل الخدمة ".مجلة الدراسات الاجتماعية ع ١١.

- الفارس ، جاسم . (٢٠٠٢) الرسالة الإسلامية ..ع ٢٧٣. مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة بغداد.

- القوصي، عبد العزيز. (١٩٧٥). السمات النفسية اللازمة للشباب العربي في الوقت الحاضر، وقائع وبحوث المؤتمر الفكري الأول للتربويين العرب، بغداد: (٧-١٥) حزيران، ج٢، الجمعية التربوية للعلوم التربوية والنفسية، مطبعة الإرشاد.

- هادي ، ابتسام راضي .(٢٠٠٤(، الالتزام الديني لدى طلبة الجامعة في أقسام طرائق التدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية وإقرانهم في الأقسام الأخرى : رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد .
- المنصور، غسان ٢٠٠٧ أساليب التفكير وعلاقتها بحل المشكلات دراسة ميدانية على عينة من تلامذة الصف السادس الأساسي في مدارس مدينة دمشق الرسمية مجلة جامعة دمشق، مج٢٣، ع ١ .
- نجاتي، محمد عثمان . (١٩٨٩) .القرآن وعلم النفس : دار الشروق ، القاهرة . ط ٤ .
- نصر الله، نوال خالد حسن (٢٠٠٨):أنماط التفكير السائدة وعلاقتها بسيكولوجية التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة المرحلة الثانوية العامة في محافظة جنين، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين.

Grigorenko, E. & Sternberg, R . (1995). Styles of thinking in – the school . European Journal for High Ability . Vol. 6, pp. 201-219.

- Sternberg, R.J.(1988):mentalself-government atheory of intellectual styles and their, development human, development, vol. 31.

- Tomas. W. Lippman. (1982). Understanding Islam, An introduction to the Moslem. New York: American Library.

الملاحق

ملحق رقم (١)

مقياس أساليب التفكير المقدم لعينة البحث

أ: عندما أسمع الناس يتحدثون عن فكرة. أميل إلى تفضيل الجانب الذي:

١. يُعرّف ويُحاول إنهاء النزاع.
٢. يُعبر بشكل أفضل عن الأفكار والقيم المتضمنة.
٣. يَعكس بشكل أفضل وجهة نظري وخبرتي الشخصية.
٤. يَحتوي الموقف بالمنطق والاتساق والاستقامة.
٥. يُعبر عن الفكرة بشكل فعّال ومختصر.

ب: عندما أبدأ العمل في مشروع ما مع مجموعة، فأنا أهتم ب:

١. فهم أهداف وقيم المشروع.
٢. اكتشاف أهداف وقيم أفراد المجموعة.
٣. تحديد الخطوات التي يجب أن تتخذ لتنفيذ المشروع بفعالية.
٤. فهم كم سيحقق المشروع أرباح لي وللآخرين.
٥. تنظيم المشروع.

ج: في الكلام بشكل عام، أنا أستوعب الأفكار الجديدة بشكل أفضل عن طريق:

١. ربطها بالأنشطة الحالية و المستقبلية.

٢. تطبيقها في مواقف مجردة.

٣. التركيز والتحليل الحذر.

٤. فهم كيف أن هذه الأفكار الجديدة مشابهة للأفكار المعروفة.

٥. مقارنتها بأفكار أخرى.

د: بالنسبة لي المعلومات في أي كتاب أو تقرير هي عادة:

١. مهمة جدًا إذا أظهرت حقيقة النتائج.

٢. مهمة فقط لفحص دقة الحقائق.

٣. مفيدة، إذا دعمت ووضحت من قبل المؤلف.

٤. مهمة فقط من حيث استخلاص النتائج منها.

٥. ليست مهمة لي لا أكثر ولا اقل من معرفة المألوف.

ه: إذا وضعت في موقع مسؤولية عن مشروع، من المحتمل أن أبدأ ب:

١. محاولة معرفة مدى ملائمة المشروع من وجهة نظر خارجية

٢ اتخاذ قرار كيف يتم المشروع بالوقت والمبلغ المتوفر.

٣. توقع النتائج المحتملة .

٤. تحديد ما إذا كان المشروع سينفذ أو لا.

٥. محاولة صياغة المشكلة بشكل كلي ما أمكن.

و: إذا طلب مني جمع معلومات من الناس، سأفضُل:

١. تشكيل رأي خاص بالحقائق والقضايا، ومن ثم أسأل أسئلة محددة.

٢. عقد اجتماع مفتوح وأطلب منهم إعطاء وجهات نظرهم.

٣. مقابلتهم بمجموعات صغيرة وتوجيه أسئلة عامة لهم.

٤. اللقاء بشكل غير رسمي مع أُناس مهمين، للحصول على أفكارهم.

٥. اطلب منهم إعطائي معلوماتهم بشكل مكتوب.

ز: من المحتمل أن أعتقد بأن شيء ما حقيقي:

١. إذا كان مخالف للرأي المقابل.

٢. إذا تلاءم) تطابق (مع أشياء أخرى اعتقد أنها حقيقية .

٣. إذا أثبت انه جيد عن طريق الممارسة.

٤. إذا كان منطقيًا وعلميًا.

٥. إذا أمكن تحقيقه بشكل واقعي ملموس.

ح: يمكن أن أشارك بشكل أكبر إذا طلب مني:

١. تعريف أهداف وأغراض المشروع.
٢. تحديد الأولويات بين المشاريع المتنافسة .
٣. تحديد كيفية توفير الوقت والمال في المشروع
٤. تحديد الآثار العملية المترتبة للمشروع.
٥. تحديد وتعيين المصادر اللازمة لتنفيذ مشروع.

ط: عندما أقرأ كتاب غير خيالي أعطي انتباه أكبر إلى:

١. علاقة النتائج بخبراتي الخاصة.
٢. ما إذا كانت التوصيات قابلة للتحقيق على أرض الواقع .
٣. صلاحية النتائج للتخزين مع البيانات .
٤. فهم الكاتب للأهداف والأغراض.
٥. المصادر التي اشتقت منها البيانات.

ي: عندما يكون لدي عمل أقوم به،فإنه أول شيء أريد معرفته هو:

١. ما الأسلوب الأفضل للحصول على العمل منجزًا ؟
٢. من يريد العمل ومتى ؟
٣. لماذا يستحق العمل القيام به ؟
٤. ما الذي يؤثر عليه ويمكن أن يؤثر على أعمال اخرى محتملة ؟
٥. ما المصلحة الفورية من وراء القيام بهذا العمل ؟

ك: أنا عادة أتعلم أكثر حول كيفية القيام بشيء جديد عن طريق:

١. فهم كيف يرتبط بأشياء أخرى اعرفها.
٢. البدء بممارسته بالسرعة الممكنة .
٣. الاستماع لوجهات نظر مختلفة حول كيفية القيام به .
٤. أن يكون هناك من يرشدني على كيفية القيام به.
٥. تحليل كيفية عمله بالطريقة الأفضل.

ل: إذا كنت في موضع اختبار ما أفضل أن يكون الاختبار عن طريق :

١. أسئلة موضوعية(اختيار متعدد) موجهة حول الموضوع.
٢. إجراء مناقشة مع آخرين يتم فحصهم أيضا .
٣. تقديم أو عرض شفوي يغطي ما اعرفه.
٤. تقرير غير رسمي حول كيفية قيامي بتطبيق ما تعلمته.
٥. تقرير مكتوب يغطي الخلفية، السؤال والأسلوب.

م: الناس الذين أحترم قدراتهم بشكل اكبر هم أقرب أن يكونوا من:

١. الفلاسفة والمستشارين.

٢. الكتاب والمعلمين .

٣. رجال الأعمال والقادة .

٤. الاقتصاديون والمهندسين.

٥. الصحفيين.

ن: أجد فكرة ما مفيدة إذا كانت:

١. تتناسب مع الأفكار التي تعلمتها وأطبقها.

٢. توضح الأشياء لي بطريقة جديدة مؤثرة.

٣. تستطيع أن توضح عددًا من المواقف المرتبطة ذات العلاقة بشكل نظام

٤. توضيح خبرتي الخاصة وملاحظاتي.

٥. تطبيقها على أرض الواقع.

س : عندما يقدم احدهم توصية أفضل أن يكون:

١. قد بين بوضوح الأهداف التي ستتحقق.

٢. قد بين بوضوح كيف يمكن تطبيق التوصية.

٣. قد بين كيف ستقوم التوصية بدعم الهدف الكلي .

٤. قد خزّن التوصية وأرفقها بالبيانات وبخطة.

٥. قد أخذ في عين الاعتبار الإيجابيات والسلبيات.

ع : من المحتمل جدًا أن أقوم بقراءة كتاب حول موضوع غير مألوف بسبب:

١. اهتمامي بتحسين معرفتي الفنية.

٢. أنني أخبرت انه سيكون مفيدًا من قبل شخص احترمه.

٣. رغبة بالمعرفة أكثر حول كيف يفكر الآخرون.

٤. رغبة بإيجاد أفكار فيها تحدٍ لي.

٥. رغبة بتعلم الموضوع المحدد الذي سيفيدني.

ف : عندما أدخل في مشكلة لأول مرة يحتمل أن :

١. أحاول ربطها بمشكلة أو نظرية خارجية.

٢. أنظر في طرق للحصول على حل سريع للمشكل.

٣. أفكر في عدد من الطرق المختلفة لحلها .

٤. أبحث عن طرق قام الآخرون بحل المشكلة من خلالها.

٥. أحاول إيجاد الطرق الأفضل لحلها.

ص: أنا أكثر ميلا إلى:

١. إيجاد طرق العمل، واستخدامها حيث أمكن.

٢. التنبؤ حول كيف تعمل الأنماط المختلفة معًا.

٣. البحث عن الجنسية بغض النظر عن الثمن.
٤. التفتيش عن طرق جديدة لعمل الأشياء.
٥. أكون غير را ض حتى أجد الطريقة الأفضل.

ملحق رقم(٢)
مقياس الالتزام الديني المقدم لعينة البحث

عزيزي الطالب   عزيزتي الطالبة
تحية طيبة
فيما يأتي مجموعة من الفقرات التي تتعامل معها في حياتك اليومية والتي تمت صياغتها وفق الأسلوب الذي ستراه لاحقا . يرجى قراءة تلك الفقرات بإمعان وتحديد رأيك بكل فقرة بدقة وصراحة بوضع علامة (ü) وفق ما يتناسب معك حقيقة ، فإذا كانت الفقرة تنطبق عليك دائما فضع علامة (ü) تحت عبارة : (تنطبق عليَ دائما) ، أما إذا كانت تنطبق عليك كثيرا فضع العلامة (ü) تحت عبارة : (تنطبق عليَ كثيراً) ...... وهكذا .

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
١	امتنع عن شراء السلع التي فيها شبهة مهما كانت رخيصة الثمن					
٢	عندما أتفكر في خلق السموات والأرض أتصور عظمة قدرة الله تعالى					
٣	أؤمن إن الحجاب واجب على المرأة المسلمة البالغة					

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٤	اعتدت الالتزام بالوعود والمواثيق					
٥	اعتبر أن النظام الاقتصادي الإسلامي هو أصلح النظم الاقتصادية في العالم.					
٦	اضبط أعصابي ولا أتلفظ بأية ألفاظ تكفيرية مهما أثيرت أعصابي .					
٧	عندما استدين أو يستدان مني فأني اكتب الدين .					
٨	أؤمن بان الإقتداء بالسنة النبوية هو القدوة الأولى في جميع أعمالي .					
٩	أؤمن بأن الله هو الذي يرزق من يشاء					
١٠	الأيمان بوجود الملائكة حقيقة وليس وهماً .					
١١	ابتعد عن التعامل مع المصرف العقاري لان فوائده محرمة .					

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
١٢	أؤمن بأن الله تعالى يعينني على الحياة كلما كنت مطيعا له .					
١٣	التصديق بالرسل والأنبياء جميعهم سمة أساسية من سمات المؤمنين .					
١٤	أقدم مصلحة الآخرين على مصلحتي .					
١٥	لا أتعاطى الرشوة ولا اقبل انتشارها وتفشيها .					
١٦	أتجنب سماع ألاغاني الفاحشة					
١٧	الغش في الامتحانات لا يقره الإسلام .					
١٨	اعتقد إن الأيمان بالقدر هو هروب من إرادة الفرد وقدرته على مواجهة الظروف .					
١٩	أصوم شهر رمضان بكل معاني الصيام					

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٢٠	العلوم الدينية تزيد الإنسان معرفة بالله وأوامره ونواهيه .					
٢١	أقاوم ضغوط أعداء الإسلام .					
٢٢	اعتقد أن الشك بوجود الحساب يزيد الفرد في وقوعه في متاهة					
٢٣	أرى أن مراسيم الزواج الحالية تتعارض مع الشريعة الإسلامية .					
٢٤	اعتقد أن ما جاء بالقرآن الكريم يتلاءم مع بعض متطلبات العصر .					
٢٥	اعتقد أن المسلم الذي يستطيع الحجَ ولا يحج يبقى مداناً لله .					
٢٦	تزداد عزيمتي عندما اذكر اسم الله .					
٢٧	اعتقد أن الاعتداء على الملكية العامة اشد حرمة في الإسلام من الاعتداء على الملكية الخاصة .					

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٢٨	اكتب وصيتي دائما .					
٢٩	تعودت أن اشمت العاطس فأقول له : (يرحمك الله) .					
٣٠	اقتصر في تحيتي على عبارة السلام عليكم ولا استعمل عبارات دخيلة مثل صباح ومساء.					
٣١	أؤدي صلاة الفجر في وقتها .					
٣٢	التزم بتوزيع الأرباح حسب ما أمر به الشرع على شركائي في العمل .					
٣٣	أتحاشى القسم في البيع والشراء .					
٣٤	اذكر الله بلساني وقلبي .					
٣٥	الجأ إلى الله تعالى بالدعاء وقت الضيق					

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٣٦	التزم بما يقر عليّ من زكاة الفطر .					
٣٧	يبارك الله في رزقي كلما تصدقت.					
٣٨	اختار الصديق المؤمن .					
٣٩	أتجنب النظر إلى المحرمات .					
٤٠	يعجبني الملتزمون بالوزن الدقيق .					
٤١	اشعر إن أدائي للفرائض الدينية يجعلني شخصا أفضل .					
٤٢	أتفكر في معاني القرآن الكريم عند تلاوته .					
٤٣	إذا دعت الحاجة لا اقسم إلا بالله تعالى وحده فقط .					

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٤٤	أفضل صفة التدين على صفة الجمال على صفة الجمال في اختيار شريك الحياة .					
٤٥	احرص على إقامة علاقات طيبة مع الجيران .					
٤٦	امتلك دافع الجهاد في سبيل الله .					
٤٧	لا أتجاوز حدود الشرع في علاقتي مع الجنس الآخر .					
٤٨	أسعى لزيارة أولي الأرحام على الرغم من كثرة أعمالي .					
٤٩	اقتدي بعادات السلف الصالح ولا اقتدي بعادات الغرب .					
٥٠	التزم بالحفاظ على الدار التي استأجرتها من الآخرين .					
٥١	أؤدي صلاة الجنازة على أموات المسلمين كلما استطعت .					

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي كثيرا	تنطبق علي أحيانا	تنطبق علي نادرا	لا تنطبق علي أبدا
٥٢	أتمنى الصلاح للا أشرار ولا احقد عليهم .					
٥٣	اشعر بالأمان والاطمئنان أكثر عندما أتوكل على الله .					
٥٤	اشعر بالحياء عندما أتحدث مع الكبار .					
٥٥	اكره التدخين لأنه مخالفة شرعية .					
٥٦	اعترف بأخطائي ولا أصر عليها .					
٥٧	ارفض التعامل مع الأجانب المحتلين .					
٥٨	أيماني باليوم الآخر له تأثير على تعاملي مع الناس .					
٥٩	لا ابخس الناس أشياءهم عند البيع والشراء .					
٦٠	احرص على تحسين أدائي للواجبات الشرعية .					



ظاهرتا التذكيـــر والتأنيـــث في السياقات القرآنية

أ.م.د. وفاء عبّاس فيّاض

كليّة العلوم الإسلاميّة / جامعة كربلاء
قسم اللغة العربيّة

الملخّص

تقوم فكرة البحث على إيـراد جملة من الآيات القرآنية المتشابهة في سياقاتها، ولـكـن قـد تـرد أحـدهـما بالتذكير والآية الأخرى بالتأنيث، ويعد ذلك من المواطن التي تتفاضل فيها الآيات المباركات، وتجعلها تصل إلى درجة الإعجاز القرآني الذي أراده الله سبحانه وتعالى في مخاطبة بني البشر. ولذلك فان عدّ الآية من المتشابه يعني حاجتنا إلى بيان سبب اختيار هذا المنحى اللغوي أو النحوي دون غيره في النص القرآني؛ ولذلك فالآية القرآنية بحاجة إلى تبيين علة ذلك. وعليه فالتعبير القرآني يتجاوز المظهر الشكلي للآية إلى دواعٍ سياقية أو دلالية يمكن أن يكشف عنها عند تفحص الآية وما يحيط بها، ولذلك نجد أن القرآن الكريم لا يخضع لقواعد النحو بقدر ما يكون المعنى هو الحاكم في كل ذلك فمرة يكون التأنيث أجود ومرة يكون التذكير أجود بحسب القصد والسياق طال الفصل أم قصر.

يرى بعض الباحثين أن بعض اللغات البدائية لا تفرّق بين المذكّر والمؤنّث، فتستعمل صيغة واحدة في الضمائر والأفعال، وبعض اللغات الأرقى تميّز بين المذكّر والمؤنث في الضمائر، ولكنها لا تفرّق بينهما في الأفعال ولا في الصفات (١). وهذه الأمور محسومة في اللغة العربية، ومحدّدة بتفصيل ودقة. وربـمّا كانت اللغة العربية اليوم من أكثر اللغات اهتماماً بالتفريق بين المذكر والمؤنّث. وكلما زادت الآلة رفعة وتقدماً ودقة، زادت وظائفها، وتقدّمت صناعتها، ودقّت أجهزتها، وتنوّعت استعمالاتها، وكذلك هي اللغة.

ولذا تعد ظاهرة التذكير والتأنيث من الظواهر الطبيعية الموجودة في اللغة العربية إلا أنها: ((تفرق العربية بين المذكر والمؤنث، فللمؤنث لواحق، وليس للمذكر شيء، هذا النوع المعبر عنه بالمؤنث (نوع نحوي)، لا ينطبق على النوع الطبيعي الجنسي، فقد يتوافق معه، وقد يختلف عنه تماماً. ومن ذلك أنّ الكلمات التي تعبر عن حالات مؤنثة بصورة نوعية تتمثل عادة بغير لاحقة تأنيث نحو:عاقر، وحامل، ومرضع))(٢).

والـذي يعنيه بـ(النوع النحوي) أو ما يسمى بالمؤنث نحوياً أنه تجري معاملته في الجملة بكونه مؤنثاً، ويتم ذلك عبر القرائن اللفظية من وجود تاء التأنيث الساكنة أو المتحركة اللاحقة للفعل وهي تاء الفاعل المخاطبة أو التاء اللاحقة للأسماء أو الهاء للمؤنث أو الألف المقصورة أو الممدودة .

وعلى العموم فإن التأنيث يعدّ فرعا عن التذكير، إذ المذكر هو الأول ثم يلحق به ما ينقله إلى حالة التأنيث. فالمذكر لا يحتاج إلى علامة لتدل على تذكيره في حين يحتاج المؤنث إلى علامة خاصة. وقد تكون تلك العلامة لاحقة به، وقد تكون لاحقة ببعض ما يتعلق به من ألفاظ في الجملة أو كما يقول سيبويه(٣): الأشياء كلها أصلها التذكير، تختصُّ بعد ذلك (يعني التأنيث) فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول، ويقول سيبويه: ((اعلم أن المذكر أخفّ عليهم من المؤنث، لان المذكّر أول، وهو أشدّ تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أن الشيء يقع على كلّ ما أخبر عنه قبل أن يعلم أذكرّ هو أو أنثى ؟ والشيء ذكر)) (٤).

ومن الجدير بالذكر ههنا أن أحمد أمين حكى عن امرأة إنجليزية كانت تتعلم عليه العربية، اعتراضها على تأنيث الشمس وهي قوية، وتذكير القمر، وهو لطيف وديع، وكـان الأولـى– في رأيها – أن تذكر العربية الشمس، وتؤنث القمر، كما يفعل الإنجليز (٥). وفي الحقيقة فاتها أن تأنيث الشمس ليس جنساً حقيقياً، بل هو جنس نحوي، وهذا التأنيث في الشمس دون التأنيث في فاطمة وغزالة. ولهذا قال النحاة إنها مؤنث مجازي، فيقال: طلع الشمس، وطلعت الشمس، وما بقي من التأنيث في الشمس فلأنها مصدر الحركة والحياة والتكاثر والنماء على الأرض– كما المرأة في الحياة الإنسانية – ولا تتأتى الحياة من دونها، كما لا تتأتى من دون المرأة، وليس للقمر هذه المزية. ورحم الله أبا الطيب حين قال:

وما التأنيث لاسم الشَّمْسِ عيبٌ

ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

حتى عدّ ذلك من معانيه التي تفرد بها(٦) .

((وليس غريباً – بعد ذلك – أن يعدّ النحاة التذكير في العربية أصلاً، والتأنيث فرعاً عنه، كما خلقت حواء من آدم – عليهما السلام – مما يدل على أصالة هذه اللغة، وذوقها الرفيع .

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد خلق من كل شيء زوجين: من الأنـاسّي، والأنعام، والبنات، حتى

الجهاد- إذا تأملناه- ومصادر الطاقة والحركة والحياة، فإن من دقّة هذه اللغة، وروعة الإحساس بالوجود فيها، وتكاملها مع عناصر الكون، ونبصر الحركة، ودفق الحياة أن تحتفل احتفالاً بالغاً بقضية التذكير والتأنيث، وتعطي هذا الجانب دقة لا نجدها في غيرها من اللغات، وتتمتع برهافة لا تتأتي إلا من عايش هذه اللغة، ولامست منه حبّة القلب وشغافه.

وفي ضوء هذا المنهج من الدقة والتفصيل قسم الاسم في العربية على مذكّر ومؤنّث، سواء كان مفرداً أو مثنى أو جمعاً، وتأثر بذلك أيضاً الفعل، والخبر، والصفة، والحال، والعدد، وغيرها، ووضع لكل حالة الضمير المناسب لها، بارزاً أو مستتراً، منفصلاً أو متصلاً، ضمير رفع أو ضمير نصب، دالاً على ما يعبّر عنه من تذكير أو تأنيث، وامتد هذا التقسيم إلى أشياء أخرى: كأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وقسّم المؤنث إلى حقيقي ومجازي، وإلى لفظي ومعنوي (١).

الآيات المتشابهات في القرآن الكريم:

مما يلفت الانتباه في دراسة القرآن الكريم وجود آيات متشابهات ورد في بعضها بالتذكير وفي بعضها الآخر بالتأنيث. ويعد ذلك من المواطن التي تتفاضل فيها الآيات المباركات وتجعلها تصل إلى درجة الإعجاز القرآني الذي أراده الله سبحانه وتعالى في مخاطبة بني البشر.

وبعد استقراء بعض آيات القرآن الكريم نجد أن هنالك آيات عدة يستطيع الباحث أن يعدّها من المتشابه القرآني وهي ورود آيات مباركة تتشابه في سياقها مع آية أخرى ولكن التعبير القرآني يعامل اللفظة مرة على حقيقة أمرها الأول بأنها مؤنثة ومرة أخرى ما ظاهره أنه يعاملها معاملة المذكر؛ ولذلك فالآية القرآنية بحاجة إلى تبيين علة ذلك.

تذكيرالفعل و تأنيثه:

يرى النحاة (٧) أن تاء التأنيث تلزم الفعل في موضعين: أحدهما: أن يسند الفعل إلى ضمير مؤنث متصل، ولا فرق في ذلك بين المؤنث الحقيقي والمجازي، فتقول: هند قامت، والشمس طلعت، وهند تقوم والشمس تطلع، ولا تقول: قام ولا طلع؛ فإن كان الضمير منفصلا لم يؤت بالتاء، نحو: هند ما قام إلا هي.

الثاني: أن يكون الفاعل ظاهرا حقيقي التأنيث غير مفصول عن الفعل نحو: قامت هند.

والذي يفهم من كلام النحويين أن التاء لا تلزم في غير هذين الموضعين، أما المؤنث المجازي الظاهر فلا تلزمه التاء، فتقول: طلع الشمس، وطلعت الشمس، وقد يبيح الفصل ترك التاء، في نحو: أتى القاضي بنت الواقف، فإذا فصل بين الفعل وفاعله المؤنث الحقيقي بغير (إلا) جاز إثبات التاء وحذفها، والأجود الإثبات، فتقول: أتى القاضي بنت الواقف، والأجود: أتت وتقول: قام اليوم هند، والأجود: قامت.

فإن فصل بين الفعل والفاعل المؤنث بـ (إلا) لم يجز إثبات التاء عند الجمهور، فتقول: ما قام إلا هند، وما طلع إلا الشمس ولا يجوز ما قامت إلا هند، ولا ما طلعت إلا الشمس، وقد جاء في الشعر كقوله: وما بقيت إلا الضلوع الجراشع

هذه مجموعة من القواعد التي تخص الفعل من حيث لزومه تاء التأنيث وعدمها عندما يكون المؤنث حقيقيا أم مجازيا مفردا، أما في حالة الجمع فإنه إذا أسند الفعل إلى جمع: فإما أن يكون جمع سلامة لمذكر لم يجز اقتران الفعل بالتاء، فتقول: قام الزيدون، ولا يجوز: قامت الزيدون.

أما إذا كان جمع تكسير لمذكر كالرجال، أو لمؤنث كالهنود، أو جمع سلامة لمؤنث كالهندات، فيجوز فيها إثبات التاء وحذفها، فتقول: قام الرجال، وقامت الرجال، وقام الهنود، وقامت الهنود، وقام الهندات، وقامت الهندات، فإثبات التاء لتأوله بالجماعة، وحذفها لتأوله بالجمع. قال تعالى:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾(الحجرات١٤) وقال تعالى:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾(يوسف٣٠).

وذكر الفراء أن تذكير الفعل في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾(يوسف٣٠) ونحوه يدل على القلة بخلاف التأنيث. قال:((ومثله: ﴿ وقال نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ فذكَّر الفعل لقلَّة النسوة ووقوع (هؤلاء) عليهن كما يقع على الرجال. ومنه قوله:﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾(٨) ولم يقل: انسلخت، وكلٌّ صواب. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ﴾(٩) لقلّتهن ولم يقل (تلك) ولو قيلت كان صوابا)) (١٠).

ويرى الدكتور فاضل السامرائي(١١) صواب هذا الرأي بدليل استعمال القرآن الكريم التأنيث أحيانا لدلالة على الكثرة بخلاف التأنيث قال تعالى:﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(آل عمران١٨٣).

فقال(قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ) بتذكير الفعل. وقال تعالى:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الأعراف٤٣) فأنث الفعل ، والفرق واضح بين الأمرين فإن الأولى خطاب لبني إسرائيل فقال لهم((قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ) والثانية في رسل الله جميعا لأن الكلام على لسان أهل الجنة في الآخرة فالرسل في الآية أكثر عددا مما في الآية الأولى فأنث الفعل للكثرة وذكّر للقلة. وقال أيضا:﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(الأعراف ٥٣) وهذه الآية نظيرة الآية السابقة فإن الكلام في الآخرة أيضا فأنث الرسل للدلالة على الكثرة والله أعلم.

ولذلك نرى أن عدّ الآية من المتشابه يعني حاجتنا إلى بيان سبب اختيار هذا المنحى اللغوي أو النحوي دون غيره في النص القرآني. فمن ذلك ما جاء من قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾(هود٦٧) وقوله تعالى في موضع آخر:﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾(هود٩٤). فقد أنث الفعل(أخذت) لإسناده إلى(الصيحة) في الآية الثانية ولم يؤنث الفعل (وأخذ) في الآية الأولى، مع أنه مسند إلى (الصيحة) أيضا.

فمن الناحية النحوية يعدّ هذا الاستعمال مجوزا لتأنيث الفعل أو البقاء على تذكيره في حالة إذا فصل بينه وبين فاعله المؤنث بفاصل وهو ما قال به النحويون، على أن الأمر في التعبير القرآني يتجاوز هذا المظهر الشكلي إلى دواعٍ سياقية أو دلالية يمكن أن يكشف عنها عند تفحص الآية وما يحيط بها، وقد ذكر في علة هذا المنحى وهو السؤال عن سقوط علامة التأنيث من الفعل في قوله: (وَأَخَذَ) في قصة صالح، وثبوتها فيه في قصة شعيب مع التساوي في الفاعل وهي الصيحة والتساوي في الفصل الواقع بين الفعل وفاعله الرافع له؟ قولهم:

((أن التأنيث على ضربين حقيقي وغير حقيقي، فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل نحو قام اليوم هند، وكلما كثر الفصل حسن الحذف، ومن كلامهم حضر القاضي اليوم امرأة، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعاً. وأما التأنيث غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حسن، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾(البقرة ٢٧٥)، وهو كثير، فإن كثر الفصل ازداد حسناً، (ومنه) ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾(هود٦٧)، فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن، فجاء الفعل في الآية الأولى على الأولى، ثم ورد في قصة شعيب وهي الثانية بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني، جمعاً بين الوجهين إذ الآيتان في سورة واحدة وتقدمها الأولى على ما ينبغي، والله أعلم.)) .(١٢)

ويبدو أن الأمر ليس على هذه الصورة لأن تذكير وتأنيث (الصيحة) جاء بما يلاءم السياق الذي وضعت فيه، فجاءت (الصيحة) بالتذكير في قصة صالح وكانت في معنى العذاب والخزي إذ كانت منتظمة بقوله تعالى:﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾(هود٦٦) فصارت (الصيحة) عبارة عن ذلك الخزي وعن العذاب المذكور في الآية فقوي التذكير بخلاف قصة شعيب فإنه لم يذكر فيها ذلك (١٣).

ويعلل آخرون ذلك بقولهم:((التذكير والتأْنيث حَسَنان، لكنَّ التذكير أَخفّ في الأُولى. وفي الأُخرى وافق ما بعدها وهو﴿ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾(هود ٩٥).)) (١٤).

ويذكر الخطيب الإسكافي(ت٤٢١هـ) أن السبب في هذا المجيء هو أنه((لمّا جاءَت في قصّة شُعَيْب مرّةً الرّجْفة﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾(١٥)، ومرّة الظُّلَّة﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ (١٦)، ومرّة الصّيحة﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ ﴾(١٧)، ازداد التَّأْنيث حُسْناً.))(١٨)

والمعنى هو الحاكم في سياق هذه الآيات المباركة إذ جمع لهم بين الثلاثة فإن الرجفة بدأت بهم فاصحروا إلى الفضاء خوفا من سقوط الأبنية عليهم فصهرتهم الشمس بحرها ورفعت لهم الظلة فأهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس فنزل عليهم منها العذاب وفيه الصيحة فكان ذكر الصيحة مع الرجفة والظلة أحسن من ذكر الصياح وكان ذكر التاء والله أعلم (١٩).

ويرى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أن التأنيث الحقيقي أقوى من التأنيث غير الحقيقي (٢٠) ولذلك وجب تأنيث فعله سواء كان مسنداً إلى ظاهر الاسم، أو إلى ضميره نحو: خرجت المرأة، والمرأة خرجت، وسارت الناقة، والناقة سارت، ولو قلت: جاء هند لم يجز، فإن فصل بينهما جاز نحو: جاء اليوم هند، وإذا كان التأنيث غير حقيقي لم يلزم تأنيث الفعل إذا كان مسنداً إلى ظاهر الاسم نحو: طلعت الشمس، وطلع الشمس، فإن فصل بينهما حَسُنَ أن تقول: طلع اليومَ الشمسُ، قال الله تعالى:﴿ فَمَنْ جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ (٢١) وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٢٢)، وإن كان الفعل مسنداً إلى الضمير فإلحاق العلامة هو الوجه نحو: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (٢٣) و﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾(٢٤ ( ))(٢٥).

أما الدكتور فاضل السامرآئي (٢٦) فالذي يراه أن هذا الكلام ليس على إطلاقه وإنما الذي يقرره المعنى، فليس إثبات التاء في الحقيقي التأنيث أجود، ولا إذا طال الكلام كان الحذف أجمل سواء كان المؤنث حقيقيا أم مجازيا ودليله على هذا كلام الله تعالى:﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾

(البقرة ٢٧٥)، وقال:﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ ﴾(يونس ٥٧) فذكرّ الفعل في الأولى مع أن الفصل أقل لأنه بالهاء وحدها وأنّث في الثانية مع أن الفصل أكثر لأنه بـ (كم).

وقال تعالى:﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(البقرة ٢٥٣) وقال:﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(آل عمران ١٠٥) فمرة أنث ومرة ذكّر والفصل واحد، والحاكم في ذلك هو المعنى؛ لأن (البينات) (٢٧) أنثها حيث كانت بمعنى العلامات الدالة على النبوات قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ، سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ...﴾(البقرة ٢٠٨-٢١١).

فأنث (البينات) لأنها بمعنى الآيـات البينات أي العلامات المظهرة للنبوات والدلائل. وقال تعالى:﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(البقرة٢٥٣) والبينات هنا أيضا بمعنى المعجزات والآيات الدالة على النبوات آلا ترى إلى قوله تعالى:﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (النساء ١٥٣) فقوله (البينات) تعني الآيات الدالة على النبوات والمعجزات وذلك ظاهر ألا تراها منتظمة مع ما سأله أهل الكتاب من الآيات؟

في حين استعملها مذكرة في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(آل عمران١٠٢-١٠٥) وذلك لأنها بمعنى الأمر والنهي أو بمعنى الدين أو حبل الله وليست بمعنى الآيـات الدالة على النبوات، ألا تراها منتظمة في سياق الأمر والنهي وليست في سياق الآيات والمعجزات.

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾(الممتحنة ١٠) فحذف التاء مع أنه حقيقي التأنيث. وعلى قول النحاة يكون هذا خلاف الأجود.

وبناء على ما تقدم نجد أن القرآن الكريم لا يخضع لقواعد النحو بقدر ما يكون المعنى هو الحاكم في كل ذلك فمرة يكون التأنيث أجود ومرة يكون التذكير أجود بحسب القصد والسياق طال الفصل أم قصر.

ومما ورد في بيان تأنيث الفعل أو تذكيره من المتشابه القرآني قوله تعالى:﴿ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الممتحنة٤) وبعدها جاء قوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾(الممتحنة٦) فأنّث في الأولى وذكّـر في الثانية، وقد علل الفيروز آبـادي هذا الاستعمال بقوله:((أَنَّث الفعل الأَوّل مع الحائل، وذكَّر الثَّاني، لكثرة الحائل. وإِنَّما كَرّرَ، لأَنَّ الأَوّل في القول؛ والثَّاني في الفعل. وقيل: الأَوّل في إِبراهيم، والثَّاني في محمّد (صلَّى الله عليه(وآله) وسلَّم))

(٢٨). ويعني بكثرة الحائل أنه فصل ما بين الفعل (كان) واسمه بأكثر من فاصل وهما (لكم، فيهم). وهذا يعني أنّ الفعل كلما فصل عن الفاعل المؤنث أو بمنزلته أمكن عدم تأنيثه. ويعني هذا أن الفعل إذا أُسند إلى فاعل مؤنث أو ما كان بمنزلته يجب تأنيثه إلا إذا فصل بينهما بفاصل أو أكثر فعندئذ أمكن تذكيره.

تأنيث الضمير وتذكيره:

أما قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾(النحل٦٦). فجاءت بالتذكير في(بطونه)، وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(المؤمنون٢١) فوردت بالتأنيث في(بطونها). فقد قال في الآية الأولى (في الأنعام) ثم (مما في بطونه) وفي الآية الثانية قال (في الأنعام) ثم (مما في بطونها).

وعلل الكرماني(ت ق٦هـ) ذلك بقوله: ((لأن في هذه السورة (يعني: النحل) يعود إلى البعض(كذا) وهو الإناث لأن اللبن لا يكون للكل. فصار تقدير الآية: وإن لكم في بعض الأنعام، بخلاف ما في المؤمنين، فإنه لمّا عطف ما يعود على الكل (كذا) ولا يقتصر على البعض(كذا) وهو قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا . . ﴾(المؤمنون٢١-٢٢) لم يحتمل أن يكون المراد البعض (كذا)، فأنّث حملا على الأنعام، وما قيل: إن (الأنعام) ههنا بمعنى النعم لأن الألف واللام يُلحِق الآحادَ بالجمع والجمعَ بالآحاد حسنٌ؛ إلا أن الكلام وقع في التخصيص. والوجه ما ذكرت. والله أعلم.)) (٢٩).

فاللطيفة التي نلمحها في الآية الأولى تكمن في استعمال ضمير المذكر لا المؤنث الذي يتناسب مع واقع حال استفادة اللبن من الإناث أي إناث الأنعام لا من ذكورها وهو ما يعني عودة الضمير على تقدير(بعض الأنعام) وهو ما يعني به من ناحية نحوية حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو مسلك تسلكه العربية ويسلكه البيان القرآني كما في قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾(يوسف٨٢).

ويمكن تعضيد قول الفيروز آبادي من خلال أن توجه الآية من سورة (النحل) كان نحو أسقاء اللبن الخالص من الأنعام على حين كان توجه الآية من سورة (المؤمنون) نحو عموم المنفعة من الأنعام. ويتضح ذلك مماثلاً لفظة (الأنعام) فالأولى قالت:﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾(النحل٦٦) وقالت الثانية:﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(المؤمنون٢١).

وعلى هذا يكون الضمير في(بطونه) مشيراً إلى القلة ويكون ضمير المؤنث في (بطونها) مشيراً إلى الكثرة ((وهذا جارٍ وفق قاعدة التعبير في العربية التي تفيد أنّ المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر، وذلك في مواطن عدة كالضمير وأسماء الإشارة وغيرهما وذلك نحو قوله تعالى:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾(يوسف٣٠) بتذكير الفعل، وقوله:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ (الحجرات١٤) بتأنيث الفعل. فإنّ التذكير يدل على أنّ النسوة بخلاف التأنيث وهذه قاعدة معروفة لا نريد أن نطيل في شرحها وبيانها)) (٣٠).

وعلى الرغم من استحسانه الرأي الذي يذهب إلى أن الأنعام في سورة (النحل) بمعنى النعم فإن الموضع كان للتخصيص بتلك التي تعطي اللبن،

فالرأي الأول عنده هو القبول، وعلى العموم فإن القول بأن الألف واللام تلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد لا يبرز ميزة للتعبير القرآني كما هو الحال في الرأي الأول.

ومما جاء من المتشابه القرآني قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ (الأنبياء٩١)، وقوله تعالى:﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ (التحريم١٢) إذ جاءت الآية الأولى بالتأنيث (فنفخنا فيها) والآية الثانية بالتذكير(فنفخنا فيه) ويعلل ذلك بعضهم بقولهم:((لأَنَّ المقصود هنا(يعني: الأنبياء) ذِكرها وما آل إليه أَمرها، حتى ظهر فيها ابنُها، وصارت هي وابنها آية. وذلك لا يكون إلا بالنَّفْخ في حملها، وتحَمْلها، والاستمرار على ذلك إِلى يوم ولادتها. فلهذا خُصَّت بالتَّأْنيث. وما في(التحريم) مقصور على ذكر إِحصانها، وتصديقها بكلمات ربّها، وكأن النفخ أَصاب فرجها، وهو مذكَّر، والمراد به فرج الجَيْب أَو غيره، فخُصّت بالتَّذكير))(٣١).

فعود الضمير حدده سياق الحال الذي يبينه توجه الآيات السابقة واللاحقة ، فالمقام لما كان في سورة (الأنبياء) متوجهاً نحو(مريم) بخاصة وما آل إليه أمرها من الحمل والولادة بعيسى (عليه السلام) كان الأنسب أن يعود الضمير عليها في﴿ ونَفَخْنَا فِيهَا﴾. ولكنه لما كان في (التحريم) متوجهاّ نحو(مريم) العفيفة التي أحصنت نفسها طاعة لربها كان التوجه نحو ما نزل بها من الابتلاء والنفخ.

ويتوقف الفيروز آبادي عند المتشابه القرآني من قوله تعالى: ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾(٣٢)(آل عمران٤٩) وقوله تعالى:﴿ فيها﴾(٣٣)(المائدة١١٠) فأستعمل في الأولى ضمير المذكر، وفي الثانية ضمير المؤنث:((قيل: الضمير في هذه (يعني: آل عمران) يعود إِلى الطير، وقيل إِلى الطين، وقيل إِلى المهيَّأ، وقيل إِلى الكاف فإِنه في معنى (مثل). وفي المائدة يعود إلى الهيئة.))(٣٤).

ويبدو أنّ هذا الاستعمال – كما هو واضح – لا يستدعي التوقف والتأمل، مما دعا الفيروزآبادي إلى القول بعد النص المتقدم ((وهذا جواب التذكير والتأنيث، لا جواب التخصيص، وإِنما الكلام وقع في التخصيص وهل يجوز أَن يكون كل واحد منهما مكان الآخر أَم لا (كذا)(٣٥). فالجواب أَن يقال: في هذه السُّورة(يعني: آل عمران) إِخبار قبل الفعل، فوحَّده؛ وفي(المائدة) خطاب من الله له يوم القيامة، وقد سَبَق من عيسى (عليه السلام) الفعلُ مرّات والطير صالح للواحد والجمع))(٣٦).

وبعد أن يذهب الفيروز آبادي إلى أنّ لكل من الاستعمالين مكانه الخاص، وأنه لا يجوز التبادل، فمن ثم عندما كان أول عهد عيسى (عليه السلام) بذلك عبر بالضمير المذكر المشير إلى المفرد. على حين أن الأمر في (المائدة) في يوم القيامة، وكان عيسى قد فعله مرات كثيرة فاستعمل ضمير المؤنث الذي يشير إلى جمع من المرات والله أعلم.

الخاتمة

• بعد الولوج في ظاهرتي التذكير والتأنيث وأثرهما في إيراد طائفة من الآيات المتشابهات من القرآن الكريم، والخوض في جزء يسير من تفاسيرها، نجد أننا خرجنا بنتائج كان من أبرزها:

• انفردت اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى بوجود ظاهرتي التذكير والتأنيث.

• لا تكتفي العربية بوجود هذه الظاهرة فحسب بل تفرق بين المذكر والمؤنث بأن تجعل للمؤنث لواحق أو قرائن دالة عليه، وليس للمذكر شيء من ذلك.

• هنالك جملة من القواعد يضعها النحويون في موضوع تأنيث الفعل وتذكيره وقد يخالف القرآن الكريم تلك القواعد.

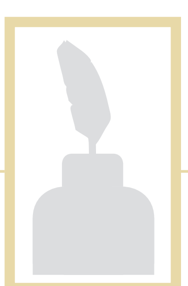
• وجود آيات كثيرة في القرآن الكريم متشابهة في بعض سياقاتها ولكنها تختلف في استعمالاتها من حيث التذكير والتأنيث والمعنى هو الحاكم في ذلك.

• تباينت آراء العلماء في تفسير الآيات المتشابهات المتعلقة بالتذكير والتأنيث.

• إن التعبير القرآني يتجاوز المظهر الشكلي لبعض القواعد الخاصة بالتذكير والتأنيث إلى دواعٍ سياقية أو دلالية يمكن أن يكشف عنها عند تفحص الآية وما يحيط بها.

• عبر مسارات البحث نلمح أن التأنيث على ضربين حقيقي وغير حقيقي، فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل، وأما التأنيث غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حسن.

• أحيانا يكون عود الضمير المذكر أو المؤنث يحدده سياق الحال الذي يبينه توجه الآيات السابقة واللاحقة للآيات المتشابهة.



الهوامش

(١) التذكير والتأنيث في العربية والاستعمالات المعاصرة ١٠٥ - ١٣٣ ولتوضيح ذلك يرى أن الإنجليزية – على سبيل المثال – وهي أكثر اللغات – اليوم – انتشاراً تستعمل (He) للمذكّر، وتستعمل (She) للمؤنث، ولكنها لا تفرّق بين الأفعال فهي تقول"(He Plays = هو يلعب) كما تقول (She Plays = هي تلعب) ولا تفرّق بين المذكّر والمؤنث في الخبر، فهي تقول: (He is a teacher = هو معلم) كما تقول: (She is a teacher = هي معلمة) ولا في الصفة فتقول: (Clever boy = ولد ماهر) وتقول: (Clever girl = بنت ماهرة)، ونفتقد فيها ضمير المثنى، فإذا وصلنا إلى الجمع وجدنا ضميراً واحداً يدل على المذكر والمؤنث هو(They هم أو هنّ) وأسماء الإشارة كذلك مبنية على عدم التمييز بين المذكّر والمؤنّث، فـ(this = هذا أو هذه) و (That = ذلك أو تلك) إلى غير ذلك.

(٢) العربية الفصحى ٦٩.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/ ٢٤١.

(٤) الكتاب ١/ ٧.

(٥) حياتي ١٨٥.

(٦) ينظر: ديوان المتنبي بشرح الكعبري٣/ ١٨ .

(١) شذا العرف ٨٥ .

(٧) ينظر: شرح ابن عقيل٢/ ٦٣ وما بعدها.

(٨) سورة التوبة ٥.

(٩) سورة الإسراء ٣٦.

(١٠) معاني القرآن ١/ ٤٣٥.

(١١) ينظر: معاني النحو ٢/ ٤٨٩-٤٩٠.

(١٢) ملاك التأويل ٢/ ٢٥٩-٢٦٠.

(١٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٦٨.

(١٤) أسرار التكرار ١٠٩، بصائر ذوي التمييز ١ / ٢٥٢.

(١٥) العنكبوت ٣٧.

(١٦) الشعراء ١٨٩.

(١٧) هود٩٤.

(١٨) درة التنزيل ١٨٦.

(١٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٦٨.

(٢٠) ينظر: الأنموذج في النحو ٩٢ .

(٢١) سورة البقرة ٢٧.

(٢٢) سورة الحشر ٩.

(٢٣) سورة التكوير ١.

(٢٤) سورة الانفطار ١.

(٢٥) ينظر: باب المذكر والمؤنث: الكفاية في علم الإعراب١٢٠.

(٢٦) ينظر: معاني النحو٢/ ٤٨٢.

(٢٧) ينظر: معاني النحو ٢/ ٤٨٧-٤٨٨.

(٢٨) بصائر ذوي التمييز ١ / ٤٦١.

(٢٩) أسرار التكرار ١٢٥.

(٣٠) التعبير القرآني ١٥٩- ١٦٠.

(٣١) أسرار التكرار ١٤٤. وينظر: بصائر ذوي التمييز ١ / ٣٢٢.

(٣٢) يريد قوله تعالى: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ (آل عمران ٤٩)

(٣٣) يريد قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ (المائدة ١١٠)

(٣٤) بصائر ذوي التمييز ١ / ١٦٢.

(٣٥) استعمال (أم) متصلة معادلة بعد (هل) غير صحيح ولا جائز.

(٣٦) بصائر ذوي التمييز ١ / ١٦٢. وينظر: أسرار التكرار ٤٨.

المصادر:

١) التذكير والتأنيث في العربية والاستعمالات المعاصرة: الدكتور محمود إسماعيل عمّـار كلية المعلمين- أبها- السعودية مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٦١.

٢) حياتي: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧١.

٣) ديوان المتنبي بشرح الكعبري تحقيق السقا وآخرين، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩٧هـ.

٤) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥) شذا العرف: الحملاوي، المكتبة العلمية.

٦) أسرار التكرار في القرآن : محمود بن حمزة الكرماني(ت ق ٦هـ) ، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، دار بوسلامة للطباعة والنشر – تونس، الطبعة الأولى١٩٨٣م.

٧) التعبير القرآني: د. فاضل السامرآئي، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مطبعة التعليم العالي- الموصل ،١٩٨٦م-١٩٨٧م..

٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين الفيروزابادي(ت ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة ،١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

٩) درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي (ت٤٢١هـ)

١٠) الأنموذج في النحو: جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ) ، دار الأفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٠١هـ -١٩٨١م.

١١) الكفاية في علم الإعراب (باب المذكر والمؤنث): دراسة وتحقيق عبد الرزاق حامد

١٢) العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد: هنري فليش، ترجمة : د. عبد الصبور شاهين، دار المشرق – بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٣م.

١٣) الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب- بيروت،(ت د).

١٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل العقيلي(ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الحياة للنشر والتوزيع- القاهرة

١٥) معاني القرآن: أبو زكريا الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وإسماعيل شلبي، وعلي النجدي- القاهرة ، ١٩٥٥م-١٩٧٢م.

١٦) معاني النحو: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره- بيت الحكمة، السنة الدراسية١٩٨٦- ١٩٨٧.

١٧) البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي(ت ٧٩٤ هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١هـ.



Phenomena masculine and feminineIncon texts of the Quranic

Asst. prof. Dr.Wafaa Abaas Fayad

College of Islamic Sciences/ University of Karbala

Abstract:

The idea of search revenue total of Quranic verses similar in their contexts , but has received one recall and other verse feminization , is that of the citizen which Taatfadil the verses blessings , and makes them up to the point of Quranic miracle that God Almighty in addressing human beings. Therefore, the counting of the verse of Like means we need to explain why this choice of language or grammar -oriented without the other in the Quranic text ; Quranic verse therefore need to identify the bug . Accordingly, The expression of Quranic exceed Appearance formal verse to the reasons contextual or semantic can be disclosed when the scan verse and its surroundings , and therefore , we find that the Koran is not subject to the rules as far as the meaning is the ruler in all that time there have feminization finest and visits have to recall the finest according to the intent and the context in the long chapter of Small.



Styles of thinking and its relationship to religious commitment among the students of the University of Karbala

Asst.Prof. Dr. Ahmed Abdel Hussein Alozergawi
A.L. Alia Naseer Kaabi and A.L. Munaf Fathi

College of Education /
Karbala University

Abstract:

The current study aimed to identify the level of thinking styles among the students of the Faculty of Education and identify the level of religious commitment among the students of the Faculty of Education, University of Karbala and to identify the relationship between the ways of thinking and religious commitment among the students of the University of Karbala . The current research was limited to a sample of 100 students from the third stage , and males and females were selected randomly class of students from the Faculty of Education of the terms of reference of the University of Karbala and humanitarian for the academic year (2012-2013) . In order to achieve the objectives of the research were adopted ways of thinking scale prepared by Harrison and Bramson . The measure was adopted religious commitment Hamdani (2005). Scales has been applied to basic research sample , and after analyzing the data and statistically treated using the following statistical methods : t-test for one sample Pearson correlation coefficient . The study found that members of the research sample enjoy a high religious commitment and Synthesis style comes at the forefront of analytical methods and style was the last methods.



Hatem Sugar reader poetic text - Shout jars in the book is an example of the well and honey

Dr. Ali Mohamed Yassin

College of Islamic Sciences/
University of Karbala

Abstract:

Doctor Hatim Al-sakr tried to use all the contemporary critical materials to raise the standard of the Arabic literature and culture. He changed the face of critic work in his book (Al-baàr w Al-assal) to be open work for all literatures contents through special way of reading which give the reading text a new meaning.. He depended on selecting example by using the poem of (sayhat Al-Jarar lahsb Al-shaikh Jaffer). He referred to the relationship between the structural texts itself to build the text and observe opening way of these structures on others texts have relation with it.

This research aims to discover the technic of this reading and its conditions in that example. It tries to show Al-Sakr activity as he producing reader to the critical text parallel to the original text, in the same time, he puts the right bases to the modern Arabic critic speech in Iraq.



Lexicon of Eloquent toddler in the Iraqi dialect spoken In the province of Karbala

Asst.Prof.Dr. Khalid Abbas Hussain | College of Education, Humanities / University of Karbala

Abstract:

The research reiterates study Arabic dialects of modern levels, audio , and morphological , and syntactic , and semantic and lexical , both or another, since I do not mind scientifically so , then the reality of contemporary linguistic particularly operative it required and lacking Valaamih which means basically understanding and Tkhataba , leaving the eloquent but folds Alqratis , and only words that are written , which I swear narrowing her and scalable unfortunate not acceptable one is the language of the Koran , and a bowl of Arab heritage Majeed , which requires galvanizing , and Barre pen of loving her, Almatzen them , and they are many , to defend them in defense a real action-oriented scientifically authentic takes her , and make her like her family and Mrdia studied a lesson vital , renewed , flexible, on the one hand , and then to look at the level operative now , I mean : its tone , or dialects of modern , almost , and clarification and Ina , and refined on the other hand , because it is one language two faces : an eloquent written , and another operative.

That›s what I call him in this study , it is a step in the road was initiated by researchers evacuate Iraqis , and Arabs , hoping to succeed in order to perpetuate the link between eloquence and dialects of modern and reduce the gap between them and lift the tone Highness out about her mother›s classical.



Al-Qura›niya in the Alawiyyat of Al-Aheikh Salih Al-Kawwaz Al-Hilliady

Asst.prof.Dr. Ali Kadhim Almsalawi
Dr.kareema Nomas AL-Madani
College of Education, Humanities / University of Karbala

Abstract:

Al-Qura›niya is a technique adopted by the poet of form his creative text related to his visions and horizon , structure and rhythm , in accordance with the succession of the holy Qura›n. These Alawiyyat , being elegies (marthiya) of Al-Hussein – bin –Ali and other martyrs (P.B.U) , represented a turning point for the poet in employing the holy Qura›n verse.

He joins the Qura›nic texts including event , persons , and stories with what had happened in the painful Al-Taff Battle in a wonderful way .

The research consists of an introduction and two chapters . The introduction points out first the poet›s career and his literary rank . Secondly it clarifies the concept of Al-Qura›niya and the reason for adopting it .

The first chapter explains the poet›s employment for this technique and its influence on the construction of poem .

The second chapter tackles the Qura›nic technique in Al-Alawiyyat . The first technique is the unmodified direct Al-Qura›niya whereas the second is the modified direct Al-Qura›niya . Finally , the research sets out the most important conclusions arrived at by the researcher .



Difference in the rules of composition

Reading between Qnb bin Hilal visual and reading public

Asst. prof. Abbas Ali Ismail

College of Islamic Sciences/
University of Karbala

Abstract:



Abu al - Samal Al - adawi was Qa›nab ibn Hilal ibn Abi Qa›nab al Basri al – adawi ,Some works that were written about him made errors about his nickname for they called him «Abi al - Samak. The information that reached us about him was very little and limited and was almost inadequate. The writer al - Thahubi was considered the best who wrote about him, for he mentioned information related with his life and was never mentioned before.

He had a doctrine in reading the Quran. He did not follow other readers as abu Zaid al - Ansari narrated about him. They returned his method to the second calipha Omar ibn al Khatab. He lived during the period of brilliant names in the aspects of grammar and reading. He was well - aquainted with the frequent grammatical questions in his age. He died about ١١٠ for al -hijra. His reading was identical with that of the public in prominent aspects as moulding, while the variation between them was in parsing. A quick glance in the two readings made clear to me that the variation was restricted in al Rafu› and al Nasb. I did not find for him Reading in al Kasr. There is only one word in Sura of al - Ahzab , read by Abu al Samal with al Kasr on the intention of Jazim, while it came with al Fath in the reading of most people.

His variation in reading does not depend on the syntactical movements, nut his non confirming is represented in a prominent side in names, verbs and grammar words.

The variation between both readings on two things: changing the method progressively and regressively and making what is a noun of the letter a verb.

What includes in changing the verb in his reading some verbs in passive or active forms that differs from the reading of most people. This variation in reading led to three forms:confirming various words in the people›s reading and sometimes by adding a further letters not included others writes



Normative and Arabic grammar

Dr. Haydar Habeeb
A. L. Shkran Hamad Falkh

College of Arts / University of Qadisiyah

Abstract:

Some researchers regard normative is one of the searching linguistics› methods that is resulted from the modern linguistics subjects. This search treats the issue of accounting the normative in modern linguistics searching methods. It is concluded that the normative can not be regarded a method of linguistics searching or can not be related to particular linguistics who may be its owner and who first said it.

The research tires to recognize the normative aspects in Arabic grammar that represented by protesting, measuring and grammatical cause.
The search consists on two sections.
First section dealt with defining normative, establishing normative, the most important things that support on normative
Second section dealt with the normative between methods and idea, the difference between normative and descriptive, the normative aspects in Arabic grammar.



Assumption morphological

Massadik assumption of exchange in the Arab

Dr. Haider Abd Ali Hamidi

Karbala University / College of Education in the Humanities

Abstract:

A balance morphological an important pillar of the pillars of the Arab exchange, And is one of the examples in the Arab exchange assumption, It was not what he heard scientists Arab Bedouins in the Badia, but it is many of the assumptions in the morphology, and its scientists could study abstract linguistic unity and Almazidh, and studied in the case of slurring, Alaalal and cannibalization spatial and the heart, increase inventory Arabic words in the form of numbers, any tripartite how many words? And how many of the Quartet? ... Etc.. Not only did the scientists assuming morphological balance the weight of the word, but started to assume multiple scales per word, some of which rely on access to the meaning of the word weight, and from what I rely on derivation, and of which rely on the multitude in use.



Teaching Arabic grammar

(About the way in teaching as evidentiary)

Assistant Professor of Linguistics
D . Hassan Abdul-Ghani al-Asadi
Faculty of Education, Humanities
University of Karbala

Abstract:

Put in the hands of the concerned teaching Arabic grammar in higher education a new proposal in the process of teaching depends this proposal on the development of a sense of the student about how understanding and awareness of the nature of speech and how the emergence of rules formulation of synthetic speech and to understand how to thread units : Minor represented by the words single squad Almorvimah (morphological) and Accessories , and major : the main units of sentences , and Jaozha combinations of Fine and above the text. They can call this trend in education as the way evidentiary or Alastenbatih to those rules and provisions ; they behave the recipient to have initially Knowledge qualify for consideration in speech and Inspection for assets and rules , and secondly to detect self from those rules , validating and see the face of my mistake , and areas grammatical produced for the sake of performance implications in the process of communication between the parties to talk the speaker and addressee . This method is based on an ancient heritage in Arabic is a book Sibawayh who claim it is based on some of the words , and analytical methods presented a lesson grammatically scientifically , not a lesson grammatically educationally , and to differentiate between these two lessons that some Sibawayh is a search to uncover the mechanisms of speech and methods of interpretation of his compositions and the faces of their use does not the order mentions correct rule for the formulation of the sentence, and lists the classes and functions of the verb name in a sentence , and what they›re meanings letters between them and the provisions of it all .



Language policy and language planning and their impact on maintaining the integrity of the Arabic language

Prof .Dr. Ahmed Jawad Al-Atabi
College of Education / Mustansiriya University

Abstract:

Displays search to the importance of language policy and language planning and their impact on the preservation of the language and integrity ; has alerted the countries and communities to introduce the language of penetration and random abuse , and threatening language varies in how severe that up to undermine the language and the decline of their use , or even extinction . She has worked states and communities that are keen on the safety of their languages and seeks to maintain a policy of called it (language policy) based on language planning , it is an instance of the economic policy and economic planning , and military policy of military planning and so on. No she looked at the importance of the language itself , which considered them to politics, economy , health and housing .

Find keen to clarify the concepts of policy and planning , conditions and foundations , which they encyclopedia . As well as these two principles and had two effects on the linguistic reality in terms of application and usage.





First volume-first edition-first year- Rajab-1435-May-2014



In this edition